دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

أضواء جنوبية

Southern Lights



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أضواء جنوبية

Southern Lights

رواية

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

ترجمة

تيا معوض

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الفصل الأوّل

بــدا الــرجل الجالس على الكرسي القديم الذي خرجت منه حشوته، وكأنه نائم نوماً خفيفاً. إذ كان رأسه منحنياً نحو الأسفل، بحيث لامس ذقنه صــدره، فظهر وشم أفعى بوضوح عند الجهة الخلفيّة من عنقه. كان ذلك الــرجل طــويل القامة، قوي البنية، ذا ذراعين طويلتين، بدتا مفتقدتين إلى الحــياة وهما متّكئتان على ذراعي الكرسيّ في تلك الغرفة الصغيرة. كان يــرتدي قميصاً قطنيّاً، وسروالاً من الجينز، فيما ينتعل جزمة جفّ الوحل فــوقها، فتناثر على السّجادة الوسخة المليئة بالبقع. وفي زاوية تلك الغرفة، كان هناك سرير ضيّق غير مرتّب، وخزانة فُتحَت أدراجها، وتبعثرت على الأرض قــربها الثّياب القليلة التي كان قد أحضرها معه. أمّا التّلفاز فكان يعمــل، فــيما عبقت في الغرفة رائحة الطّهو المنبعثة من الرّواق. وفجأة، اســتيقظ الرّجل، وهزّ رأسه بعنف مصدراً صوت شخير. وما لبث أن فتح عينــيه الزرقاوين، ثمّ أغمضهما مجدداً وهو يصغي السمع؛ إذ كانت حاسّة الــسّمع لديــه قــويّة. وبعد لحظات، وقف فاختفى الوشم تحت قميصه، ثمّ أمسك سترته، وعبر الغرفة الصغيرة الضيّقة بخطوة واحدة كبيرة.

انــزلق لــوك كانتن بهدوء من فوق حافة النافذة، وشقّ طريقه عبر مخــرج الحــريق بعــد أن أغلق النافذة وراءه. كان الطقس بارداً جداً في نيويورك في شهر كانون الثاني/يناير. لقد مضى أسبوعان على وجوده في المديــنة. وقــبل ذلك، كان في ألاباما، والميسيسيبي، وبنسيلفانيا، وأوهايو، وأيــوا، وإيليــنوي، وكنتاكي. كما زار صديقاً في تكساس. فهو يسافر منذ أشهر، ويعمل حيث يستطيع العثور على عمل. إذ لم يكن يحتاج إلى الكثير

من المال ليعيش. تحرك بخفة النمر، ومشى في الشارع في لاور إيست سايد قبل أن يعود إلى غرفته ويسمع وقع خطى الرجال القادمين الذين يجهل هويتهم، ولكنه كان أذكى من أن يخاطر. فهم على الأرجح من رجال الشرطة. فقد سبق له أن دخل السجن مرتين، بسبب سرقة قام بها، واحتيال في بطاقة الاعتماد. وهو مدرك تماماً أن رفاقه السابقين في السجن الذين كانوا ينادونه كيو لم يُعاملَوا قطّ بطريقة جيدة.

توقف لشراء صحيفة وشطيرة، فارتجف من شدة البرد، وذهب للقيام بنزهة. كان يُعتبر وسيماً. إذ إنّ كتفيه عريضتان وقويتان، فيما يبدو وجهه منحوتاً.كان شعره أشقر اللّون، وعيناه زرقاوين شاحبتين. وكان يطلق لحيته بين الحين والآخر. يبلغ لوك من العمر أربعة وثلاثين عاماً، أمضى عشرة أعوام منها في السجن تنفيذاً لحكمين صدرا بحقّه. وبعد أن أنهى فترة عقوبته بكاملها، أُطلِقَ سراحه من دون شروط، وها هو الآن حرّ مثل الهواء. لقد عاد إلى الشوارع منذ عامين، ولم يتورط في المشاكل لغاية الآن. وبالرغم من حجمه، إلا أنه كان يستطيع الاختفاء بين الحشود بسهولة.

حين وصل إلى الشارع اثنين وأربعين، مشى شمالاً، ثمّ انعطف نحو الغرب، ودخل مباشرة داراً للسينما قرب تايمز سكواير، وجلس في الظلمة، وخلد إلى النوم. كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل حين خرج منها، فاستقل حافلة، وعاد مجدداً إلى المدينة. افترض أنه في مثل هذا الوقت، لا بدّ من أن يكون من جاء لزيارته قد رحل. تساءل إن كان أحد ما في الفندق قد أخبر رجال الشرطة أنه مجرم. إذ إنّ الوشوم على يديه تظهر حقيقته بالنّسبة إلى أولئك الذين يعرفون ما تشير إليه. لم يشأ أن يكون في الغرفة عند دخول رجال الشّرطة إليها، وأمل أن يكونوا قد فقدوا الاهتمام به عند عدم عثورهم على أي شيء في الغرفة. كانت الساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل حين عاد إلى الفندق الكئيب.

كان لوك يصعد دوماً السلالم، إذ يعتبر أنّ المصاعد فخ بالنسبة إليه، وهو يحب أن يكون حراً في التحرك. أومأ إليه موظف الاستقبال برأسه،

فيما صعد لوك السلالم. كان في المنبسط مباشرة تحت طابقه حين سمع صوتاً. لم يكن هذا صوت خطى أو صوت باب، وإنما كان صوتاً عرفه فوراً؛ إنه صوت حشو مسدس. لذلك تحرك بسرعة الضوء، ونزل السلالم مجدداً بخطى صامتة، وأبطأ خطاه قليلاً حين وصل إلى مكتب الاستقبال. ثمة شيء غريب، غريب جداً. أدرك حينها أنهم وراءه، في منتصف السلالم. إنهم ثلاثة، ولن ينتظر لوك لمعرفة هويتهم. خطرت له فكرة أن يتابع طريقه كالمعتاد، لكن غريزته أمرته بالهرب. وهكذا فعل، فركض مثل المجنون. كان قد أصبح في الشارع عندما خرجوا من الباب مسرعين. إلا أن لوك كان أسرع من أي رجل على سطح الأرض. فقد كان يركض في السجن بهدف التمرّن فقط. ويقول الناس إنه أسرع من الريح. وهو الآن كذلك.

تسلّق سوراً، واختفى وراء مبنى، وتشبث بسقف مرأب، وانتقل إلى سور آخر. كان في وسط المنطقة المجاورة، وعرف حينها أنه لا يستطيع العودة إلى الفندق. ثمة شيء غير صحيح، غير صحيح إطلاقاً. كان يُخفي مسدساً كاتماً للصوت في السروال الذي يرتديه، ولم يكن يريد أن يتم القبض عليه وهو يحمل سلاحاً، فرماه في مستوعب للنفايات، وركض في ممرّ ضيق. استمر في الركض وتصور أنه أضاعهم، إلى أن وصل إلى سور آخر، فأحس فجأة بيد تمسك بعنقه من الخلف في قبضة محكمة. لم يمسك به أحد من قبل بمثل هذه القوة، وسُرّ كثيراً لأنه تخلص من المسدس. كل ما عليه فعله الآن هو التخلص من الشرطي. أرجع مرفقه بقوّة إلى الوراء، وضرب الشّرطيّ. فما كان من هذا الأخير إلاّ أن أحكم قبضته على عنق لوك، وضغط بقوة. وعلى الفور، شعر لوك بالدوار، وسقط على الأرض بالرغم من بنيته القويّة. عرف الشرطي أين يمسك به، وركل بقوة ظهر لوك الذي أطلق أنيناً مكبوتاً من بين أسنانه المطبقة.

قال لوك وهو يمسك بساقي الرجل الآخر: "يا ابن الساقطة!". وسرعان ما أصبح الشرطي فجأة على الأرض، وراح الرجلان

يتدحرجان. وفي غضون ثوانٍ قليلة، استطاع الشرطي السيطرة عليه. كان الشرطي أصغر من لوك، إلا أن بنيته كانت قويّة. وكان ينتظر متعة صحبة كيو منذ أشهر. فقد لاحقه في كل أرجاء الولايات، وجاء إلى غرفته مرتين هذا الأسبوع، ومرة في الأسبوع السابق. كان تشارلي ماكافوي يعرف لوك كانتن أكثر مما يعرف أخاه. ولقد حصل على إذن خاص لملاحقته منذ أكثر من عام تقريباً، وعرف أنه سيلقي القبض عليه، حتى لو اضطر إلى الموت. وبعد أن استطاع أن يقبض عليه الآن، فهو لن يخسره. ركع تشارلي على ركبتيه، وضرب وجه لوك بالأرض. وحين وصل التّحرّيان الآخران، كان أنف لوك ينزف بغزارة. كان الرجال الثلاثة يرتدون ملابس مدنية، لكنّ كل شيء فيهم أشار إلى أنهم من رجال الشرطة.

قال جاك جونز، التحري الأعلى رتبة، وهو يسلّم تشارلي الأغلال: "هوّن عليك يا رجل. دعنا لا نقتله قبل أن نوصله إلى المركز". ظهر الإجرام واضحاً في عيني تشارلي. وعرف جاك جونز أن تشارلي يريد قتل كانتن، كما عرف سبب ذلك. فلقد باح له تشارلي بسرّه ذات ليلة حين كان ثملاً. وحين رآه جاك في صباح اليوم التالي، وعده بعدم قول أي شيء لأي كان. لكنه استطاع الآن ملاحظة ما يحصل لتشارلي، إذ كان يرتجف من شدة الغضب. لم يكن جاك يحب أن يتداخل أيّ أمر شخصيّ مع العمل. وأدرك أنّه لو حاول لوك الإفلات منهم والهرب، فسوف يطلق عليه تشارلي النار. وهو لن يطلق النار على ساقه، وإنما سيرديه قتيلاً.

تحدث الرجل الثالث في الفريق عبر جهاز اللاسلكي وطلب سيارة شرطة. إذ كانت سيارتهم مركونة على بعد مبانٍ عدة، ولم يرغبوا في المخاطرة والمجازفة بالتّحرّك مع لوك كل تلك المسافة.

كان أنف لوك ينزف كثيراً بحيث لوث قميصه، ولم يحاول أي منهم فعل أي شيء لوقف النزف، فلن يحصل لوك على شفقتهم. تلا عليه جاك حقوقه المدنية، فيما بدا لوك متعجرفاً بالرغم مما أصاب أنفه؛ فقد نظر

إليهم نظرة افترستهم جميعاً. ففكّر جاك أنه الحقير الأكثر برودة الذي رآه في حياته.

قال لوك مهدداً: "أستطيع الادعاء عليكم أيها الحقيرون. أظن أن أنفي مكسور". فوجه إليه تشارلي نظرة قاسية جداً، فيما دفعه الرجلان الآخران نحو السيارة. أدخلاه إلى السيارة، وقالوا لرجال الشرطة الذين كانوا يجلسون هناك إنهم سيلتقونهم في مركز الشرطة.

كان الرجال الثلاثة هادئين في طريق عودتهم إلى سيارتهم. ألقى تشارلي نظرة سريعة على جاك فيما كان يشغّل المحرك، ثم انهار على المقعد وهو يبدو شاحباً.

سأله جاك في أثناء توجههم إلى وسط المدينة: "ما رأيك؟ لقد نلت منه".

قال تشارلي بهدوء: "نعم، علينا الآن إثبات الأمر، ولصق التهمة به".

حين وصلوا إلى مركز الشرطة في وسط المدينة، كان لوك يبدو مزهواً بنفسه. وكان هناك دم على كل من وجهه وقميصه. ولكن، بالرغم من الأغلال التي كانت حول يديه، إلاّ أنّه كان متباهياً بنفسه.

ضحك لوك قائلاً لتشارلي: "ماذا تفعلون أيها الرجال؟ هل تبحثون عن شخص ما لتوجيه تهمة إليه، أو للادعاء أنه سرق محفظة سيدة عجوز؟".

فقال تشارلي لجاك: "احجزه". ومشى مبتعداً. عرف أنه سيحصل على تهنئة لنجاحه في المهمة، فهو يطارده منذ فترة طويلة. وكانت عودة كانتن إلى نيويورك مصادفة سعيدة بالنسبة إليه. إنها العناية الإلهية؛ القدر. سُرّ تشارلي لأنه ألقى القبض عليه في المدينة حيث يعمل. إذ إنه يعرف الكثير من الأشخاص المهمين هنا، ويحب أفراد النيابة العامة الذين يعمل معهم. فهو رجل صلب من شيكاغو، ويرغب في مقاضاة المجرمين أكثر من أي شيء آخر. كما أن النائب العام جو ماكارثي لا يهتم باكتظاظ السجون، بل إن كل ما يرغب فيه هو عدم إفلات المشتبه بهم. وإذا

استطاعوا إثبات كل ما يأمل به تشارلي بشأن لوك كانتن، فستكون هذه قضية العام. تساءل عن الشخص الذي سيعينه ماكارثي ليتولى هذه القضية، وأمل أن يكون بارعاً.

سأل لوك، وهو يضحك في وجه جاك: "ما هي التهمة التي حضرتموها لي؟". ثم تابع فيما كان الشرطي يقيده، ويجره بعيداً: "سرقة معروضات؟ مخالفة أنظمة السير؟".

قال جاك ببرودة: "ليس تماماً، كانتن. في الواقع، اغتصاب وقتل. أربعة حوادث من كل نوع لغاية الآن. وربما ترغب في إخبارنا أي شيء عن ذلك؟". سأل جاك وهو يرفع حاجبه، فيما ضحك لوك مجدداً وهزّ رأسه.

"أنتم حمقى. تعرفون أن الأمر لن ينجح. ما المشكلة؟ لديكم مجموعة من الجرائم التي لا يمكنكم كشف فاعليها، ولذلك تصورتم أنه باستطاعتكم أن تلقوا القبض عليّ وتلصقوا بي التهم كلها؟". بدا لوك غير مضطرب على الإطلاق، ومسروراً تقريباً، لكنّ عينيه كانتا مثل الفولاذ، وبدا فيهما ظل أزرق شرير.

لم يتأثر جاك بتظاهر لوك بالشجاعة، إذ كان لوك ماكراً، وهم يملكون أدلّة على أنه ارتكب جريمتين، وهم شبه واثقين من أنه مرتكب الجريمتين الأخريين. وإذا كان جاك محقاً، فلقد قتل لوك كانتن دزينة من النساء خلال عامين، أو ربما أكثر. إنهم ينتظرون تقرير الدي أن أيه والتقرير حول الوحل المتساقط من حذائه، والذي أخذ تشارلي عيّنة منه عن السجادة الرثة التي كانت في غرفة كانتن في الفندق. فإذا تطابق الوحل مع ذاك الموجود في مسرح الجريمة – مثلما يأمل تشارلي – فسيكون كانتن قد نزل إلى الشوارع للمرة الأخيرة في حياته.

تمتم لوك وهو يبتعد: "أنتم حقيرون. تعرفون أنكم لن تتمكنوا من لصق التهمة بي. أنتم تصطادون في الماء العكر، ولديّ دليل يثبت براءتي عن كل ليلة، فأنا بالكاد تركت الغرفة في فندقي في الأسبوعين الأخيرين.

كنت مريضاً". فقال جاك لنفسه: نعم، كان مريضاً جداً. فكل الرجال الذين يكونون مثله مرضى؛ إذ لا يرفّ لهم جفن بعد قتلهم ضحاياهم، وطمرهم في مكان ما، فيذهبون بعد ذلك لتناول طعام الغداء. لوك كانتن وسيم، ويبدو دائماً فاتناً وجذاباً. إنه من ذاك النوع من الرجال؛ إذ بإمكانه خداع فتاة بريئة، واصطحابها إلى بقعة نائية حيث يغتصبها ومن ثم يقتلها. لقد رأى جاك رجالاً مثله من قبل، بالرغم من أنه قد يكون أسوأهم على الإطلاق إذا صحت القصص التي تروى عنه. فهو على كل حال أحد أسوأ المجرمين الذين عرفوهم منذ زمن طويل. عرف جاك أن الصحافة ستهتم كثيراً بهذه القضية، وأنه لا بد من إعطاء كل تفصيل صغير حقّه، وإلا سيحظى كانتن بالبراءة بسبب تفصيل اعتبر غير مهم. وعرف تشارلي ذلك أيضاً، ولهذا السبب جعل جاك يتولى عملية الاحتجاز بنفسه. وبعدما تم أخذ لوك بعيداً لتفتيشه، اتصل جاك شخصياً بالنائب العام.

قال جاك بفخر: "لقد نلنا منه. لقد أثمرت جهودنا وكان الحظ إلى جانبنا. والفضل في ذلك يعود إلى تشارلي ماكافوي، الذي طارده وأمسك به. فلو توجّب عليّ الركض في كل تلك الممرات، وتسلق كل تلك الأسوار، لكان لوك الآن في منتصف الطريق إلى بروكلين قبل أن أصل أنا إلى السور الأول". كان جاك يتمتع بلياقة بدنية جيدة، ولكنه في التاسعة والأربعين من عمره، وقد اعتاد أن يمازح النائب العام بشأن وزنيهما؛ فهما في العمر نفسه. هنّأه النائب العام على عمله الجيد، وأخبره أنه سيراه في الصباح، إذ أراد الاجتماع بضباط الاعتقال للاتفاق على الطريقة المناسبة للتعامل مع الصحافة.

حين غادر جاك مركز الشرطة بعد نصف ساعة، كان لوك قد أصبح في الزنزانة. فلقد قرروا وضعه في زنزانة منفردة. وكان سيتم استدعاؤه إلى المحكمة بعد ظهر اليوم التالي، وعرف جاك أن الصحافة ستحيط بهم عندئذ. فاعتقال الرجل الذي قتل دزينة أو أكثر من النساء في سبع ولايات خبر مهم. وسيجعل ذلك شرطة مدينة نيويورك تبدو ممتازة في عملها.

وإنجـاز مـا تبقّـى عائـد الآن إلـى مكتب النائب العام، والمدعي العام والمحققين.

فـي تلك الليلة، عاد جاك إلى المنزل مع تشارلي بعد أن أنهيا عملية الاعتقال. كان يوماً طويلاً ركزا خلاله على مراقبة الفندق طوال فترة بعد الظهر. لقد شاهدوا لوك حين غادر، وأراد تشارلي الإمساك به حينها، لكن جـاك طلـب منه الانتظار. فإذا لم يشكّ لوك في أنهم يطاردونه، فسيعود حتماً. وكان هناك الكثير من الأشخاص حولهم، ولم يشأ جاك أن يتأذى أي نـزيل فـي الفـندق. وفي النّهاية، كانت النتيجة لصالحهم؛ ولكنّها لم تكن لصالح لوك.

فـي تلك الأثناء، كان لوك كانتن جالساً في زنزانته وهو يحدّق إلى الجـدار. استطاع سماع أصوات السجن المألوفة. كان الأمر أشبه بالعودة إلـى المنـزل نوعاً ما. وعرف أنه إذا خسر، فسيكون السجن منزله إلى الأبـد. وفيما كان يحدّق إلى حذائه، لم يفصح وجهه عن أيّ من مشاعره. وبعد قليل، استلقى على سريره، وأغمض عينيه، وبدا مرتاحاً تماماً.

الفصل الثاني

قالـت ألكـسا هاملتون لابنتها وهي تعطيها علبة من حبوب الفطور وقنينـة حلـيب: "بسرعة، بسرعة. أنا آسفة لأنّك مضطرة إلى تناول هذا الفطـور، لكننـي تأخرت عن الذهاب إلى العمل". ثم أجبرت نفسها على الجلـوس، وإلقـاء نظرة سريعة على الجريدة، وعدم الوقوف هناك والنقر بقدمـيها. كانت ابنتها سافاناه بومونت ذات السبعة عشر ربيعاً فتاةً جميلة، فقـد كـان شعرها أشقر باهتاً تتركه منسدلاً فوق ظهرها. ولها وجه يجعل الـرجال يـصفّرون لها في الشارع منذ أن كانت في الرابعة عشرة. وهي محـور حياة أمها. رفعت ألكسا عينيها عن الجريدة مبتسمة وقالت: "لماذا تـضعين أحمـر الشفاه؟ هل من شخص ظريف في المدرسة؟". إنها السنة الدراسـية الأخيـرة لسافاناه في مدرسة خاصة وراقية في نيويورك. وهي الآن تـستعد للـتقدم بطلـب إلى جامعات ستانفورد، وبراون، وبرنستون، وهارفـارد. وبالرغم من أن أمها تكره فكرة ابتعاد ابنتها عنها للذهاب إلى الجامعة، إلا أنها مضطرة إلى الرضوخ للأمر. فسافاناه ذكية بقدر ما هي جمـيلة، وعلاماتها ممتازة. وهكذا هي أيضاً ألكسا، وإنما بطريقة مختلفة. فهي طويلة القامة ونحيلة، ولها طلة عارضات الأزياء، ولكنها أكثر صحة وجمـالاً منهن. تربط ألكسا شعرها إلى الخلف بإحكام على شكل كعكة، ولا تـضع مستحضرات التجميل أبداً في أثناء العمل. إذ لم تكن ترغب في لفت نظر أي كان بمظهرها. إنها مساعدة النائب العام وهي في التاسعة والثلاثين، وستبلغ الأربعين في وقت لاحق من هذه السنة. ذهبت إلى مكتب النائب العام مباشرة بعد تخرجها من كلية الحقوق، وعملت هناك سبع سنوات.

ابتسمت سافاناه وطمأنتها: "أنا آكل بأسرع ما يمكنني".

"لا تجعلي نفسك مريضة. يستطيع المجرمون في نيويورك الانتظار".

كانــت ألكسا قد تلقت رسالة نصية من مديرها في الليلة الفائتة أبلغها فيها أنــه يــريد الاجتماع بها هذا الصباح، ولذلك كانت على عجلة من أمرها، لكــنها تستطيع القول له إن القطار كان بطيئاً. "كيف كان الاختبار لجامعة برنستون في الليلة الماضية؟ كنت أودّ مساعدتك لكنني نمت باكراً. يمكنك أن تعرضيه عليّ الليلة".

"لا أســتطيع". ابتسمت لها سافاناه ابتسامة عريضة، وبدت فتاة فائقة الجمـــال. وقالـــت لأمها وهي تتناول آخر ملعقة من حبوب الفطور: "لديّ موعد". فرفعت أمها أحد حاجبيها.

"هل هو شيء جديد؟ أو بالأحرى شخص جديد؟".

"إنـــه مجرد صديق. سنخرج مع مجموعة من الأشخاص. ثمة مباراة فـــي ريفــردايل نرغب جميعاً في حضورها. ليست قصة كبيرة. أستطيع إنهاء الطلب في عطلة نهاية الأسبوع".

قالـــت ألكـــسا بـــصرامة: "لديك بالضبط أسبوعان للانتهاء من كل الطلبات". إنها تعيش مع سافاناه وحدهما منذ أحد عشر عاماً تقريباً، أي منذ أن كانت سافاناه في السادسة من عمرها. ثم تابعت قائلة: "من الأفضل ألا تبددي وقتك لأنه لا جدوى من هذه المواعيد".

فمازحتها سافاناه قائلة: "إذاً، يجب أن أحصل على إجازة لمدة سنة بعد الانـــتهاء من المدرسة وقبل الذهاب إلى الجامعة". كانت الأم وابنتها تمضيان وقتاً جيداً مع بعضهما، وثمة علاقة وطيدة تربط بينهما. لم تكن سافاناه تشعر بالإحراج حين تخبر أصدقاءها أن أمها أفضل صديقة لها، وهم يعتبرون أمها لطـــيفة أيضاً. وكانت ألكسا تصطحب عدداً منهم إلى مكتبها كل عام في يوم العمـــل. إلا أن سافاناه لم تكن ترغب في الذهاب إلى كلية القانون فهي تريد أن تكـــون صـــحافية أو معالجة نفسية، ولكنها لم تحسم أمرها بعد. إذ ليست مجبرة على تحديد اختصاصها في أول سنتين في الكلية.

بعد أن غادرت ألكسا وابنتها الشقة، ودخلتا المصعد، قالت ألكسا: "إذا قررت أن تحصلي على إجازة لمدة سنة فربما سأفعل الشيء نفسه. فهناك مجمـــوعة من القضايا المزعجة في الشهر الأخير. إذ إن العطلات تخرج أســـوأ مـــا في الشخص. أظن أنني تلقيت شكاوى سرقة من كل سيدة في بـــارك أفنيو منذ مناسبة الشكر". عرفت سافاناه أن أمها قد تولت في شهر تشرين الأول/أكتوبر قضية اغتصاب مهمة، وانتصرت على المدعى عليه. فلقـــد رمى هذا الأخير الحمض (الأسيد) على وجه المرأة. ولكن، منذ ذلك الحين، أصبح العمل بطيئاً.

قالـــت سافاه بخفة فيما كان المصعد يتجه نحو الأسفل: "لماذا لا نقوم بـــرحلة حين أتخرج في شهر حزيران/يونيو؟ بالمناسبة، سيأخذني أبي إلى فيـــرمون للتـــزلج لمدة أسبوع". تجنبت عيني أمها حين قالت ذلك. إذ إنها تكره ملامح وجهها حين تذكر والدها أمامها. فلا يزال هناك مزيج من الألم والغضب يعتمل داخلها، حتى بعد كل تلك السنوات؛ بعد إحدى عشرة سنة تقـــريباً. إنـــه الوقت الوحيد الذي تبدو فيه أمها متألمة، بالرغم من أنها لم تتفوه قطّ بشيء سيئ عنه أمام ابنتها.

لا تذكـــر سافاناه الكثير عن طلاق والديها، ولكنها تعرف أنها كانت مـــرحلة صـــعبة بالنـــسبة إلى أمها. فوالدها من تشارلستون في كارولينا الجنوبـــية، ولقد عاشا هناك حتى حصل الطلاق، ثم انتقلت هي وأمها إلى نيويورك. لم تذهب سافاناه إلى تشارلستون منذ ذلك الحين، ولم تعد تذكرها جيداً. يأتي والدها لزيارتها في نيويورك مرتين أو ثلاث مرات في السنة. وحـــين يملك الوقت الكافي، يصطحبها في رحلات، بالرغم من أن جدول أعماله يتغير كثيراً. كانت تحب رؤيته، وتحاول ألا تشعر أنها خائنة لأمها حين تكون معه. يتواصل والداها عبر البريد الإلكتروني، ولكنهما لم يتحدثا إلـــى بعضهما أو يريا بعضهما منذ طلاقهما، مما يعني أن والدها لن يأتي لحـــضور حفلـــة تخرجها من الثانوية. تأمل سافاناه في العمل عليهما هما الاثنين في السنوات الأربع المقبلة قبل تخرجها من الجامعة. فهي تريد فعلاً

أن يكــونا موجــودين همـــا الاثـــنان. لكن أمها رائعة، بالرغم من العداء المستفحل بين والديها.

قالـــت ألكسا وهي تبدو منزعجة: "تعرفين أنه قد يلغي المشروع في الدقـــيقة الأخيـــرة، ألـــيس كذلك؟". وكانت ألكسا تكره أن يخيّب طوم أمل ابنـــتهما، وهو يفعل ذلك غالباً. تسامحه سافاناه على الدوام، لكن ألكسا لا تفعل؛ فهي تكره كل شيء يفعله وكل ما هو عليه.

تأففـــت ســـافاناه قائلة: "ماما". كانت تبدو تقريباً وكأنها الأم وليست الابـــنة. "تعرفين أنني لا أكون مسرورة حين تتصرفين بهذه الطريقة. ليس بـــيده حيلة، إنه مشغول". بم هو مشغول؟ أرادت ألكسا أن تسأل، ولكنها لم تفعل. أهو مشغول بتناول الغداء في ناديه، أم بلعب الغولف؟ أو ربما يكون مشغولاً بزيارة أمه بين اجتماعاتها في اتحاد الفتيات في الكونفدرالية. زمّت ألكسا شفتيها بقوة، فيما توقف المصعد أمام الردهة وخرجتا.

تنهدت ألكسا وقالت: "أنا آسفة". ثم قبّلتها. ليس الأمر سيئاً جداً الآن، بعـــد أن أصـــبحت سافاناه في السابعة عشرة من عمرها، لكن ألكسا كانت تغضب كثيراً حين كانت سافاناه صغيرة ولا يزورها والدها، فتمتلئ عيناها الـــزرقاوان الكبيرتان بالدموع، وتحاول جاهدة أن تبدو شجاعة. كان قلب ألكـــسا يـــتحطم لـــدى رؤيتها ابنتها في تلك الحالة، لكن سافاناه تستوعب المـــسألة بطـــريقة أفضل الآن، وتبرر لوالدها كل شيء يفعله تقريباً. "إذا تغيـــرت مـــشاريعه، فبإمكانـــنا أن نذهب إلى ميامي لتمضية عطلة نهاية الأسبوع، أو التزلج. سنتدبر أمرنا".

قالـــت سافاناه بصرامة: "لا حاجة إلى ذلك. لقد وعدني أن يأتي إلى هنا". أومأت ألكسا برأسها، وقبّلتا بعضهما قبلة الوداع بسرعة، ثم ركضت سافاناه نحو الحافلة، أما ألكسا فمشت نحو محطة القطار. كان الطقس بارداً جداً في الخارج والهواء مثلجاً. لا تشعر سافاناه بالبرد بقدرها، وبعد رحلة فـــي القطـــار مليئة بمحطات التوقف، وصلت ألكسا إلى العمل وهي تكاد تتجمد من شدة البرد.

رأت التحـــري جاك، وأحد مساعديه الشباب يتوجهان إلى مكتب جو ماكارثي، فيما كانت تتوجه إليه هي أيضاً مسرعة.

قـــال جـــاك بمرح: "اجتماع مبكر؟". كان جاك قد عمل معها كثيراً خـــلال الأعـــوام الـــسبعة الماضـــية، وهـــو يستلطفها كثيراً، ويرغب في مواعدتها، ولكنها بدت شابة جداً بالنسبة إليه. وهي تعرف حدودها، وليست امرأة تافهة، وعرف أن النائب العام يقدّرها كثيراً. لقد عمل معها جاك في قضية الاغتصاب الكبيرة قبل ثلاثة أشهر. ونجحا في تجريم المدعى عليه. هكذا تفعل ألكسا دوماً.

قالـــت ألكسا مع ابتسامة عريضة: "نعم، أرسل إليّ جو رسالة نصية فـــي اللـــيلة الماضـــية. ربما يريد مراجعة القضايا التي استلمتها مؤخراً. استلمت كل قضايا السرقات في نيويورك".

قال ضاحكاً: "رائع". وعرّفها إلى تشارلي، الذي قال *مرحبا*، ولكن لا شـــيء بعـــد ذلك. بدا شارد الذهن، كما لو أنه يفكر في شيء آخر. "عطلة جيدة؟". سأل جاك فيما وصلوا إلى مكتب النائب العام، وطلب من تشارلي الانتظار خارجاً.

"كانت هادئة. بقيت وابنتي في المنزل، وأخذت إجازة لمدة أسبوع، إذ كانـــت ابنتـــي تقـــدم طلبات إلى الجامعات. إنها سنتها الأخيرة في المنزل". قالت ذلك بحزن، فابتسم لها. إنها تتحدث عن ابنتها باستمرار. أما هو فمطلق، ولكن من دون أولاد، وهو سعيد لنسيان ذكرى مطلقته التـــي تزوجت شريكه قبل عشرين عاماً، بعدما خانته طوال عامين. لم يرغب جاك أبداً في الزواج مجدداً. ولطالما شك في أن ألكسا تفتقد إلى تلـــك الرغبة مثله. ليست امرأة متهورة، ولكنها تهتم كثيراً بعملها، ولا يعـــرف رجلاً واحداً في قسم الشرطة واعدها في يوم من الأيام. يظن أنهـــا خـــرجت مع أحد مساعدي النائب العام قبل خمسة أعوام، ولكنها تحـــتفظ بالأمـــر لنفسها ولا تتحدث أبداً عن حياتها الشخصية؛ باستثناء حديثها عن ابنتها.

لاحظت ألكسا أن الشرطي الذي يرافقه شاب ومندفع. وجعلتها النظرة الجادة على وجهه تبتسم. يبدو الشرطيون شباباً على الدوام بالنسبة إليها.

دخل جاك وألكسا إلى مكتب جو ماكارثي في الوقت نفسه، فيما انتظر تشارلي خارجاً. بدا النائب العام سعيداً لدى رؤيته إيّاهما معاً. كان رجلاً وسيماً، من أصول إيرلندية، ذا شعر أبيض كثيف يتركه دوماً طويلاً نوعاً ما. قال إن شعره أبيض منذ أن كان في الجامعة؛ وبدا ملائماً له. كان يرتدي سروال جينز وسترة تويد قديمة، وقميص رعاة بقر، وينتعل جزمة رعاة بقر. يشتهر جو بارتدائه الأزياء الغربية، حتى في اجتماعاته مع عمدة المدينة.

سأل النائب العام: "هل تحدثتما في طريقكما إلى هنا؟". ونظر إلى جاك الذي هزّ رأسه نافياً. إذ لم يكن جاك يحب أن يتعدى على صلاحيات النائب العام، وكان الأخير يعرف ذلك جيداً.

سألت ألكسا باهتمام: "هل لدينا قضية جديدة؟".

"نعم، أجلت الإعلان عنها في الصحف إلى يوم آخر، إلى أن نتأكد من كل شيء". ثم قال بعد أن جلسوا: "قد يتسرب الخبر إلى الصحف بعد ظهر اليوم، وعندئذ ستفلت الأمور من السيطرة".

أشرق وجه ألكسا وسألته: "أي نوع من القضايا؟ أتمنى ألا تكون سرقة أخرى. أكره العطلات". وقالت وهي مشمئزة: "لا أعرف لماذا لا يعطونهم ما يريدونه ثم ينسون الأمر. ينفق دافعو الضرائب أموالاً أكثر بكثير من القيمة المسروقة".

ابتسم جو ماكارثي ونظر نحو جاك قائلاً: "أظن أننا سنستعمل مال دافعي الضرائب بطريقة جيدة في هذه القضية. اغتصاب وقتل. ضرب أربعة".

"ضرب أربعة؟!". بدت ألكسا محتارة.

"قاتل محترف يقتل نساء شابات. تلقينا معلومات سرية. لم تكن الأمور واضحة تماماً في البداية، ثم بدأت الجثث تظهر شيئاً فشيئاً، وأصبح هناك

معنى للمعلومات التي حصلنا عليها. تم تخصيص قوة صغيرة لمطاردته من ولاية إلى أخرى خلال الأشهر الستة الماضية، لكنهم لم يتمكنوا من إلقاء القبض عليه. لم يكن لدينا إلا ضحايا من دون أي دليل يثبت تورطه في عمليات القتل والاغتصاب هذه. جاءتنا معلومات من مخبر سري في السجن، لكن لم يكن هناك دليل لدعم المعلومات لأكثر من سنة. أظن أن لوك أخبر أحدهم عن أفعاله قبل أن يغادر السجن، وتواترت المعلومات إلى أن وصلت إلى رجلنا. الرجل محتال جداً. لم نكن نملك أي أدلة دامغة ضده حتى الأسبوع الماضي، والآن ألقينا القبض عليه بتهمة جريمتين مؤكدتين على الأقل، وربما جريمتين إضافيتين. سنحاول إثبات الجرائم الأربع. هذه مهمتكما". ثم نظر إلى كل من جاك وألكسا اللذين كانا يصغيان باهتمام. ثم ذكر أن تشارلي ماكافوي، الشاب الذي ينتظر في الخارج، كان من بين أعضاء الفريق الذي تولى مهمة تتبع أثر لوك وإلقاء القبض عليه. كما قال إن المشتبه به عبر حدود الولايات، ولذلك تدخل مكتب التحقيق الفدرالي في الأمر، لكن جاك وتشارلي هما من ألقيا القبض عليه في الليلة الفائتة. "تم قتل الضحايا الأربع في نيويورك، ولذلك فإن القضية قضيتنا".

سألته ألكسا: "ما اسمه؟ هل رأيناه قبلاً؟". كانت ذاكرة ألكسا قوية، ولم تكن تنسى أي وجه أو اسم، على الأقل لغاية الآن.

"لوك كانتن. خرج من سجن أتيكا قبل عامين. قام ببعض السرقات في القسم الشمالي من الولاية. لم نحضره قطّ إلى محكمتنا أو أي شيء كهذا قبلاً. يبدو أنه أخبر أحداً في سجن أتيكا أنه يحب أفلام الرعب ومشاهدة النساء وهنّ يمتن في أثناء ممارسة العلاقات الحميمة، وأراد تجربة ذلك بنفسه عند الخروج من السجن. إنه رجل مخيف فعلاً". ابتسم حينها لألكسا قائلاً: "إنه رجلك". فتحت ألكسا عينيها، وابتسمت. إنها تتحمس للقضايا الصعبة، ولإدانة الأشخاص الذين يستحقون العزل عن المجتمع إلى الأبد. لكنها لم تستلم قطّ قضية بهذا السوء. أربع تهم بالاغتصاب والقتل معاً؛ إنها من دون شك قضية مهمة.

"شكراً لك جو". وعرفت أن منحها هذه القضية فيه ثناء لها.

"أنت تستحقينها لأنك بارعة في ما تفعلينه. لم تخذليني قطّ. سنحصل على تغطية إعلامية كبيرة في هذه القضية. لذا، علينا الانتباه إلى كل شيء. لا نريد أن يحصل الرجل على عفو لأننا أخطأنا. المهمة الأساسية هي جمع المعطيات من الولايات الأخرى التي كان متواجداً فيها. إذا كان هو نفسه من نظنه، فلقد نفذ مسلسل القتل طوال العامين الماضيين. والقصة نفسها تتكرر معه على الدوام. في البداية، تختفي ضحاياه، ثم نعثر على الجثث، ولكن من دون أي طريقة لربطها به. ولكن، كنا محظوظين في الأسبوع الماضي. فقد عثرنا على ضحيتين، وحين وصل ماكافوي إلى غرفة في الفندق، أخذ عينة من الوحل المتساقط من حذائه على السجادة. كان هناك دم جاف عليها، ونحن ننتظر التطابق النهائي لفحص الدي أن أيه؛ إنها بداية. وهناك ضحيتان أخريان تم قتلهما بالطريقة نفسها تماماً؛ اغتصاب وخنق في أثناء العلاقة. عثرنا عليهما في إيست ريفر، كما عثرنا على شعرتين على سجادته تطابقتا أيضاً مع شعر الضحيتين. وهكذا، صار لدينا أربع ضحايا. على كل حال، سيكون لديكما الكثير من العمل. سيتولى جاك التحقيق، وستتولين أنت القضية". ثم تابع وهو ينظر إلى ألكسا: "الاستدعاء إلى المحكمة عند الساعة الرابعة".

قالت ألكسا وهي تبدو قلقة: "سننهمك كثيراً". وأصبحت تواقة إلى الخروج من المكتب، والشروع في القراءة عن القضية. فهي تريد التأكد من عدد الأدلة التي يستطيعون اتهامه بها اليوم، بالرغم من أنهم يستطيعون إضافة المزيد من التهم لاحقاً لدى تلقيهم المزيد من المعلومات، والمزيد من المطابقات من الأدلّة الجنائية، وفي حال ظهور المزيد من الجثث عند شروعهم في التحقق من الجرائم غير المكشوفة. كل ما تريده الآن هو وضع لوك كانتن بعيداً. هذا ما يدفع لأجله دافعو الضرائب. وهي تحب مهنتها، وتحب أن تمارسها بأفضل طريقة.

بعد دقائق قليلة، تركا مكتب النائب العام الذي تمنى لهما الحظ. ولحق بهما تشارلي إلى خارج المكتب، فأرسله جاك للتحقق من سير العمل في مختبر الأدلة الجنائية، وقال له إنه سيراه لاحقاً. أومأ تشارلي برأسه، واختفى.

قالت ألكسا: "إنه رجل هادئ".

طمأنها جاك: "إنه جيد في ما يفعله". ثم قرر مشاركتها بعض المعلومات الخاصة. "هذه قضية صعبة بالنسبة إليه".

"لماذا؟".

"إذا كان لوك هو القاتل فهو مسؤول عن قتل أخت تشارلي في أيوا في العام الماضي. كانت جريمة بشعة جداً، وبعد ذلك، أقحم تشارلي نفسه في حملة البحث عنه. توجب عليه بذل جهد كبير لإقناعهم بالسماح له بفعل ذلك، لأن إلقاء القبض عليه يعتبر ثأراً شخصياً بالنسبة إليه. لكنه شرطي رائع، ولذلك سمحوا له بالمشاركة في القضية".

فيما كانا يتوجهان إلى مكتبها قالت ألكسا وهي تبدو قلقة: "ليس هذا أمراً جيداً أحياناً. إذا أراد مساعدتنا، فعليه أن يعمل على إبقاء ذهنه صافياً. لا أريده أن يسيء فهم المعلومات أو يتصرف بحماسة شديدة لأنه يريد النيل منه. فقد يفسد هذا قضيتنا". لم تحب ما سمعته للتو؛ إذ إنها تريد أن يكون كل شيء في هذه القضية مثالياً، بحيث لا يمكن الطعن أبداً في قرار الإدانة الذي ستصدره. وعرفت أنها تستطيع التوصل إلى قرار إدانة. فهي لا تعرف الهوادة أبداً، كما أنها دقيقة جداً في عملها. لقد تعلمت ذلك من أمها التي كانت محامية بارعة أيضاً. لم تذهب ألكسا إلى كلية القانون إلا بعد طلاقها. تزوجت مباشرة بعد تخرجها من الثانوية من الرجل الأول والوحيد الذي أحبته. فقد كانت مغرمة به بجنون. إذ كان طوم بومونت رجلاً جنوبياً وسيماً، درس في جامعة فيرجينيا، وكان يعمل، نوعاً ما، في مصرف والده في تشارلستون، حيث تم الاحتفاظ بروح الكونفدرالية جزئياً من قبل اتحاد الفتيات في الكونفدرالية، الذي كانت والدة طوم رئيسة الفرع

المحلي له، وهي سيدة محترمة جداً. كان طوم مطلقاً، ولديه ولدان صغيران رائعان في عمر السابعة والثامنة آنذاك. وقعت فوراً في غرامهما، وفي غرام طوم، وفي كل شيء متعلق بالجنوب. كان الرجل الأكثر جاذبية الذي عرفته في حياتها. كان أكبر منها بست سنوات، وقد حملت منه في ليلة زفافهما. كان كل شيء مثالياً بالنّسبة إليهما طوال سبعة أعوام، وكانت المرأة الأكثر سعادة، والزوجة المثالية. ثم عادت لويزا، زوجته السابقة، حين مات الرجل الذي تركته لأجله في حادث سيارة في دالاس. نشأت الحرب الأهلية مجدداً، وخسر الشمال هذه المرة، وربحت لويزا. تبين أن والدة طوم هي الحليفة الأقوى للويزا، ولم تملك ألكسا أي فرصة للفوز. لإنهاء الصفقة، حملت لويزا، فيما كان طوم يتسلل لرؤيتها، مفتوناً بها مجدّداً، تماماً مثلما كان حين التقيا في الثانوية. أظهرت والدة طوم لابنها حقيقة واجباته، ليس فقط تجاه الكونفدرالية، وإنما أيضاً تجاه المرأة التي تحمل طفله، وأم *ولديه*. أصبح طوم ممزقاً بين المرأتين، وشرب كثيراً فيما حاول إيجاد حل. في النهاية، كانت لويزا أم أولاده الثلاثة، فيما ألكسا أم ابنة واحدة. استمرّت أمه في تذكيره بذلك، وأقنعته أن ألكسا لم تنسجم قطّ مع طريقة عيشهم.

حصل كل شيء كما في فيلم سيئ جداً؛ وكان كابوساً حقيقياً في الحياة. تحدث كل من في المدينة عنه، وعن علاقته بزوجته الأولى. شرح طوم لألكسا أنه مجبر على طلاقها للزواج من لويزا. فهو لا يستطيع أن يجعل المولود القادم غير شرعي في النهاية، أليس كذلك؟ وعدها بتسوية الأمور ما إن تنجب لويزا الطفل، لكنها باتت حينها تدير حياته مجدداً، وبدا أن الجميع نسوا، بمن فيهم طوم، أنه كانت هناك زوجة أخرى وطفلة. فعلت ألكسا كل ما بوسعها لإعادته إلى رشده والتحدث معه عن الحماقة التي يرتكبها، ولكنها لم تنجح. كان طوم مصمماً على قراره، وأصرّ على أن الزواج من لويزا هو الخيار الوحيد لصالح الطفل. إنه الخيار الوحيد الذي رآه.

شعرت ألكسا وكأن قلبها قد انفصل عن جسمها حين غادرت تشارلستون. في الحقيقة، كانت لويزا تحضر أغراضها فيما وضّبت ألكسا أغراضها. أخذت سافاناه وقلبها المحطم، وعادت إلى نيويورك، وأقامت مع أمها عاماً كاملاً. شهد الطلاق تقلبات عدة في تلك الفترة، ولم يعرف طوم كيف يشرحه لها، لكنه قال إنه من الأفضل ترك الأشياء على حالها. هذا أفضل له، وللويزا، ولأمه، وللفتاة الصغيرة التي أنجبتها لويزا. تم طرد ألكسا وسافاناه، فعادتا إلى الشمال؛ من حيث جاءتا.

منعت لويزا طوم من إعادة سافاناه إلى تشارلستون، حتى للزيارات، وسيطرت عليه كلياً. ومنذ ذلك الحين، كان طوم يأتي إلى نيويورك لرؤية ابنته مرات عدة في السنة؛ حين يأتي للعمل عادة. راسلت ألكسا ولَدَيْ زوجها لبعض الوقت، واللذين كانا قد أصبحا في الرابعة عشرة والخامسة عشرة حين غادرت، وكانت تشعر بالقلق عليهما. ولكنهما ليسا ولديها، وأحسّت من خلال رسائلهما أنهما ممزقان بين أمّيهما. وفي غضون ستة أشهر تضاءلت الرسائل، ثم توقفت نهائياً. عندئذ، بدأت ألكسا ترتاد كلية الحقوق، وحاولت إخراجهم جميعاً من قلبها؛ جميعهم باستثناء ابنتها. كان من الصعب عدم مشاركة غضبها مع سافاناه. حاولت ألا تفعل ذلك، لكن ابنتها البالغة من العمر ست سنوات، أحسّت بفداحة جرح أمها. كان والدها مثل الأمير الوسيم حين يأتي لرؤيتها، وكان يرسل إليها الهدايا الجميلة. ولكن، في النهاية، عرفت سافاناه أنه غير مرحب بها في حياة والدها. لم تكرهه بسبب ذلك، ولكنّ هذا جعلها حزينة أحياناً. أحبت الوقت الذي تمضيه برفقته، فقد كان التواجد معه ممتعاً كثيراً. إذ إنّ الضعف القاتل الذي أعاده مجدداً إلى شرك لويزا لم يظهر حين كان يزور ابنته في نيويورك. كل ما ظهر هو طلته الوسيمة، ومرحه، وتهذيبه، وفتنته. كان مثال الرجل الجنوبي النبيل، وأشبه ما يكون بنجم السينما. وقعت ألكسا في غرامه، وكذلك فعلت سافاناه.

كانــت ألكسا تقول لأمها عندما لا تكون سافاناه معها: "إنه رجل من دون عمــود فقــري". كانت أمها تشعر بالأسى عليها، وتذكّرها بضرورة تجنّب التعصب، لأن هذا لن يفيد أحداً وسيؤذي ابنتها. عندها، كانت ألكسا تصرخ في وجهها قائلة: "إنّ سافاناه ليس لديها والد".

فــتقول لها أمها بطريقة عملية: "ولا أنت أيضاً". فقد مات والد ألكسا بــنوبة قلبية في ملعب كرة المضرب حين كانت في الخامسة من عمرها، بــسبب شــذوذ خلقي لم يعرفه أحد أو يشك فيه. كانت أمها شجاعة جداً، وذهــبت إلى كلية الحقوق، مثلما فعلت ألكسا. ولكن هذا لم يكن بديلاً عن الــزواج الجــيد، الزواج الذي ظنت ألكسا أنها حظيت به ولكنها لم تفعل. كانت موريال هاملتون فخورة بابنتها، وتقول لها دائماً: "وأنت على ما يرام أيضاً". فلقد حاولت ألكسا أن تتخطى وضعها السيئ بأفضل طريقة ممكنة، ولكــن هــذا ألقى بثقله عليها، ولاحظت أمها الأمر. أحاطت ألكسا نفسها بقــوقعة خارجــية صــلبة لا يستطيع أحد اختراقها باستثناء ابنتها وأمها. واعدت عدداً قليلاً من الرجال بعد الطلاق؛ ومن بينهم مساعد النائب العام، وأحــد المحققين، وشقيق صديقة لها في الجامعة. ولكنّ علاقاتها استمرت لفترة وجيزة. ففي معظم الأوقات، لم تشأ مواعدة أحد، وركزت كل انتباهها على سافاناه. إذ لم يكن هناك ما هو مهم بالنسبة إليها، باستثناء عملها الذي كانت مغرمة به، وابنتها الصغيرة سافاناه.

فحــين غــادرت ألكــسا تشارلستون، قطعت وعداً على نفسها بعدم الــسماح لأحــد بأن يحطم قلبها مجدداً. لن يستطيع أحد العثور عليه، فلقد خبّأته في خزنة محصنة، وهو غير متاح إلا لابنتها. ما من رجل سيقترب منها مجدداً ويؤلمها. ثمة جدار حول ألكسا؛ ارتفاعه ميل تقريباً، والشخص الوحيد الذي يملك مفتاح الباب الذي يوصل إلى قلبها هو سافاناه فقط. ابنتها هــي نور حياتها، ولم يكن هذا سراً. فمكتبها مليء بصورها، وهي تمضي كــل عطلات نهاية أسبوع وكل دقيقة فراغ معها، وتكون في المنزل معها كــل ليلة. الجزء الصعب في حياتها سيبدأ حين تغادر سافاناه إلى الجامعة

في الخريف. اقترحت ألكسا بحذر جامعة نيويورك أو بارنار، لكن سافاناه أرادت الــذهاب بعيداً للدراسة في الجامعة. بقي لديهما تسعة أشهر للعيش معاً، وللاستمتاع برفقة بعضهما. حاولت ألكسا عدم التفكير في ما سيجري بعد ذلك، إذ ستكون حياتها فارغة حينها، فسافاناه هي كل ما لديها وكل ما تريده.

انكــبّت ألكسا على دراسة الملفات التي يملكها جاك حول لوك كانتن بعــناية، فقــرأت عــن تاريخه في الاغتصاب، وعن لائحة الضحايا التي يحاولون مطابقتها مع اللوائح المرسلة من ولايات أخرى. إنهم يراقبونه منذ أشــهر، وقــد نجــح شرطي في أوهايو في الوصول إلى رابط بينه وبين عمليات القتل تلك، ولكن ليس بطريقة حاسمة أو كافية لاحتجازه. فقد كان في المكان الصحيح وفي الوقت الصحيح، كما فعل في مناسبات عدة. كانت الجريمة في أوهايو أولى الجرائم التي جعلتهم يظنون أن كانتن هو رجلهم. إلا أنهــم لــم يملكوا أدلّة كافية لاعتقاله. فقد استدعوه للاستجواب حينها، وفعلوا ذلك مرة أخرى في قضية أخرى في بنسيلفانيا، ولكنّ ذلك لم يفضِ إلــى أيّ نتــيجة. لقــد ســخر منهم. ولكن، في الأسبوعين الماضيين في نــيويورك، بــات تشارلي ماكافوي واثقاً أنّ لوك هو المجرم، وذلك حين عثــروا على جثتي امرأتين شابتين، وأخرجوا جثتين أخريين من النهر بعد ذلــك. إنهنّ بالضبط من النساء اللواتي يفضلهنّ كانتن، وقد قضين نحبهنّ جميعاً بالطريقة نفسها؛ بالاغتصاب والخنق. لا توجد أدلّة أخرى تشير إلى سوء معاملة. فهو لا يطعنهنّ أو يضربهن، بل يغتصبهنّ ويقتلهنّ في أثناء ذلك. الجروح الوحيدة التي وجدت على جثث ضحاياه باستثناء الرضوض على الأعناق نتيجة الخنق كانت جروحاً وخدوشاً حصلت بعد الموت، حين قام المعتدي بجرّهنّ بعيداً. تلك الجروح والخدوش هي التي أدّت إلى وجود الدم الذي احتاج إليه مختبر الأدلّة الجنائية لفحص الدي أن أيه.

تمعنت ألكسا في الملفات التي وصلت من ولايات أخرى بعد اعتقال كانــتن فــي اللــيلة الفائتة. إنهم يحاولون التأكد من قتل كانتن دزينة من

الضحايا. كانت صور الفتيات اللواتي تم قتلهنّ مؤلمة فعلاً، فلقد بدون جميعاً مثل أخت تشارلي. إذ كانت هناك صورة لها بين الصور أيضاً. تراوحت أعمار كل الضحايا بين ثمانية عشر عاماً وخمسة وعشرين عاماً، ومعظمهن شقراوات ذوات مظهر متماثل. فجميعهنّ فتيات شابات جميلات، تم اغتصابهن قبل قتلهن. والرضوض على أعناقهنّ تظهر أنه تم خنقهنّ جميعاً، فيما المعتدي عليهن يغتصبهنّ، وهذا ما يتطابق مع رغبته المفترضة في تمثيل *أفلام رعب اباحية* وقتل النساء في أثناء إقامته علاقة حميمية معهن. كل النساء الشابات يملكن أهلاً وأصدقاء يحبونهنّ، وإخوة وأخوات وأحباباً تغيرت حياتهم إلى الأبد بعد وفاتهنّ. بعض الجثث لم يتم العثور عليها لغاية الآن، ولكن تم العثور على العديد من الجثث. بعض النساء اختفين بكل بساطة، ولا يعرف أحد بالضبط إذا كنّ قد توفين، إلاّ أن الكمبيوتر اعتبرهن ضحايا، فهنّ يملكن مظهراً مماثلاً للنساء الأخريات. في الإجمال، بعد احتساب النساء اللواتي لم يتم العثور عليهن، هناك تسع عشرة ضحية. تم العثور على جثث اثنتي عشرة امرأة، فيما لا تزال سبع جثث مختفية.

فإذا كان لوك كانتن هو القاتل، فإنّ لديه تفضيلاً واضحاً لنوع معين من النساء. وإذا لم يكن الفاعل، فالقاتل يحب نوعاً معيناً من النساء: المرأة الشابة الشقراء، الجميلة والطويلة والنحيلة عادة. إنّ العديد منهنّ كن عارضات أزياء أو ملكات جمال، ومحطّ فخر مجتمعهن. فقد كنّ فتيات شابات سعيدات في طريقهن إلى تحقيق النجاح، إلى أن التقينه. لم يكن يختار النساء الرخيصات، أو يقتل الساقطات، بل كان في حالة ثورة، ويبحث عن مثال الفتاة الأميركية التي تركت وراءها أهلاً محطمين ومصدومين وغاضبين في ولايات عدة. جاك وتشارلي وسائر أفراد فريق التحقيق والحملة العسكرية مقتنعون أنه هو القاتل الذي يبحثون عنه. وهم يحتاجون الآن إلى إثبات ذلك، ويعتبر الدم الجاف الذي وجد ملتصقاً بنعلي حذائه، والشّعرتان اللتان عثر عليهما على سجادته بمثابة الخطوة الأولى

لتحقيق ذلك. لقد كان هذا أول دليل لديهم، لكنه كل ما يلزم. إذ إن هفوة واحدة من قبل القاتل، وتفصيلاً صغيراً منسيّاً يؤديان إلى تهاوي منزل الورق، ويقودانهم إلى رجلهم.

يصعب التصديق أن رجلاً واحداً يستطيع قتل العديد من النساء، لكن هذا ما حصل. ثمة أشخاص مرضى في العالم. ومهمة جاك هي العثور عليهم، أمّا مهمة ألكسا فهي عزلهم بعيداً. وعرفت فيما كانت تنظر إلى الصور الفوتوغرافية أنها ستعزل لوك كانتن إذا كان هو القاتل. وفي هذه الحال، ستكون ألكسا عديمة الشفقة ولن يوقفها شيء عن إدانته.

سيكون ذلك عزاء صغيراً للعائلات التي خسرت بناتها. وهي تعرف أنه في العديد من الحالات، كانت العائلات متسامحة بشكل مذهل، وتحدثت مع القتلة وقالت إنها تسامحهم. لم تفهم ألكسا ذلك قطّ، بالرغم من أنها رأته غالباً. فهي متأكدة من أنه إذا حصل أي شيء لسافاناه، فلن تسامح أبداً الشخص الذي آذاها. إنها لا تستطيع مسامحته، ومجرد التفكير في ذلك جعلها ترتجف.

ذهب جاك معها إلى جلسة الاستدعاء إلى المحكمة عند الساعة الثالثة والنصف. كانت قد قرأت كل الملفات حينها، وعرفت تاريخ كانتن. راقبته حين أحضروه إلى قاعة المحكمة مقيداً بالأغلال وهو يرتدي بذلة برتقالية. كان ينتعل حذاء السجن القماشي، إذ تم أخذ جزمته لتستعمل كدليل قضائي عند تحليل ما هو ملتصق بها.

راقبته ألكسا وهو يتحرك في قاعة المحكمة. كان رجلاً طويلاً وقوياً ورشيقاً. تحرك بكبرياء صعقتها لحظة رأته. لم تعرف لماذا فكّرت في الأمر، ولكن ثمة شيء مثير فيه. استطاعت فهم سبب انجذاب الفتيات إليه، أو وقوعهن في شرك الذهاب إلى مكان هادئ للتحدث إليه. لم يكن يبدو منذراً بالسوء، وإنما بدا جذاباً ووسيماً ومغرياً، إلى أن تنظر إلى عينيه وتلاحظ أنهما باردتان. إنهما عينا رجل لا يوقفه شيء. ونظراً إلى كونها مدّعياً عاماً، فقد رأت ألكسا مثل هاتين العينين قبلاً. تحدث بعفوية مع

محامية الدفاع العام التي تم تعيينها له. ورأته ألكسا يضحك. بدا أنه غير منزعج أبداً من وجوده هناك، بالرغم من أنه متهم بأربع جرائم اغتصاب وقتل. جريمة من الدرجة الأولى، مع سابق تصور وتصميم، ومع وجود نية في القتل. كانوا يتلون عليه حقوقه، وعند صدور حكم العقوبة – إذا تمت إدانته – ستطلب من القاضي عدم إدغام العقوبات بل تنفيذها بشكل متتالٍ. وإذا استطاعت ألكسا التدخل في ذلك، فسيبقى في السجن طوال مئة السّنة المقبلة على الأقل، وأملت أن تتمكن من تحقيق ذلك. ستكون هذه قضية طويلة ومعقدة أمام القضاء إذا لم يعترف بذنبه، علماً أن الرجال أمثاله لا يفعلون ذلك عادة. إنهم يواجهون الادعاء بوقاحة، وليس لديهم أي شيء ليخسروه. ليس لديهم أي شيء باستثناء الوقت ومال دافعي الضرائب لإنفاقه. وفي بعض الحالات، تكون المسألة حلبة إعلامية يستمتعون بها. بدا لوك كانتن غير منزعج على الإطلاق، وفيما انتظروا خروج القاضي من غرفته، استدار كانتن ببطء في كرسيه ونظر مباشرة إلى ألكسا. كانت يداه مكبلتين، وقدماه مربوطتين بالأغلال، فيما وقف حارس السجن قربه. حدقت عيناه مباشرة إلى ألكسا كما لو أنه يستطيع أن يعرف ما يجول في فكرها؛ كأشعة إكس، وشعرت ألكسا برجفة في عمودها الفقري، فعندما نظرت إلى تينك العينين، شعرت بالرعب. وبعد لحظات، حوّلت نظرها عنه، وقالت شيئاً لجاك الذي أومأ برأسه. فجأة، بدا من السهل التصديق أن كانتن قد قتل تسع عشرة امرأة، أو ربما أكثر. كان تشارلي ماكافوي يجلس في قاعة المحكمة وهو يحدّق إليه، ويرغب في قتله. لقد رأى جثة أخته وما فعله القاتل بها، وكل ما يريده الآن هو العدالة. ما من عقاب سيكون كافياً بالنسبة إلى تشارلي.

وبعد ذلك، خرج القاضي من مكتبه، وتحدثت ألكسا نيابة عن سكان ولاية نيويورك، وتلت التهم. فأومأ القاضي برأسه وهو يصغي، وتحدّثت محامية الدفاع نيابة عن المدعى عليه، وقالت إنه ليس مذنباً، ولم يرتكب أيّ خطأ؛ وهذا إجراء قياسي. وكان هذا الأمر يعني أنه لن يعترف بالذنب

أو بالتهمة الموجهة إليه في الوقت الحاضر، ولكن لم يتم عرض أي شيء، إذ لا يزال الوقت مبكراً جداً. لم تحصل أي محاولة لطلب إطلاق سراحه مقابل كفالة مادية، ليس وهو متهم بارتكابه أربع جرائم اغتصاب وقتل، وقالت ألكسا إنهم سيطلبون الإدانة من المحكمة العليا. وبعد دقائق قليلة، غادر كانتن من الباب الذي يدخل منه السجناء، وتم اصطحابه إلى السجن. ولكنه قبل أن يغادر الغرفة مباشرة، استدار ونظر إلى ألكسا مجدداً، وابتسم ابتسامة مستهزئة، ثم خرج عبر الباب الذي فتحه حارس آخر. بدا وكأنه يتمعن في ألكسا التي كانت أكبر منه سناً، وبضعف عمر ضحاياه، ولكنّ نظرته قالت إنه يستطيع الحصول عليها لو أراد ذلك. شعرت ألكسا أنه ما من امرأة تستطيع أن تكون بمأمن من هذا الرجل. إنه بمثابة *تهديد للمجتمع*، وهو متعجرف جداً. ما من شيء فيه يوحي بالندم أو الخوف أو حتى القلق. بدا مثل رجل كبير ووسيم لا يكترث أبداً بالعالم، ويستطيع فعل ما يريده، أو التصرّف بالطريقة التي يرغب فيها.

لم يكن هناك أي صحافي في قاعة المحكمة، إذ لم يتم إصدار أي بيان بعد، لكن ألكسا عرفت فوراً أن الإعلام سيتابع هذه القضية، وشعرت بعدم الارتياح حين غادرت قاعة المحكمة. إذ شعرت وكأنه مرّر يديه عليها، وأرادت ضربه. كانت لا تزال تشعر بذلك حين ارتدت معطفها في مكتبها بعد ساعة، وصعدت إلى الأعلى نحو قاعة محكمة أخرى. لا تزال المحاكمة جارية، وكانت قاضية تتولى المحاكمة هذه المرة، وتدين رجلاً كان منحرفاً في تربية ولده خلال الأشهر الستة الأخيرة. هددته بوضعه في السجن، ووعدها بدفع المال له فوراً. إنها محكمة الأحوال الشخصية، وفيها تم الكشف عن الكثير من المآسي، كما هي الحال دوماً.

انتظرت ألكسا حتى رُفِعت الجلسة، ولحقت بالقاضية إلى مكتبها. طرقت على الباب، وفتحته فيما كانت القاضية تخلع ثوب القضاء. كانت ترتدي تنورة سوداء وكنزة حمراء، وكانت امرأة جذابة في بداية العقد السادس من عمرها. ابتسمت فوراً لألكسا، واقتربت منها لمعانقتها.

"مرحبا حبيبتي. ماذا تفعلين هنا؟". لم تعرف ألكسا السبب الذي دفعها إلى المجيء إلى مكتب القاضية، ولكنها أحست بالحاجة إلى القيام بذلك بعد أن راقبت لوك كانتن في المحكمة.

"استلمت للتو قضية كبيرة وذهبت إلى جلسة الاستدعاء في المحكمة. الرجل مخيف جداً، وقد أرعبني".

سألت القاضية باهتمام: "أي نوع من القضايا؟".

"إنه قاتل ومغتصب. يبدو أنه يصطاد النساء الشابات اللواتي تتراوح أعمارهن بين ثمانية عشر عاماً وخمسة وعشرين عاماً. لدينا تسع عشرة جريمة نحاول ربطها به، منها أربع جرائم أكيدة حصلت هنا في نيويورك. أتمنى أن نتمكن من إثبات سائر الجرائم عليه، ولكننا لسنا متيقّنين بعد من ذلك". ذُهلت القاضية مما سمعته. وكان قد كتب اسمها على اللافتة فوق مكتبها، وهو موريال هاملتون. إنها والدة ألكسا التي تعمل قاضية في محكمة الأحوال الشخصية.

"يا الله، أنا مسرورة لأنني لا أتلقى مثل هذه القضايا. فهذا الأمر يشعرني بالقرف. فمن المؤسف كفاية رؤية رجال لا يعيلون أولادهم وإنما يشترون لأنفسهم سيارات بورش جديدة. أجبرت واحداً منهم على بيع سيارته لدفع المال إلى زوجته السابقة. قد يكون الرجال أوغاداً حقيقيين أحياناً. لكن هذا يبدو مقرفاً".

صرّحت ألكسا: "ما إن نظرت إليه وأنا مدركة الحقائق التي أعرفها عنه حتى شعرت بالخوف منه حتى الموت". لم تكن تفصح عن مشاعرها إلى أيّ كان باستثناء أمها. فهي لا تكشف عادة عن هذا النوع من ردّ الفعل، ولكنّ تعجرفه، ونظراته العدائية تجاهها جعلاها تشعر فعلاً بالخوف.

فقالت لها أمها: "كوني حذرة".

"لن أكون معه بمفردي ماما". فابتسمت لها ألكسا. فقد كانت تحب حقيقة قدرتهما على التحدث عن العمل، بالإضافة إلى الأشياء الأخرى. لقد

أنقذت أمها حياتها عندما عادت من تشارلستون. كانت فكرتها هي أن تذهب ألكسا إلى كلية الحقوق، وكانت محقة كالعادة. ثمّ طمأنت أمها قائلة: "يحضرونه إلى المحكمة مقيداً بالأغلال". لكن أمها بقيت قلقة.

"أحياناً يملك مثل هؤلاء الرجال أصدقاء. وبصفتك مدّعياً عاماً، ستكونين محط تركيز كل غضبه إذا أدنته وقدته إلى المحاكمة. إذا فعلتِ ذلك فستكونين برأيه سبب وجوده في السجن. وستأكلك الصحافة وأنت حية في قضية كهذه أيضاً". وكانت تدرك أنها محقّة في ذلك.

"يبدو أنه لا يكترث بتواجده في السجن. والرجل الذي خسر سيارة البورش سخر منك أنت أيضاً". توجب على أمها مرة أو مرتين إحضار نائب الشريف إلى منزلها لتأمين الحماية لها خلال قضية صعبة. ضحكت أمها على ما قالته ألكسا. وبعد قليل، قالت ألكسا: "هل تريدين المجيء لتناول العشاء غداً؟".

بدت أمها محرجة قليلاً. "لا أستطيع. لديّ موعد عاطفي".

"أنت وسافاناه. لا أستطيع اللحاق بكما".

"لا، ولا تحاولين ذلك أيضاً. متى كانت آخر مرة خرجت فيها في موعد؟".

"في العصر الحجري. أظن أن الأشخاص حينها كانوا يحملون العصي ويرتدون الفرو". نظرت ألكسا إلى أمها بحزن. فقد كانت موريال تتطرّق دوماً إلى الموضوع.

"ليس هذا مضحكاً. عليك أن تخرجي أكثر، وعلى الأقل أن تتناولي العشاء مع الأصدقاء". إذ كانت حياة ألكسا متمحورة حول العمل. فهي تعمل ثم تعود إلى المنزل لملاقاة ابنتها، وهذا كل شيء. وقلقت أمها عليها.

"لن أملك الوقت للخروج لبعض الوقت الآن. عليّ التحضير لهذه القضية".

"تبتكرين دوماً عذراً ما. أكره استلامك مثل هذه القضايا. لماذا لا تحصلين على وظيفة محترمة؟". مازحتها أمها. "مثل قانون الضرائب أو

تخطيط العقارات، أو حقوق الحيوانات أو ما شابه. لا أحب فكرة ملاحقتك مجرمين محترفين".

طمأنـــتها ألكـــسا: "ســـأكون بخير". لم تسألها عن هوية الرجل الذي ستخرج معه لأنها كانت تعرفه. فأمها تواعد القاضي شوارتزمان منذ أعوام عـــدة؛ منذ أن كانت ألكسا في الجامعة. وقبل ذلك، لم تخرج أمها كثيراً. إذ كانت مشغولة جداً في عملها وفي تربية ابنتها. والآن، تذهب برفقة ستانلي شـــوارتزمان إلى العشاء ودور السينما، ويختفيان بعيداً في بعض عطلات نهاية الأسبوع. وعرفت ألكسا أنه يمضي عادة ليلة السبت عندها. لا يريد أي مـــنهما الزواج، وقد نجحت هذه الطريقة معهما طوال أعوام. إنه رجل لطيف، أكبر من أمها بخمس سنوات ويقترب من سن التقاعد، لكنه حيوي، وبنيـــته جـــيدة. لديه ابنتان، وابن أكبر من ألكسا، وهم يخرجون أحياناً مع بعضهم في العطلات.

ارتـــدت أمها معطفها، وخرجتا من مبنى المحكمة معاً. كان الثلج قد بدأ يتساقط، فتشاركتا سيارة أجرة للذهاب إلى أعلى المدينة. أوصلت ألكسا أمها، ثم توجهت نحو شقتها. كانت تتلهف لرؤية سافاناه في نهاية يوم عمل طويل ومتعب، وعندما لم تجدها في المنزل خاب أملها. ولهنيهة، ارتجفت فـــي أعماقهـــا، وهي تفكّر في أنّ هناك رجالاً مثل لوك كانتن طليقين في العـــالم، فـــيما لا تزال ابنتها سافاناه بريئة جداً. إنها فكرة مرعبة، ولكنها أنـــارت الغـــرفة، وطـــردت الفكرة من رأسها. جالت ببصرها في أرجاء الغرفة، وأدركت أنه عند حلول فصل الخريف، سيكون المنزل كحاله الآن، إذ ســـيكون مظلماً وفارغاً حين تعود إليه، ولم تكن ترغب في ذلك. وبعد ذلك، وقفت ألكسا تفكر في الأمر بحزن. وفيما هي على تلك الحال اتصلت بها سافاناه وقالت إنها ستكون في المنزل قريباً، وإنها ستحضر معها بعض الأصـــدقاء. فأدركـــت ألكسا أن الأمور لا تزال على ما يرام. إذ إنّ لوك كانتن موجود في السجن حيث يجب أن يكون فعلاً، ولا تزال سافاناه جزءاً مـــن حـــياتها اليومية. أصدرت ألكسا تنهيدة ارتياح صغيرة، وجلست على

الأريكة، وأدارت التلفاز. وها هي، قصة لوك كانتن تتصدّر أخبار المساء. وشـــاهدت ألكـــسا صورة لها وهي تغادر قاعة المحكمة بعد الاستدعاء. لم تتنـــبه حتـــى إلـــى المـــصوّر الذي التقط لها الصورة. وذكر التقرير أنها المـــساعدة الرئيـــسة للنائب العام وقد لعبت دوراً كبيراً في إدانة العديد من المتهمين في عدد من القضايا الكبيرة. وكل ما استطاعت ألكسا التفكير فيه وهـــي تنظر إلى الصورة على شاشة التلفاز هو أن شعرها يبدو فوضوياً. وقالـــت لنفسها إنه لا عجب في أنها لم تخرج في موعد منذ أكثر من عام، وضحكت بصوت عالٍ فيما قلّبت المحطات، ورأت الصورة نفسها مجدداً. ها قد بدأ صخب وسائل الإعلام.

الفصل الثالث

فيما جلست ألكسا بمفردها في غرفة صغيرة مظلمة تراقب عبر جدار مغطى بمرآة من الجهتين، تم اصطحاب لوك كانتن إلى غرفة أكبر في الجانب الآخر. كان جاك جونز وتشارلي ماكافوي في انتظاره وهما يجلسان إلى طاولة طويلة. وكان هناك أيضاً ضابط الاعتقال الآخر بيل نيلي، برفقة شرطيين آخرين رأتهما ألكسا قبلاً ولكنها لا تعرف اسميهما. كان كلّ أعضاء فريق التحقيق موجودين، بالإضافة إلى بعض الأشخاص الذين شاركوا في حملة الاعتقال، والذين سيعملون معهم لاحقاً. ولكن، في الوقت الحاضر، هؤلاء هم رجال الشرطة الأساسيون المعنيون بهذه القضية. إنه صباح الاثنين، وبدا أنّ الجميع يشعرون بالانتعاش بعد عطلة نهاية الأسبوع.

وكما كانت الحال في جلسة الاستدعاء إلى المحكمة، تم اصطحاب كانتن إلى الغرفة وهو مقيد بالأغلال في يديه وقدميه. بدا هادئاً ومسيطراً على نفسه. وما إن جلس حتى نزع عنه نائب الشريف الذي رافقه أغلال اليدين، فنظر لوك إلى الرجال عند الجهة الأخرى من الطاولة. وسأل مبتسماً: "هل يملك أحدكم سيجارة؟". لم يعد هذا مسموحاً في غرف التحقيق، لكن جاك رأى أنّ التدخين ربما يجعل كانتن مرتاحاً. فأومأ برأسه، وأعطاه علبة سجائر وعلبة أعواد ثقاب. أشعل كانتن عود الثقاب، واستطاعت ألكسا أن تسمع بوضوح كل ما يقال وهي تجلس في الظلمة منتبهة ومتوترة. أرادت أن تتم جلسة الاستجواب جيداً. مجّ كانتن سيجارته مطولاً، وزفر ببطء سحابة من الدخان، ثم استدار مباشرة نحو النقطة التي

جلست فيها ألكسا، كما لو أنه شعر بها، وأحس بها، وعرف من دون ريب أنها هناك. وعبر الزجاج القاتم، التقت عيناه الملونتان عينيها، وابتسم ابتسامة ماكرة موجهة فقط إليها. عرف تماماً أنها موجودة هناك. فخطرت في بال ألكسا كلمة وقح. لم تكن واثقة ما إذا كان يقصد بنظرته تلك ملاطفتها أو صفعها، ولكنها شعرت بأنه يقصد الأمرين معاً. جلست على كرسيها منتصبة، ومن دون تفكير، بحثت عن سجائرها. لا يوجد أحد هنا ليراها. دخنت بين الحين والآخر وهي تراقب كانتن جيداً.

سأله جاك من دون أن يبدو على وجهه أي تعبير: "أخبرنا أين كنت خلال العامين الماضيين، في أي مدن، وأي ولايات؟". كانوا يعرفون بالضبط أين كان خلال الأشهر الستة الماضية، وأراد جاك التأكد من أن المشتبه به يخبره الحقيقة. وفعل ذلك. إذ ذكر لائحة من المدن والبلدات، في كل الولايات التي يعرفونها. "ماذا كنت تفعل هناك؟".

قال بتعجرف: "كنت أعمل، وأزور أصدقاء تعرفت إليهم في السجن. لست تحت المراقبة، لذا أستطيع أن أفعل ما أريده". أومأ جاك برأسه في إشارة إلى أنه موافق على ما يقوله. عرفوا أنه عمل كأجير في إفراغ البضائع. وفي إحدى الولايات عمل بالحصاد لأسابيع قليلة. كانت بنيته تساعده وتؤمن له العمل دوماً. ولكنها لم تكن لصالح ضحاياه، وكلفتهنّ حياتهنّ. يعرفون ذلك جيداً. بدا كانتن فظاً، ولكن لم يظهر تهديد بالعنف في سلوكه، ولم يكشف عن أي تاريخ عنف في السجن أو قبل ذلك. قال لوك إنه رجل محب للسلام، لكنه يواجه التحديات إذا تعرض للهجوم. تم طعنه بسكين ذات مرة، عندما كان يحاول فك شجار بين عصابتين متخاصمتين، لكنه غير مرتبط بأي عصابة ويعمل بمفرده.

اشتهر كانتن في السجن بكونه عدّاء سريعاً. فلقد ركض في حلبة السجن كلها، وكان يركض كل يوم في فناء السجن، واستمر في الركض بعدما خرج. راقبوه وهو يركض في الحدائق العامة مرات عدة، وعثروا على العديد من الضحايا هناك. ولكن، لم يتمكّنوا قطّ من إثبات علاقته بها.

إذ لم يكن هناك شهود على جرائمه. فحقيقة ركضه في الحديقة العامة نفسها لا تعني أن الضحايا قتلن على يديه. لم تكن هناك قطرة واحدة من السائل المنوي في جسد أي من النساء، مما يعني أنه استعمل الواقي الذكري، أو ربما كانت لديه إعاقة من نوع ما دفعته إلى الاغتصاب. كان ذكياً في ما يفعله إذا كان هو القاتل.

كان كانتن متعجرفاً وإنما غير متبجح. انتظر أسئلتهم وأجاب عنها بدقّة من دون زيادة أو نقصان. نظر إلى عيونهم، وبين الحين والآخر، كان ينظر إلى المرآة حيث كانت ألكسا تراقبه بجدّيّة. ومن دون أن تدرك ذلك، دخنت نصف دزينة من السجائر.

وبعد برهة، قال كانتن ضاحكاً وهو ينظر مباشرة إلى جاك: "تعرفون أنني لم أرتكب الجرائم". نظر إلى تشارلي ثم صرف النظر عنه فوراً. "تحتاجون أيها الرجال إلى شخص ما لإلصاق التهمة به، لكي تبدوا جيدين. أنتم تتملقون الصحافة".

قرر جاك التخلي عن اللياقة فيما كان ينظر إلى عيني كانتن. لا يوجد شيء فيهما، لا الذنب ولا الخوف، ولا حتى القلق. الشيء الوحيد الذي رآه هناك كان الازدراء. كان لوك يسخر منهم ويعتبرهم حمقى. حتى إنه لم يتصبب عرقاً، وهذا ما يفعله المشتبه بهم غالباً. كانت الإنارة قد جعلت الغرفة حارة، مما جعل رجال الشرطة الموجودين في الغرفة يتعرقون كثيراً، أما كانتن فبدا مرتاحاً. لكنهم يرتدون ملابس سميكة وسترات واقية من الرصاص، فيما يرتدي هو بذلة رقيقة، وبدا مرتاحاً تماماً.

أخبره جاك بهدوء: "كان هناك دم ملتصق على جزمتك بالإضافة إلى الوحل".

"وما الذي يعنيه ذلك؟". بدا كانتن غير مبالٍ على الإطلاق. "أنا أركض كل يوم، ولا أنظر إلى الأرض حين أركض. أدوس على الأوساخ، وعلى قذارة الكلاب، وبراز البشر كل يوم. يحتمل أن أكون قد ركضت فوق بقعة من الدم. لم يكن الدم على يديّ أليس كذلك؟". ولم يكن على

ملابسه أيضاً. لقد بحثوا عن الدماء في كل شيء يملكه. لكنّ الدم كان موجوداً فقط فوق الوحل الملتصق بحذائه. ويحتمل أنه يقول الحقيقة، بالرغم من أن هذا مستبعد. "لا يمكنكم احتجازي إلى الأبد. وإذا كان هذا كل ما لديكم، فلن تلتصق تهمكم بي. تعرفون ذلك تماماً بقدر ما أعرفه. يجب عليكم أن تفعلوا شيئاً أفضل من ذلك. أنتم حقيرون وتعرفون ذلك. لن يجدي التوقيف نفعاً".

قال جاك بثقة لم يكن يشعر بها تماماً: "سنرى. لن أعتمد على ذلك". يحتاجون إلى بعض الأدلّة القاطعة لاستعمالها في القضية. لديهم ما يكفي لتوقيفه، ولكن ليس ما يكفي لإدانته. يأملون أن يحصلوا على المزيد من الأدلة، مع بعض المعلومات المفيدة. فهم يملكون رجالاً جيدين في فريقهم، وربما تظهر معلومات جديدة، بالرغم من أن كانتن لا يبدو من نوع الرجال الذين يتكلمون كثيراً. إنه أكثر ذكاء من هذا، إلا أن الأدلة القضائية التي ينتظرونها ربما تكون كافية لإدانته.

استمر الاستجواب لساعات عدة، وتمحور حول مكان وجوده، وما فعله، والأشخاص الذين يعرفهم، ومن التقاهم، والنساء اللواتي خرج معهن، والفنادق التي مكث فيها. تبيّن أنه كان موجوداً في المدن التي قتلت فيها النساء. ولكن، حتى الوقت الحاضر، ما من شيء حاسم لإدانته بقتل الفتيات الأخريات. إنهم يتشبثون بخيط رفيع، لكنه جيد كفاية حتى الآن، وهم يعتمدون على المختبر الجنائي لمنحهم المزيد من المعلومات بواسطة الدي أن أيه.

"عليكم إثبات الكثير من الأمور الأخرى غير أنني كنت أركض في الحديقة العامة نفسها". لكن الدم والشعر سيكونان كافيين في الوقت الحاضر. حتى إنّ لوك كانتن كان يعرف ذلك.

لم يذكروا مطلقاً عشقه لأفلام الرعب الإباحية طوال فترة الاستجواب. فهم لا يريدون التوغل في ذلك الآن. عرضوا عليه أن ترافقه محامية الدفاع العام هذا الصباح، لكن كانتن قال إنه غير مهتم. فهو ليس

خائفاً من رجال الشرطة، ورأى أن محامي الدفاع العامين مصدر للسخرية، لأنهم يكونون دوماً شباباً سذّجاً، ولأن معظم الرجال الذين يدافعون عنهم يكونون مدانين على كل حال. وحقيقة أنهم مذنبون غير مهمة بالنسبة إليه. ومحامية الدفاع العام التي تم تخصيصها له لم تكن أفضل حالاً، فهي تعمل في مكتب الدفاع العام منذ سنة. لم يكن يهتمّ بالأمر. إذ تصوّر أن المسألة لن تصل أبداً إلى المحاكمة، وسيطلقون سراحه نظراً لعدم توافر الأدلة. لا يستطيعون إثبات أي شيء أبداً، ولن يكون الدم على حذائه كافياً.

كان الدم الذي عثر عليه على أجساد الضحايا الأربع ناتجاً عن الخدوش الناجمة عن احتكاك أجسادهن بالأرض حين تم اغتصابهن، أو جرّهنّ بعيداً، وعن جرح في ذراع إحدى الضحايا. لم يكن موقع النزف هو سبب الوفاة. وكانت النساء عاريات حين اغتصبهنّ وقتلهنّ، وحين تم العثور عليهن كذلك. إذ كان ينزع عنهن ملابسهن دوماً، ولا يزعج نفسه في وضعها عليهن مجدداً بعد قتلهن. تم العثور على الفتاتين الأوليين في حفرة صغيرة في الحديقة العامة حفرها كلب. أما الفتاتان الأخريان فتم رميهما في النهر. وكان هذا أكثر صعوبة، لكن القاتل وجد طريقة لتنفيذ ذلك من دون أن يراه أحد. وتم العثور على الجثث الأخرى في الولايات الأخرى بطرائق مماثلة، وهناك بعض الفتيات اللواتي لم يتم العثور عليهن بعد، لكنهن حتماً في عداد الأموات. لقد اختفين ولم يعدن قطّ، وغالباً في أثناء ممارستهنّ رياضة الركض في الحدائق العامة في الصباح الباكر جداً أو في الليل.

بدا أنّ القاتل يحب ارتكاب الجرائم في الأماكن الريفية. وفي الوسط الغربي، اختفت من مزرعة فتاة تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً فقط. وقال أهلها إنها كانت معتادة على التنقل في البلدة متطفلة، لكنهم يعرفون الجميع لمسافة أميال عدة. ولا بدّ من أن يكون غريب ما قد قتلها هذه المرة. انتظروا أشهراً طويلة، وأملوا بالحصول على أخبار منها؛ على خبر

يفيد بأنها هربت مع رجل وسيم، خصوصاً وأنها كانت فتاة جميلة جداً، وغريبة الأطوار قليلاً. لم يسمعوا أخبارها مجدداً. وبعد أشهر عدّة، تم العثور على جثتها في حقل، فيما كانت شاحنة تزيل الأوساخ. لقد قضت نحبها مثل الأخريات؛ مغتصبة ومخنوقة.

استجوبوه ثلاث ساعات متتالية، ثم أرسلوه مجدداً إلى الزنزانة. خرج كانتن من الغرفة ببطء، ومن دون أن ينظر إلى الخلف. لم ينظر باتجاه ألكسا في أثناء خروجه. وحين التقى الجميع في مكتبها لمناقشة ما سمعوه كانوا يشعرون بالتعب. لم يفدهم بشيء، باستثناء التأكيد على مكان وجوده؛ وهذا أمر يعرفونه على كل حال. كما أخبرهم عن الكثير من الأسماء التي لا تعني لهم شيئاً، وإنما كانوا مجرد أشخاص التقاهم في الطريق، أو تناول العشاء معهم، أو عمل معهم، أو ذهب إلى المشارب معهم. كان يعرف كيف يبقى بعيداً عن المشاكل، ظاهرياً على كل حال. لم يتم اعتقاله قطّ بعد إطلاق سراحه من السجن. ولا يملك تاريخاً في المخدرات، باستثناء تدخينه الماريجوانا في السجن. أحب المشروبات الرخيصة، لكن هذه هي حال كل شاب في الجامعة، وأولئك لا يغتصبون النساء ويخنقونهم. احتساء المشروبات ليس جريمة، وأولئك الذين يعرفونه يقولون إنه لا يسرف في الشرب، وليس من النوع الذي يثمل ويدخل في شجارات المشارب. إنه بارد وحذر، يحتفظ برأيه لنفسه، وينتبه إلى كل خطوة يقوم بها. وهذا ما فعله في أثناء الاستجواب أيضاً.

قال أحد رجال الشرطة وهو يبدو خائب الأمل: "لم نحصل على الكثير".

قال جاك بهدوء: "لم أتوقع ذلك. إنه أذكى من هذا. لن يعطينا المعلومات التي كنا ننتظرها. سنضطر إلى جمع المعلومات عن هذه القضية شيئاً فشيئاً، بالقطّارة، لن يسهّل المهمة علينا. سنضطر إلى العمل بكدّ في هذه القضية، وإلى بذل كل ما بوسعنا للنيل منه". أحبت ألكسا الصورة، وابتسمت فيما غادر الآخرون المكتب.

وبعد أن أصبحا بمفردهما مجدداً، سألت جاك: "إذاً، ما رأيك؟". كانا يدركان أن كانتن لا يملك تاريخاً في الجرائم العنيفة قبل هذا. ولكنّ سلوكه تبدّل بعد تمضيته الفترة الأخيرة في السجن. وكانت ألكسا مقتنعة أنه هو من ارتكب الجرائم، تماماً مثلما كان كل فرد من أفراد الحملة التي تعقبته ودرسته طوال أشهر مقتنعاً بذلك.

"بصراحة؟ أظن أنه مرتكب كلّ تلك الجرائم. يقول لي حدسي إنه قتلهنّ جميعاً، وربما أكثر مما نعرف. لكنني أظن أننا سنضطر إلى الكدّ في العمل للنيل منه. أظن أنه مذنب. كل ما علينا فعله الآن هو إثبات ذلك، ويمكنك بعدها إنجاز مهمتك". أومأت ألكسا برأسها لأنها كانت توافقه الرأي. ما من شيء حاسم بعد، لكنها أرادت النيل منه أكثر من أي شيء آخر إذا كان هو القاتل؛ وهي واثقة من ذلك. حدسها مماثل تماماً لحدس جاك، لكن كانتن زلق مثل الرخام المدهون بالزيت، وسيكون من الصعب الإمساك به. فهو يتصف بصفات المريض الاجتماعي كلّها، ذاك الرجل الذي يستطيع ارتكاب جرائم فظيعة ومع ذلك يبقى غير مبالٍ. يبدو جلياً أنه ليس خائفاً أو نادماً. ربما سيفعل ذلك لاحقاً. قال لها جاك: "هل تريدين مشاركتي في تناول الغداء الذي من المرجّح أن يسبب لك عسر هضم؟ يمكننا التحدث عن القضية، أو عن غير ذلك إذا كنت تفضلين. لا أزال بحاجة إلى استيعاب ما أخبرنا به هذا الصباح. فأنا أستوعب الأمور لاحقاً في بعض الأحيان، حين أتمكن من التفكير فيها. يبدو الأمر في بعض الأحيان غير مهمّ، ولكن يتبيّن لاحقاً أنه خيط مرتبط بشيء آخر". لهذا السبب، يعتبر جيداً في ما يفعله، إذ يركز على كل تفصيل صغير، وفي النهاية تثمر جهوده دوماً. لقد نجح في كل قضية عملا فيها معاً. إنه أفضل محقق موجود لديهم، وهي أفضل مساعدة للنائب العام.

"طبعاً. ولكن ينبغي لي العودة إلى هنا عند الساعة الثانية بسبب اجتماع. أنا أستعد لهيئة المحلفين الكبرى". إنها بعد يومين، وسيذهب جاك معها. ولقد أرادت أن تكون مستعدة جيداً، لأنه يفترض أن تكون حججها

لإدانة كانتن قوية وحاسمة وأكثر إقناعاً. لا يوجد دخان بعد، ولكنها بارعة في ما تفعله تماماً مثله.

مشيا في الشارع معاً وصولاً إلى المطعم الذي يكرهونه جميعاً لكنهم يرتادونه يومياً. حاولت ألكسا مراراً إحضار الطعام معها من المنزل، ولكنها كانت تغادر المنزل بعجلة فلا تتمكن من القيام بذلك ويكون مصيرها التضوّر جوعاً طوال اليوم، أو تناول الوجبات السريعة من الآلات، أو التضحية بجهازها الهضمي في المطعم. المطعم مريع لكنه الأقرب إلى المبنى الذي يعملون فيه. أجمعوا كلهم على أنهم مخيّرون بين التضور جوعاً أو الانتحار بتناول الطعام هناك. فالطعام صعب الهضم ومدهن، أو مقلي بكثرة، أو غير مطهو كفاية. تحاول ألكسا عادة الاكتفاء بطبق سلطة، الذي يبدو غير محفوف بالمخاطر كثيراً. أما جاك فيحبّ الوجبة الكبيرة، ويتناول طبق اليوم الذي يكون مميتاً عادة.

طلب جاك رغيف لحم وبطاطا مهروسة، فيما طلبت هي سلطة قيصر، فوصلت إليها مترهلة ورطبة.

"يا الله، أكره الطعام هنا". تمتمت فيما بدأت تأكل السلطة، وابتسم لها جاك ابتسامة عريضة.

"نعم وأنا أيضاً. ولهذا السبب أحاول أن آكل هنا مرتين يومياً، وأحياناً ثلاث مرات. لا أملك الوقت أبداً للذهاب إلى مكان آخر". فقد كان جاك منذ طلاقه قبل أعوام، يمضي معظم وقته في العمل، حتى في عطلات نهاية الأسبوع. إذ لم يكن لديه أي شيء آخر لفعله، ويقول إن العمل يبقيه بعيداً عن المشاكل. وتفكّر ألكسا في الطريقة نفسها أيضاً.

علّقت ألكسا قائلة: "نعمل كلانا بكدّ كبير". وبدت مشمئزة من قطعة الخسّ المترهلة التي بدت قديمة جداً، ومن أرخص نوع استطاعوا شراءه.

سأل بطريقة عفوية: "ما الجديد غير ذلك؟ كيف هي حياتك العاطفية؟". إنه يستلطفها، ولطالما فعل ذلك. إنها ذكية، وتعمل بكدّ، وهي قاسية حين تريد أن تكون كذلك، وحتى من دون أن تبدي أي شفقة، لكنها

أيضاً عادلة، ولطيفة، وإنسانة رائعة فعلاً، وجميلة أيضاً. يصعب العثور على أي شيء لا يستلطفه فيها، سوى أنها نحيلة جداً ولا تهتم كثيراً بشعرها. إنه دوماً مربوط إلى الخلف على شكل كعكة، لكنه يشك في أنه طويل وفاتن في السرير. حاول عدم التفكير في الأمر، وتذكّر أنها واحدة من بين العديد من *الأشخاص* في حياته. لقد تألمت كثيراً بسبب خيانة زوجها. أخبرته القصة ذات مرة، وبدت قصتها أسوأ بكثير من قصته.

وابتسمت ثم أجابت عن سؤاله: "أفترض أنك تمزح، أليس كذلك؟ من يملك وقتاً للحياة العاطفية؟ لديّ ابنة ومهنة بدوام كامل. هذا جيد كفاية".

"يبدو أن بعض الأشخاص ينجحون في تدبر أكثر من ذلك. حتى إنهم يذهبون في مواعيد غرامية، ويقعون في الحب، ويتزوجون، أو هكذا يقال لي".

قالت ألكسا: "لا بد أنهم يتعاطون المخدرات". ثم تابعت: "لقد شبعت". فيما دفعت طبق السلطة بعيداً. "ما رأيك إذاً في قضيتنا؟ هل تظن أننا سننال منه؟".

"أتمنى ذلك. أنا واثق تماماً من أنه سيذهب إلى المحاكمة. إنه بارد جداً. أظن أنه يستطيع قتل أي شخص يختاره إذا استطاع الإفلات وأتيحت له الفرصة".

"ما الذي يجعلك تظن ذلك؟". كانت ألكسا محتارة من تعليقه، ولكنها تثق بحكمه، مثلما فعلت دوماً من قبل. فهو نادراً ما يخطئ، وهو على الأرجح كذلك هذه المرة. "لا يملك تاريخاً في الجرائم العنيفة، ولم يقتل أحداً قبل ذلك، حسب علمنا".

"يعني ذلك أنه بارع في ما يفعله. لا أعرف لماذا أظن ذلك. لكنني رأيت رجالاً مثله، وكذلك أنت. إنهم باردون ومتحجّرون من الداخل. إنهم مثل الآلات، وليسوا كائنات بشرية. إنه مريض اجتماعي كلاسيكي. فأولئك المرضى يكونون عادة أذكياء؛ تماماً مثله. إنهم أخطر الرجال على الإطلاق. فهم يقتلونك مباشرة بعد أن يصافحوك. يحتمل أنه لم يقتل أحداً

حين كان أصغر سناً، لكنني مقتنع أنه يفعل ذلك الآن. ربما حصل شيء ما في المرة الأخيرة التي كان فيها في السجن. أظن أنه شخص مريض، وحقير، ومتمرس وسينهكنا في عملنا. لقد أخفى جرائمه جيداً. لا أعرف كيف حالفنا الحظ في العثور على الدم على حذائه؟ لا يرتكب المرضى الاجتماعيون عادة أخطاء كهذه. ربما أصبح واثقاً جداً من نفسه، ولم يكن يعرف حتماً أننا نراقبه". لقد اتضح ذلك خلال الاستجواب، إذ لم يخبروه بذلك، بل تركوه يتحدث ليعرفوا ما يريد قوله.

"اللعنة، أتمنى أن ننال منه". قالت ألكسا بحماسة. فهي لا تريد شيئاً آخر إلاّ عزله عن المجتمع.

ووافقها جاك الرأي قائلاً: "وأنا أيضاً".

"أشعر بالقرف حين أرى وجوه أولئك الفتيات. إنهنّ جميعاً شابات وجميلات. يبدون مثل ابنتي". وفيما قالت ذلك، شعرت برعشة في عمودها الفقري. لم تفكر في ذلك قبلاً، لكن هذا صحيح. سافاناه هي النوع الذي يفضله بالضبط. إلا أنه لحسن الحظ موجود في السجن ولا يتجول بين الناس؛ في الوقت الحاضر على الأقل.

سألها جاك وهو يغير الموضوع: "بالمناسبة كيف حالها؟". إذ شعر وكأنه يعرفها من مجموعة الصور الموضوعة على مكتب ألكسا، وقد التقاها مرة أو مرتين في المكتب. إنها فتاة جميلة، تماماً مثل أمها.

"إنها تقدم طلباتها إلى الجامعة. فهي تريد الذهاب إلى برنستون، وهذه الجامعة موجودة في نيوجرسي. أخاف كثيراً من أن تذهب إلى ستانفورد. لا أريدها أن تكون بعيدة بهذا القدر. ستكون حياتي بلا معنى حين تذهب".

أومأ برأسه، وأحسّ بحزن ألكسا. إنها شابة جداً لتكرّس كل حياتها من أجل ابنتها. "ربما يدفعك هذا إلى التفكير في حياتك. لا يزال لديك الوقت لفعل شيء حيال الأمر".

"عفواً؟ أهذا الكلام صادر عن رجل ينهك نفسه بالعمل مثلي؟ موعدي الغرامي الأخير كان في العصر الحجري، لكنّ شيئاً ما يقول لي إن

موعدك الغرامي الأخير كان قبل ملايين السنين". ضحك بصوت عالٍ على إجابتها.

"إذاً خذي العبرة مني. هذا خطأ. لقد فات الأوان بالنسبة إليّ الآن. ففي مثل سنّي، لا أستطيع الخروج إلاّ مع نساء أصغر مني يردن إنجاب الأولاد، وأنا لا أريد ذلك. أمّا النساء اللواتي يماثلنني سناً فيكنّ غالباً غاضبات ولاذعات ويكرهن الرجال".

"ألا توجد بين النساء امرأة تتمتع بغير تلك الصفات؟". تساءلت ألكسا إذا كان محقاً في رأيه. عرفت أنها لاذعة شخصياً حيال طوم، وحيال الرجال عموماً. لقد أقسمت على ألا تثق بأي رجل مجدداً، ولم تفعل ذلك حتى الآن، حتى إنها لم تثق بالذين خرجت معهم، بالرغم من أن هذا كان نادراً. أسوارها عالية جداً.

فأجابها جاك: "لا. فقط الساقطات. لكنني فقير جداً لأدفع لهنّ المال مقابل خدماتهن". ضحكا على ذلك، ثم دفع ثمن غداءهما فيما شكرته ألكسا. "لا تقولي إنني لا أصطحبك إلى أفضل الأماكن. إذا كانت تصح نظرية إمكانية إقامة علاقة حميمة مقابل عشاء جيد، إذاً، ربما يجدر بك ركلي على مؤخرتي مقابل هذا الغداء. كيف حال معدتك بعد هذه السلطة؟ ألم تشعري بالغثيان بعد؟".

"ليس بعد. يستغرق الأمر عادة نصف ساعة". كانت النكات حول المطعم مشروعة، لكن الحقيقة كانت تماماً مثلما يقولون، لا بل أسوأ. ويقسم كل رجال الشرطة أن طعام السجن أفضل، وربما كانت هذه هي الحقيقة.

عادا إلى المبنى معاً، وقال جاك إنه سيبقيها على اطلاع على آخر التطورات المتعلقة بكانتن. وبما أنّ الصحافة ستهتم به كثيراً، لذا يجدر بهم جميعاً توخي الحذر بشأن ما يقولونه. وكان المراسلون قد حاولوا إجراء مقابلة مع ألكسا فرفضت، وتركت هذه المهمة للنائب العام.

أمضت ألكسا ما تبقى من فترة بعد الظهر في الاجتماعات، وعملت على ملفها لهيئة المحلفين الكبرى، وتركت العمل قبل المعتاد، عند الساعة

السادسة. إذ كانت أمها ستأتي إلى منزلها برفقة القاضي شوارتزمان لتناول العشاء. وما إن وصلت سافاناه إلى البيت حتّى وضعت الدجاجة في الفرن. بدت جميلة ومنتعشة بالرغم من أنها لعبت كرة الطائرة طوال فترة بعد الظهر. وكانت مسرورة جداً لأن مدرستهم فازت على المدرسة المنافسة. حاولت ألكسا حضور مبارياتها كلما استطاعت، لكن هذا لم يكن يحصل كثيراً مثلما تريد. وصعقت مجدداً بالشبه بين ابنتها وضحايا كانتن. جعل ذلك موت كل الشابات أسوأ كثيراً بالنسبة إليها.

"كيف حال قضية مجرمك الكبير؟". سألتها سافاناه وهما واقفتان معاً في المطبخ. كانت ألكسا تحضّر السلطة، بعد أن وضعتا البطاطا في المايكروويف. يفترض أن تصل أمها وستانلي شوارتزمان بعد نصف ساعة، ويمكنهما التحدث، مثلما تفعلان دوماً، ريثما يجهز العشاء.

أجابت ألكسا: "إنها قيد التحضير. لديّ جلسة أمام هيئة المحلفين الكبرى خلال يومين. كيف حال طلباتك التي سترسلينها إلى الجامعات؟ هل أنهيت المزيد منها؟ أريد أن أراها قبل إرسالها". لكن سافاناه كانت تكتب مواضيع ممتازة وعلاماتها في الثانوية أكثر من جيدة. سيتم قبولها في كل مكان. لقد أنجزت ألكسا مهمتها جيداً، لكن سافاناه فتاة ذكية.

"أنهيت طلبات برنستون وبراون، ولا يزال عليّ إنهاء طلبات ستانفورد وهارفارد. لا أظن أنني سأذهب إلى هناك على كلّ حال، لأن الجامعتين في غاية الصعوبة. ستكون جامعة جورج واشنطن جيدة أيضاً، وكذلك جامعة ديوك". لا يزال الذهاب إلى الجامعة يبدو غير واقعي بالنسبة إليها، فهو مثل حلم، ولكنها متحمسة له. إنها تتطلع للحديث عن ذلك مع والدها حين يذهبان للتزلج.

تحدثت ألكسا وسافاناه في المطبخ، فيما جلستا إلى الطاولة وأنهتا تحضير العشاء. وبعد قليل، رنّ جرس الباب، وما لبثت أن دخلت والدة ألكسا وستانلي. كان ستانلي رجلاً وسيماً، مميز الطلة، نابضاً بالحيوية، بالرغم من عمره؛ وكان تماماً ما يفترض بالقاضي أن يكون عليه. فهو

جدي، ومتحفظ، ولكنه يتمتّع بحسّ رائع بالدّعابة مع وجود بريق في عينيه.

كان الدجاج لذيذاً، وتظاهر الجميع بعدم ملاحظة أن البطاطا المشوية كانت مطهوة بإفراط. كان الحديث شيقاً، إذ لطالما أمضت النساء الثلاث وقتاً رائعاً مع بعضهن، واستمتع ستانلي بالتواجد معهنّ. تذكّره ألكسا بابنتيه، وسافاناه بحفيدته المفضلة التي كانت في مثل سنها، والتي تحقق نجاحاً كبيراً في بولدر. تحدثوا عن الطلبات التي ستقدمها سافاناه إلى الجامعات، وعن قضية مضحكة سمع بها ستانلي حديثاً؛ قضية رجل تقدم بدعوى ضد زميل له لأنه يعطس في وجهه باستمرار ويجعله يشعر بالقرف. ورفضت القضية لعدم توافر النية السيئة أو الأضرار الملموسة، ولم يتم الحكم بأي تعويضات.

قال لهنّ بعد أن أنهى طبق البوظة: "يتوجب عليك بين الحين والآخر أن تسأل نفسك إذا كان الناس مجانين". وسأل ألكسا: "علامَ تنكبّين هذه الأيام؟".

فأجابت موريال نيابة عنها: "على قضية المجرم الكبير التي تحدثت عنها كل الصحافة". فبدا متأثراً.

"هذه القضايا صعبة دوماً. إذ إنها تسبب الكثير من الاضطراب العاطفي. فمثل هذه القضايا تطاردني طوال أشهر عدة". أومأت ألكسا برأسها، فهذا ما بدأ يحصل معها. تعرف كل تفصيل في وجه كل فتاة مقتولة، وتعرف كلّ المعلومات عن حياتها. لكن الشخص الذي تعرف عنه أقل شيء لغاية الآن هو المدّعى عليه، وكيفيّة تنفيذه جرائمه، ومتى وأين، وما هي دوافعه، ولكنها ستعرف ذلك حتماً. فهي تفعل هذا دوماً.

تذمرت أمها فيما حملت الأطباق إلى حوض غسل الصحون، وساعدت على ملء غسالة الصحون: "أكره حين تستلم ألكسا مثل هذه القضايا". كانت موريال تحب المجيء لتناول العشاء عند ألكسا، لأن الجو يكون دوماً ممتعاً ومريحاً. ويحب ستانلي المجيء معها كذلك. فقد كانت

علاقتهما مريحة، وكانا يستمتعان بالكثير من الأشياء المتماثلة، ولكن ليس بما يكفي ليرغبا في الزواج في هذه المرحلة من حياتهما، وإنما بما يكفي لتمضية الكثير من الوقت معاً والتحدث عبر الهاتف كل يوم. كانا يتناولان الغداء أحياناً في مكتبها أو في مكتبه. "أخاف دوماً أن يكون المدّعى عليهم في غاية الخطورة، وأن يكون أصدقاؤهم في الخارج بمثل خطورتهم".

سأل ستانلي: "هل من دليل على ذلك؟". وكان يبدو قلقاً قليلاً، فما كان من ألكسا إلا أن هزّت رأسها.

"لا. لا بأس".

انتهت الأمسية بعد فترة وجيزة، وذهبت ألكسا وسافاناه إلى غرفتي نومهما. أمضت سافاناه بقية السهرة وهي تتحدث إلى أصدقائها عبر الهاتف، فيما انكبّت ألكسا على ملفاتها، إلى أن نامت في سريرها وهي ترتدي كل ثيابها. جاءت سافاناه لتتمنى لها ليلة طيبة، فأخذت الأوراق برفق من يديها، وغطتها ببطانية. ليس هذا أمراً مستغرباً. إذ تنام ألكسا بهذه الطريقة في العديد من الليالي، خصوصاً حين تقترب المحاكمة. قبّلتها سافاناه، فلم تتحرك ألكسا، بل كانت تشخر بهدوء. فابتسمت سافاناه، وأغلقت الباب.

الفصل الرابع

في اليوم التالي، بعد أن تناولت ألكسا العشاء مع أمها، تلقت أخباراً جيدة بشأن القضية. فآخر تقرير مسهب عن الدي أن أيه أكّد تماماً أن الدم الجاف الذي كان عالقاً على جزمة لوك كانتن تطابق مع دماء اثنتين من النساء، وأن الشعرتين كانتا عائدتين للضحيتين الأخريين، وثمة تطابق واضح في ذلك أيضاً. اعتبرت ألكسا الخبر هدية حقيقية، إذ يمكنهم ربطه الآن بمقتل النساء الأربع. عليهم فقط إثبات كيفيّة وصول الدم والشعرتين إلى هناك. إلا أنّ التقرير كان دليلاً قوياً، وقد وصلهم في الوقت المناسب للذهاب في اليوم التالي لعرض القضيّة أمام هيئة المحلفين الكبرى. اتصل بها جاك وأخبرها بالأمر، ففرحت ألكسا كثيراً حين سمعت الخبر. لا يزال هناك المزيد من التحاليل الواجب إنجازها، والتي ستكون أكثر حسماً، لكن المعلومات التي يملكونها الآن موثوق بها. لوك كانتن في ورطة كبيرة. ومثلما يفترض، اتصلت ألكسا بمحامية الدفاع الموكلة له، وأخبرتها بالأمر فلم تتحمس هذه الأخيرة لدى سماعها الخبر.

سألت المرأة الأخرى: "هل تظنين فعلاً أنه يمكنك إثبات التهمة ضده؟". كانت ألكسا تعرفها وتستلطفها، بالرغم من أنها لا تزال مبتدئة.

قالت ألكسا بصرامة: "نعم".

"ليس لديك الكثير للعمل عليه". وكان هذا صحيحاً.

"لديّ أربع نساء مقتولات، ومجرم محكوم عليه قبلاً، مع العثور على دم الضحايا على حذائه وشعرتين على سجّادته. لم يصل ذلك إلى حذائه فيما كان يتناول طعام الغداء في ماكدونالد. يزعم أن ذلك ربما حصل فيما

كان يركض في الحديقة العامة. إلا أنه لم يركض في أربعة مسارح جرائم مختلفة. نحن واثقون من ذلك. أبلغيني إذا كان يريد الإنكار وتقديم وقائع جديدة".

قالت محامية الدفاع العام وهي تبدو غير سعيدة: "لا أظن أنه سيفعل". لم تكن تتطلع بحماسة إلى هذه القضية. فمقتل أربع نساء شابات سيحرك الرأي العام ضده بقوة، وحسب ما رأته لغاية الآن، لا يبدو من كُلّفت بالدفاع عنه نادماً، وإنما بدا واثقاً جداً من نفسه. ستدينه المحكمة لحظة يدخل إليها. وستبذل هي كل ما بوسعها، لكنهما تعرفان تماماً أن ثمة احتمالاً كبيراً بأن تخسر. ولا يرغب كانتن أبداً في الردّ على التهم الموجهة ضده. لا يملك شيئاً إلا الوقت بين يديه، والكثير لخسارته. إذا تمت إدانته، فسيمضي بقية حياته في السجن. فهو لن يقدم لهم ذلك على طبق من فضة، بل سيجعلهم يعملون بكدّ لإدانته. قالت لألكسا: "شكراً على إطلاعي على آخر الأخبار". ثم أنهتا الاتصال وعادتا إلى العمل.

وكما هي الحال دوماً، كانت ألكسا مستعدة تماماً لجلسة هيئة المحلفين الكبرى في اليوم التالي. والتي سيتم عقدها في المحكمة في مانهاتن حيث كان مكتبها. اصطحبها جاك من المنزل في ذلك الصباح، وأوصلها إلى وسط المدينة في سيارة شرطة مدنية. كانت الجلسة مغلقة، وبقي كل شيء فيها خاضعاً لسريّة مطلقة. وحدها هي؛ ممثلة مكتب النائب العام، وجاك بصفته مسؤول التحقيق، والمدعى عليه ومحاموه وكبار القضاة سيكونون حاضرين. ستحدد الجلسة ما إذا كانت هناك أدلة كافية لإدانته وإحالته إلى المحاكمة. عرفت ألكسا أن ثمانية عشر عضواً من أصل الأعضاء الثلاثة والعشرين في هيئة المحلفين الكبرى سيكونون حاضرين؛ أي أكثر باثنين مما يحتاجون إليه للاتهام. يتوجب على اثني عشر عضواً على الأقل التصويت للاتهام، وأملت طبعاً أن يفعلوا ذلك. لم تتحدث وجاك كثيراً في طريقهما إلى وسط المدينة؛ إذ لا يزال الوقت مبكراً. سيتم إحضار كانتن إلى قاعة المحكمة بمرافقة أربعة حرّاس،

فــربما فكّــر في الفرار. وستلاقيه محامية الدفاع العام هناك. كان لديها الحق في التقدم باستدعاء لمنع هيئة المحلفين الكبرى من الاجتماع، لكنها لــم تفعــل ذلــك. فهناك الكثير من الأدلة ضد موكلها لجعل الاستدعاء مقبولاً.

صعد جاك وألكسا بسرعة درج المحكمة، ودخلا قاعة هيئة المحلفين الكبرى، في الوقت الذي أُدخل فيه كانتن عبر مدخل منفصل. لقد جاءا إلى هــنا مرات عدة من قبل، وحققا نتائج جيدة. فمن النادر، لا بل لم يحصل قــطّ، أن تمّ رفض إدانات ألكسا. وكانت كل أوراقها واستدعاءاتها منظمة وجاهزة. فهي لا تريد أي أخطاء إجرائية في هذه القضية.

جلسا على مقعديهما أمام طاولة التشاور المخصصة لمكتب النائب العام، فيما جلست محامية الدفاع العام إلى الطاولة المقابلة، وتم إحضار لــوك كانــتن إلى القاعة. تفاجأت ألكسا حين رأت أنه يرتدي بذلة، ولم تعــرف مــن أيــن أحضرتها له محامية الدفاع العام، ولكنه بدا وسيماً. تــساءلت إذا كانت هذه بذلته الخاصة. وبدا ذلك غير محتمل. ألقى حينها نظرة سريعة عبر القاعة نحو ألكسا، من دون أن يبتسم هذه المرة. حدّقت عيــناه إلــى عينــيها، فــشعرت بهما وكأنهما مثقبان قويان دخلا رأسها مباشــرة. وبدا الكره في عينيه، قبل أن يستدير بعيداً. استطاعت بسهولة تخــيل النظرة نفسها في عينيه حين يغتصب فتاة شابة ويقتلها. ليس لديها أي شكوك حول القضية.

اجتمع كبار المحلفين بسرعة، وسمعوا الأدلة من جانب ألكسا، ولم يكن هناك شهود لرفض الأدلة. إنهم الأشخاص الوحيدون في القاعة. وفّر جاك أدلة كافية لدعم الإدانة، من دون الإفصاح عن أي أسرار أساسية. قال إن التحقــيقات تجري في ولايات أخرى بشأن خمس عشرة ضحية أخرى محتملة، وما زالوا يعملون على القضية، لكنهم واثقون من تورطه في قتل أربــع ضــحايا لغايــة الآن. تحدث المحلّفون بسرعة إلى المدعى عليه، وطــرحوا عليه بضعة أسئلة عن أماكن تواجده، وعن الأدلة القضائية التي

تم العثور عليها والموجهة ضده، ثم شكروا الجميع على حضورهم، وقالوا إنهــم سيتخذون قرارهم في وقت لاحق من هذا اليوم، بعد التصويت عليه. لكن ألكسا عرفت من وجوههم، كما هي حال كل شخص آخر في الغرفة، أنهــم سيــصوتون على الإدانة. لا يوجد خيار آخر، مع وجود أربع نساء مقتولات، ودم على جزمة لوك كانتن.

وحين عادا إلى المكاتب في الأعلى، قال جاك: "هذا كافٍ لغاية الآن. علينــا الآن الــبدء بالعمــل". أومأت ألكسا برأسها، وانفصلا عن بعضهما بــصمت، وكل منهما يفكر في كل الأمور الواجب إنجازها. يقع الآن على عاتــق المحققين أن يمنحوها الأدلة التي تحتاج إليها للفوز بالقضية، وهي تثق به تماماً.

تلقــت ألكسا اتصالاً من هيئة المحلفين الكبرى في وقت لاحق من بعد الظهر. لقد اتفقوا على الإدانة في قضية كانتن وذلك بوجود أربع تهم بالاغتــصاب والقتل من الدرجة الأولى. عرفت ألكسا أن الأشهر القادمة ســتكون شــديدة الــضغط إلى حين صدور الحكم في القضية. فاتصلت بمحامــية الــدفاع العام، وسألتها إذا كانوا يوافقون على محاكمة سريعة، فــوافقت. فلقد وافق جو ماكارثي على رأي ألكسا في أنه يخدم المصلحة العامــة بأفــضل شــكل عند محاكمته وإدانته بأسرع ما يمكن. اعترفت محامــية الــدفاع العام أنها ليست متشوّقة كثيراً للحكم في هذه القضية. حــددوا الموعد لشهر أيار/مايو، ما يمنحهم أربعة أشهر. وليلة الجمعة، بعــد تنظيم كل الملفات، وترتيب مكتبها، وإطلاق عجلة العدالة، شعرت ألكسا بالإرهاق.

فــي المــساء، طلبت البيتزا وتناولتها مع ابنتها. وبعد ذلك، خرجت ســافاناه برفقة أصدقائها، فيما أفرغت ألكسا حقيبتها، وبدأت العمل. عرفت الآن أن إعلان الحكم في قضية كانتن سيتم في شهر أيار/مايو، وبالتالي لن تكــون لــديها أي حياة اجتماعية من أي نوع في الأشهر القادمة، لكنها لا تملك حياة اجتماعية أصلاً.

خططـــت ســـافاناه للقيام بمشاريع مع أصدقائها في كلّ عطلة نهاية الأســـبوع، مما سمح لألكسا بالعمل من دون الشعور بالذنب. وأخيراً، بعد ظهر يوم الأحد، راجعتا طلبات سافاناه التي سترسلها إلى الجامعات بعد أن أنهت آخرها.

قالت ألكسا فخورة وهي تبتسم لها: "تبدو جيدة". كالعادة، التزمت ســـافاناه بالمواعـــيد المحـــددة تمامـــاً. "دعينا نضعها في مجموعة من المغلفـــات ونرسلها". وافقتها سافاناه الرأي، وملأت كل منهما عدداً من المغلفـــات، ووضـــعت الطوابع البريدية عليها، ثم كتبت عليها عناوين مكاتـــب التـــسجيل. قالت ألكسا إنها ستنزلها إلى الأسفل، وتضعها في صندوق البريد، لا سيما وأنها تحتاج إلى استنشاق الهواء. فهي لم تغادر الـــشقة مـــنذ بعـــد ظهـــر يوم الجمعة، وعملت بكدّ طوال عطلة نهاية الأسبوع.

كانـــت على وشك مغادرة الشقة حين رأت ظرفاً مقحماً تحت الباب. وحين رفعت ألكسا الظرف، بدت كانت الكتابة اليدوية مائلة وغريبة، وبدا الخطّ كخط ولد صغير.

"مـــا هـــذا؟". سألت نفسها أكثر من أي شخص آخر. إنه موجه إلى ســـافاناه، وتـــم تسليمه باليد. توجهت إلى غرفة سافاناه، وأعطتها الظرف. "يـــبدو أنك تحصلين على رسائل غرامية من أولاد صغار جداً". مازحتها وكانت على وشك مغادرة الغرفة بينما كانت سافاناه تفتح الظرف وقد بدت مـــرتبكة. كانت الرسالة الموجودة داخل الظرف قد طُبِعت على الحاسوب. وإذا كانـــت مكتوبة من قبل ولد، فهذا يعني أن الولد يملك جهاز حاسوب، لكن معظم الأولاد يملكون واحداً هذه الأيام.

بـــدت سافاناه متوترة قليلاً وهي تعطي أمها الرسالة من دون تعليق. كانت الرسالة تقول: "أحبك وأريد جسمك".

"حسناً، لا شك في أن هذا يجعل الأمور واضحة. هل لديك فكرة عن المرسل؟". لم تكن الرسالة موقعة، فهزّت سافاناه رأسها.

"هـــذا غـــريب، ماما. إنها مروّعة. كما لو أنها من قبل *توم مختلس النظر*".

"أو من معجب سري. أتساءل إذا كانت من شخص في المبنى، لأنها لـــم تصل عبر البريد. كوني حذرة حين تدخلين وتخرجين، ولا تدخلي إلى المصعد بمفردك مع رجل لا تعرفينه". إنها نصيحة جيدة.

"لماذا يكتب لي أحدهم رسالة كهذه؟".

"لأن هـــناك الكثيـــر من المجانين في العالم، وأنت فتاة جميلة جداً. كوني فقط حذرة وذكية وستكونين على ما يرام". حاولت ألكسا التعامل مع المـــسألة بهـــدوء، ونزلت إلى الأسفل لإرسال الطلبات إلى الجامعات عبر البريد. لم تشأ الاعتراف لابنتها بأنها تشعر بالتوتر. كانت تفكر في نصيحة أمهـــا بـــضرورة توخـــي الحذر الشديد في أثناء توليها قضية كانتن، وفي تذكيـــرها لهـــا بـــأن رجالاً مثله لديهم أصدقاء في الخارج، حتى في أثناء وجـــودهم في السجن. لكن لغاية الآن، لا يبدو كانتن رجلاً يملك الكثير من الأصدقاء، أو أي صديق في نيويورك. ولقد أخبر بعض رفاقه في السجن المحققين أنه ذئب وحيد.

ســـألت ألكـــسا الـــبواب إذا كان أحد قد أعطاه هذه الرسالة لتسليمها إليهما، لكنه قال إن أحداً لم يفعل ذلك، ما جعلها تتساءل كيف نجح المرسل في إيصالها إلى المنزل. والأهم من ذلك، من كتب الرسالة؟ ولماذا؟ حاولت أن تـــبدو أقـــل انزعاجاً بشأن ذلك حين صعدت مجدداً إلى الأعلى، لكنها اعتـــرفت لنفـــسها بقلقهـــا. وضعت الرسالة بهدوء في كيس مصنوع من الـــنايلون. إلا أن سافاناه تطرقت إلى الموضوع مجدداً فيما تشاركتا عشاء صينياً طلبتاه.

"كنت أفكر في تلك الرسالة مجدداً أمي. أظن أنها مخيفة فعلاً، ولا أظـــن أنها من النوع الذي يكتبه ولد صغير". بالرغم من أن الكتابة على ظـــرف الرســـالة يوحـــي بـــذلك. "فالأولاد الصغار لا يكتبون مثل هذه الأمور".

حاولت ألكسا أن تبدو باردة: "قد يكتبها ولد مكبوت جداً؛ شاب أعجب بك سراً من بعيد، وموّه كتابة يده على الظرف كي لا تعرفي من يكون. لا أظـــن أنها قصة كبيرة. يجدر بك توخي الحذر على كل حال، لكنها ليست تهديداً".

قالـــت سافاناه وهي تتناول رقاقة سبرينغ رول: "أظن ذلك، لكنها لا تزال ترعبني".

"نعم، وأنا أيضاً. في الواقع أظن أنها مهينة. أنا أعيش هنا أيضاً، وما مـــن أحد مغرم بي أو يقول لي مثل ما هو مكتوب في الرسالة". ضحكت ســـافاناه، إلاّ أن ألكـــسا لم تحبّ فكرة أن يقوم رجل غريب مجهول الهوية بكتابة رسالة كهذه إلى سافاناه. إنها مضطربة أكثر بكثير مما بدا عليها.

ومـــن دون ذكر أي شيء لسافاناه، وضعت ألكسا الرسالة في حقيبة يـــدها، وأخـــذتها في اليوم التالي إلى مختبر الأدلة الجنائية. كان الموظف التقني المفضل لديها موجوداً هناك، وهو شاب آسيوي الجذور يعطيها دوماً أسرع النتائج مع أدق التفاصيل.

سألت بفظاظة: "من كتب هذه؟". فضحك حين أعطته الكيس والظرف داخله.

"تقصدين لون الشعر وقياس الحذاء؟ أو فقط ماركة سروال الجينز؟".

"أقصد هل الكاتب رجل أو امرأة أو ولد؟". كانت خائفة من ألا تكون الرســـالة مكتوبة من قبل ولد صغير، ولا حتى من قبل رجل عجوز قذر. أحـــست أن الهـــدف من إرسال هذه الرسالة هو توتيرها، وقد حصل ذلك فعلاً.

قطّـــب حاجبيـــه فـــيما أخرج الظرف بعناية من الكيس، وكان يضع قفـــازين مطاطيّـــين، ونظر إليه، ثم ابتسم لها قائلاً: "أعطيني بضع دقائق. يجـــب علـــيّ إنهـــاء شـــيء ما، وإلا سيقتلني الرجال في قسم المخدرات. سأتـــصل بـــك فـــي غضون ساعة. أفترض أنك تريدين مني التحقق من البصمات أيضاً". فأومأت برأسها.

"شكراً". ابتسمت له، وصعدت إلى مكتبها في الأعلى. ومثلما وعدها، اتصل بها في غضون ساعة.

تطرق جايسون يو مباشرة إلى الموضوع، مثلما يفعل دوماً: "حسناً، عـــرفت ما تريدينه. إنه رجل راشد، ربما في العشرينيات أو الثلاثينيات، أميركـــي. وربمـــا تلقى تعليمه في مدرسة كاثوليكية. وهو رجل دين على الأرجح ذو يد ثابتة". قال ذلك بينما كان يخمد ضحكة تكاد تنفجر من فمه.

"مضحك جداً".

"تـــم تمويه الخط، بطريقة غير متقنة، ليبدو الأمر وكأن ولداً قد كتب الرســـالة، لكن هذا غير صحيح. ولا توجد بصمات أخرى على الورقة. لا بد أنه كان يضع قفازاً مطاطياً. تهديد بالقتل؟". سأل باهتمام. فليس مستغرباً أن يتلقـــى رجـــال الـــشرطة ومـــساعدو النائب العام وحتى محامو الدفاع العامون مثل هذه التهديدات. الأشخاص الذين يذهبون إلى السجن يغضبون مـــن المحامـــين والقـــضاة، ومن رجال الشرطة الذين اعتقلوهم في المقام الأول. هذا طبيعي في هذه المهنة.

"لا، لـــيس شـــيئاً كهـــذا. نوع ما من رسائل الحب، ليس لي، وإنما لابنتي".

"وتريدين أن تعرفين من يكون الصديق؟".

"لـــيس لديها صديق. إنها رسالة مجهولة مكتوبة من قبل رجل يقول إنـــه يريد جسمها. وبما أنني أعمل على قضية كانتن، فلقد أصبحت أخاف قليلاً من الرجال الذين يطاردون الشابات. ربما أنا مصابة بالرهاب، إذ قد يكون مجرد شاب من المبنى الذي نقطن فيه".

طمأنهـــا: "لا ضير أبداً من التأكد. أعمل حالياً على دراسة الدي أن أيه. سأخبرك حين يصبح لديّ شيء جديد لك".

"شكراً جايسون". شكرته مجدداً، وأنهيا الاتصال.

لـــم يحلّ غموض المعجب السري بسافاناه، لكنهم على الأقل يعرفون الآن أنـــه رجل وليس ولداً. فلقد أرعبها الأمر؛ تماماً مثل ابنتها سافاناه. لم

تكـن ألكسا واثقة إن كان لوك كانتن وراء الرسالة، فما من وسيلة ليعرف أن لـديها ابـنة. لكنّ شخصاً ما كتب الرسالة. إذا نجح كانتن نوعاً ما في الاسـتعلام عـنها عبـر غوغل، بواسطة الحاسوب الموجود في السجن، واكتـشف أن لـديها ابنة، فسيكون قد حصل على المعلومات التي يحتاج إلـيها، ويمكـنه الطلـب مـن شخص يعرفه أن يكتب رسالة إلى سافاناه لإخافـتها، أو اللحـاق بهـا لاكتـشاف إن كان لديها ابنة. لا تعرف كيف اسـتطاع تدبـر الأمر، لكنها تعرف أنه ظن أن هيئة المحلفين الكبرى لن تديـنه، وقد فعلت. لا شك في أنه يلومها على ذلك، والنظرات التي وجهها إلـيها فـي المـرات القليلة التي رأته فيها كانت هادفة إلى زعزعة ثقتها بنفسها، وإثبات أنه الأقوى، وأنها بالنسبة إليه مجرد كتلة من اللحم الأنثوي كأي أنثى أخرى. ثمة ميزة جنسية مكبوتة فيه مترافقة مع الكبرياء الذي بدا جلـياً تمامـاً. لم يعجب ذلك ألكسا على الإطلاق. لا سيما وأن يكون هذا الأمـر مـوجهاً ضد ابنتها. إذا كان هو من أرسل الرسالة، فقد فعل ذلك لإخافـة ألكـسا، لا لـشيء آخـر، وليثبت لها مقدار نفوذه، وأنه يستطيع الوصول إليها؛ حتى وهو في السجن.

"ما المشكلة؟". دخل جاك إلى مكتبها، وذهل من التعابير البادية على وجهها.

"لماذا؟".

"يظهر الإجرام في عينيك".

"لا، ليس صحيحاً. يصح ذلك على المدعى عليه. لكنني قلقة فقط".

"بشأن ماذا؟". جلس على الكرسي قبالة مكتبها.

"بـشأن سافاناه. تلقينا رسالة غبية مجهولة المصدر في عطلة نهاية الأسبوع، من رجل يقول إنه يريد جسمها. ربما أنا مصابة بالرهاب، لكنني أتـساءل إن كـان لوك كانتن قد طلب من شخص ما إيصالها. هل يمكنك مـراجعة سـجل زياراته لمعرفة ما إذا كان هناك أحد قد جاء لزيارته، ثم نتحقق من ذلك".

طمأنهـا جاك: "طبعاً. لكن، على الأرجح ليس هو الفاعل. فهو ليس بهـذا الغـباء. أمـضيت للتو ساعتين إضافيتين معه، وهو رجل ذكي. ما الجدوى من التوق إلى ابنتك؟ أو إرسال رسائل مجهولة لإغاظتك؟ إنه في الـسجن، وآخر شيء يريده الآن هو الوصول إلى باب منزلك وإزعاجك. أنت خصم مذهل جداً، ومتفوقة عليه. لا أظن أنه رجلك. إنه على الأرجح أمـر عـشوائي. ابنتك جميلة، ويمكن لأي شخص أن يكتب إليها مثل هذه الرسالة".

"أظن أنك محق. لكنني خائفة جداً، فلا أحب الأشخاص الذين يهددون ابنتي". بدت ألكسا شرسة حين قالت ذلك، مثل اللبوة الأم التي تحمي شبلها، فابتسم جاك.

"هل هي خائفة؟".

"ليس تماماً. لكننا شعرنا بالانزعاج".

"يحتمل أنه شاب يستلطفها. يفعل الشبان أشياء سخيفة في هذا العمر. فكّري في الأمر".

"يقول جايسون يو إنه رجل في العشرينيات أو الثلاثينيات".

"هـل سـألته؟". بـدا جاك متفاجئاً. بدا تحليل الخط من قبل المختبر الجنائـي إجـراء متطرفاً جداً بالنسبة إليه. قال: "أنت فعلاً قلقة". فأومأت برأسها.

"أردت فقط التأكد، لكي أعرف ما نواجهه. إنه إذاً رجل وليس ولداً. لكن، ربما المسألة كلها غير مهمة".

"سـأتحقق مـن سـجل زيـارات كانتن. وإذا حصل الأمر مجدداً، أبلغينـي". أومـأت برأسها، وأطلعها على نتائج استجواب هذا الصباح. لم يظهـر أي شيء جديد. إلا أنهم سيرسلون النتائج الأولية لدي أن أيه كانتن إلـى الـولايات الأخرى لمعرفة إذا كان هناك أي نوع من التطابق. وفي وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، استطاع جاك إخبار ألكسا أن كانتن لم يـتلقَ أي زيـارات على الإطلاق. ولذلك، فمن المستبعد أن تكون الرسالة

المـــوجهة إلى سافاناه من قبله. لم تكن ألكسا واثقة ما إذا كانت قد شعرت بالارتياح أم لا. فإذا لم يكن كانتن الفاعل، فمن هو إذاً؟

بعـــد يومين، دخل جاك مكتبها مجدداً. كانت ألكسا تواجه يوماً سيئاً. فمـــا مـــن شيء يجري على ما يرام، لقد أوقعت للتو قهوتها على مكتبها، فأغرقت أوراقها وأفسدت قميصاً جديداً.

كانـــت تقول لنفسها حين دخل جاك الغرفة: "اللعنة". فابتسم ابتسامة عريضة.

"وقت سيئ؟".

"لا. أوقعـــت قهوتـــي للتو". كانت تحاول إنقاذ الأوراق على مكتبها، وأصبحت تنورتها متسخة. "ماذا لديك؟". وضع ملفاً على القسم الجاف من مكتبها.

"بنغو!".

"بنغو؟! بشأن ماذا؟". كانت فترة قبل الظهر مليئة بالعمل، ودار عقلها في مليون اتجاه في الوقت نفسه.

"حـــصلنا علـــى مطابقات في أيوا وإيلينوي. تم العثور على شعر كانـــتن تحت أظفار ثلاث ضحايا. يصبح لدينا إذاً سبع ضحايا. أظن أنها مجـــرد الـــبداية". حـــصلوا علـــى المطابقات من الأدلة في مجموعات الاغتـــصاب التي تم جمعها من قبل المحقق في كل حالة، وجرى حفظها بدقة.

"أوه اللعـــنة". كانت سعيدة وحزينة في الوقت نفسه. حزينة من أجل عائلات الضحايا، وسعيدة لوجود المعتدي وراء القضبان. "هل سيسمحون لـــنا بـــدمج قضاياهم وإضافتها إلى المحاكمة هنا، أم أنه علينا تسليمه إلى الـــولايات الأخـــرى لمحاكمـــته فيها بعد الانتهاء من محاكمته هنا؟". كان خـــوفهم الأكبـــر هو أن يقوم مكتب التحقيقات الفدرالي بأخذ القضية منهم بحجـــة أنـــه عبر حدود الولايات. أرادت ألكسا الاحتفاظ بالقضية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى جاك والنائب العام.

"لم أصل إلى هذا الحد". لقد وضعوه لغاية الآن على لائحة المجرمين المطلوبـــين فـــي ثلاث ولايات. ستصبح المسألة معقدة الآن، وسيتم إدخال آليات وتقنيات قانونية. ثم اكفهرّ وجه جاك وهو يقول: "إحدى الضحايا هي أخت تشارلي، وهذا ما دفعه إلى الاهتمام بهذه القضية. لكن ستصعب عليه حتماً معرفة هذه الحقيقة".

"هل أخبرته؟".

"ليس بعد، لكنني سأفعل. أفكّر في إبعاده عن القضية. إذ يصبح ذلك أقـــرب إلـــى القـــضية الشخصية. لقد أوقفه، وهذا يكفي". التوقيف في لغة رجال الشرطة تعني الاعتقال.

"أظن أنه يجدر بك إبعاده عن القضية. لا أريده أن يفقد أعصابه في المحكمة وينسف قضيتنا، أو أن يجن جنونه ويطلق النار على الرجل. لدينا ما يكفي من الأمور التي تسبب الصداع ولا حاجة إلى المزيد منها".

"إنه شرطي جيد. لن يجنّ جنونه. لكنني لا أريد أن أضايقه أكثر مما هو متضايق". وافقته ألكسا الرأي، واحتفلت هي وجاك لدقيقة بتمكنهما من الانـــتقام لـــثلاث ضـــحايا أخرى في المحاكمة. إنه كل ما يستطيعان فعله لأولئك الفتيات ولعائلاتهنّ في الوقت الحاضر.

لكن حين تحدث جاك إلى تشارلي بشأن هذا الأمر في وقت لاحق من بعد الظهر، أصرّ تشارلي على عدم ترك القضية، وتوسل إلى جاك كي لا يـــبعده عـــنها. لقـــد اهتم بالتحقيق منذ البداية، وكان مفيداً جداً في إحضار المعلـــومات إلى الحملة. كان متألماً بحيث ظن جاك ومساعدة النائب العام أنـــه قد يفقد رباطة جأشه في المحكمة. طُلِب منه في البداية الانضمام إلى الحملة، وكشف كل ما لديه عن أخته. وتمت مراقبته عن كثب، ولم يرتكب أي هفوة لغاية الآن.

"أي نـــوع من رجال الشرطة تظنني؟ أتظنّ أنني مجنون؟ لن أطلق النار على ذلك الأحمق، بالرغم من أنني أودّ ذلك. لقد بذلت كل ما بوسعي خـــلال العام المنصرم للإمساك بهذا الرجل ليمثل أمام العدالة لإدانته. كنت

من أوائل الأشخاص الذين شكّوا في أنه هو المجرم. وبمحض الصدفة، نلنا منه في الجرائم الحاصلة هنا أولاً، ما يجعله في نطاق سلطتنا القضائية. جاك، لا يمكنك إبعادي عن هذه القضية". ظهرت دموع خيبة الأمل في عينيه، فلقد أراد فعل ذلك من أجل أخته. لم يدرك جاك أنهما توأم إلى أن قرأ تاريخ ميلادها على الملف الذي أرسلته إليه شرطة أيوا. أيوا هي الولاية التي ينتمي إليها تشارلي، بالرغم من أنه انتقل إلى نيويورك قبل أعوام عدة.

"حسناً، حسناً. لكن، إذا أصبحت الأمور صعبة جداً بالنسبة إليك، فسأسمح لك بالانسحاب، أو سأبعدك عنها إذا أصبحت متوتراً جداً".

قال تشارلي بهدوء: "لست متوتراً جداً. لم أكره قطّ شخصاً بهذا القدر في حياتي. هذا مختلف". أومأ جاك برأسه، آملاً أنه يفعل الشيء الصحيح، ومتذكراً كيف ضرب تشارلي كانتن عند الرصيف، وكسر أنفه ليلة اعتقاله.

"سأتركك في القضية، لكنني لا أريدك أن تكون معه بمفردك خلال الاستجواب، ولا أريدك أن تواجهه أو أن يواجهك. هل هذا واضح؟". أومأ تشارلي برأسه. "فسيجنّبنا هذا الكثير من الضغوطات. اتفقنا؟".

"اتفقنا". ثم غادر تشارلي المكتب، وهو يحاول أن يستوعب المعلومات التي شك فيها طوال أشهر عدة لكنه لم يتأكد منها قطّ. فلقد اغتصب لوك كانتن أخته التوأم وخنقها. انتظر حتى وصل إلى المنزل، فاستلقى على سريره وأجهش بالبكاء. لا يزالون في الأيام الأولى، ولا يزال الطريق طويلاً أمامهم، لكن القضية تلقي بعبئها عليهم جميعاً، بطريقة أو بأخرى، وستصبح أسوأ بكثير.

الفصل الخامس

مرّ ما تبقى من شهر كانون الثاني/يناير بسرعة، وكانت ألكسا غارقة في العمل في مكتبها. حصلوا على تطابق بين كانتن وخمس ضحايا في بنسيلفانيا، وضحية أخرى لم يعرفوا بأمرها في كنتاكي. ومع النساء اللواتي قتلن في أيوا وإيلينوي، يصل العدد الآن إلى ثلاث عشرة ضحية اغتصاب وقتل. وتم دمج التهم ضمن قضيتهم، بالاتفاق مع الولايات الأخرى، وانتشر الخبر في الصحافة في كل أرجاء البلاد.

أدلت ألكسا بتصريح مختصر أمام الصحافة، لكنها رفضت التعليق عدا عن ذلك. إذ لم تكن تريد أن تقول أي شيء غير صحيح. القضية مهمة جداً. وهناك اثنتا عشرة ضحية على الأقل، في مجموعة من الولايات التي سافر إليها. تبين أنها قضية وطنية، وكانت ألكسا تلتقي محققين من ولايات أخرى باستمرار. تولى جاك مهمّة جمع المعلومات، فيما كانت ألكسا مشغولة بالاستعداد للمحاكمة. وأخيراً، في بداية شهر شباط/فبراير، تسنى لألكسا الوقت لتناول عشاء هادئ مع أمها بعد العمل.

قالت أمها وهي تبدو قلقة: "تبدين متعبة جداً".

"سيصبح الأمر أسوأ قبل أن يتحسن. لا تزال أمامي ثلاثة أشهر فقط قبل المحاكمة". كانت تبقى مستيقظة كل ليلة حتى الثالثة من بعد منتصف الليل، وهي تقرأ القانون وتدوّن الملاحظات.

"حسناً، لا ترهقي نفسك. كيف حال سافاناه؟ هل وردتها أي أخبار من الجامعات؟".

فتـــنهّدت ألكـــسا قـــبل أن تجيب: "ليس قبل شهري آذار/مارس أو نيسان/أبريل. ستذهب للتزلج مع والدها في الأسبوع المقبل؛ هذا إذا ظهر. ففي معظم الأوقات، يكذب عليها. ومن المرجّح أن يفعل هذا مجدداً". قالت ألكسا ذلك وهي تبدو غاضبة. تكره تخييبه أمل سافاناه، التي تسامحه دوماً. يكفي أنه آلمها هي.

قالت موريال بهدوء: "ربما لن يكذب هذه المرة. أتمنى ذلك".

"لماذا؟". سألت ألكسا وهي تبدو غاضبة. كانت تكره زوجها السابق، وكـــل مـــا هو مرتبط به، وكل ما فعله بهما. لقد ألغاهما من حياته، بسبب ضـــعفه. كـــان من الأسهل عليه الاستسلام لأمه وزوجته السابقة بدلاً من الوقـــوف معهما. تكره الدودة التي أصبح عليها. "لماذا تتمنين ألا يكذب؟". سألت ألكسا وقد شعرت فجأة بالغضب من أمها.

"لأنـــه من الجيد لها أن ترى والدها، على الأقل بين الحين والآخر. إنها تحبه. ربما كنت تكرهينه، وأنا أفهم ذلك، وأنا أيضاً لا أحبه بسبب ما فعله بك، لكنه يبقى والدها، آلي. تبقى الحقيقة، بكل عيوبها، أفضل من وهم تنـــسجه حوله". ابتسمت ألكسا حين سمعت ما قالته أمها. لم تنادِها *آلي* منذ أعـــوام. لكـــن ألكسا لا تزال طفلة بالنسبة إليها، تماماً مثلما ستبقى سافاناه طفلة بالنسبة إلى والدتها.

قالـــت ألكسا وقد هدأت قليلاً. "ربما أنت محقة، لكنني ترعرعت من دون أب ولم يقتلني ذلك. وطوم مجرد نذل".

"ستعرف ذلك بنفسها. امنحيها الوقت".

"أظن أنها تعرف ذلك أصلاً لكنها تحبه على كل حال".

"امنحـــيها تلـــك الفرصة. إنها تحتاج إليها. في الوقت الحاضر على الأقل".

"يزعجها دوماً أنني لا أراه. لم أره منذ عشرة أعوام، وأتمنى ألا أراه أبداً مجدداً".

"هل سيأتي لحضور حفلة تخرجها في شهر حزيران/يونيو؟".

قالت ألكسا بنبرة مذنبة: "طلبت منها ألا تدعوه، فقالت إنها ستعطيني إنـــذاراً مدته أربع سنوات، وإنّها تريده أن يكون حاضراً في حفلة تخرجها من الجامعة". ابتسمت ألكسا بحزن لأمها. "أظن أنني لا أملك خياراً. تتحلى بـــروح رياضية حيال ذلك، وأحاول ألا أقول الكثير، لكنها تعرف شعوري تجاهه. ليس ذلك سراً بيننا".

قالـــت أمهـــا بهدوء: "عليك أن تتخطي المسألة". فنظرت إليها ألكسا متفاجئة.

"لماذا؟ ما الفرق إذا كنت أكرهه؟".

"لأنه يسممك. ولن تقيمي أبداً أي علاقة محترمة مع رجل آخر إذا لم تضعيه خلف ظهرك، وتتوقفي عن كرهه".

تجمّـــد فك ألكسا. "راجعيني بعد ثلاثين أو أربعين عاماً. ربما أكون مصابة بمرض ألزهايمر حينها". لم تتفوه أمها بأي تعليق إضافي، وعادت ألكـــسا إلـــى المنزل لملاقاة سافاناه التي كانت مستلقية على سريرها وهي تشاهد التلفاز.

"كـــيف حـــال جدتـــي؟". سألتها وقد غلبها النعاس بعد أن أنهت كل فروضها المنزلية، وأمضت أمسية هادئة بمفردها.

"بخير. ترسل إليك تحياتها".

ذهبت ألكسا لتعليق معطفها في خزانة الردهة الأساسية، فرأت ظرفاً مقحمـــاً تحت الباب. لم تره حين دخلت. رفعته بحذر من الزاوية، فوجدت أنـــه قد كتب عليه بالخط اليدوي الطفولي نفسه. لم تقل أي شيء لسافاناه، وفتحـــته بعـــدما وضعت زوجاً من القفازات المطاطية التي تحتفظ بها في الدرج. ذكرت الرسالة: "أعرف أين تكونين في كل دقيقة من اليوم. انتبهي، وانظـــري حـــولك، ولكن لا يمكنك رؤيتي. أنت فتاة جميلة". ما من تهديد واضح فيها، لكن الشخص الذي كتبها أرادها أن تعرف أنها تحت المراقبة، ومـــن قـــبل رجل يشتهيها. خافت ألكسا كثيراً، لا بل أصيبت بالذعر، فيما وضعت الرسالة في كيس مصنوع من النايلون، تماماً مثلما فعلت قبلاً.

لـم تـتفوه بأي كلمة حول ذلك، وإنما دخلت غرفة نومها، وأغلقت الباب. اتصلت بجاك على هاتفه الخلوي، فأجاب على الفور، فأخبرته عن الرسالة التي وضعتها في الكيس بعناية.

"لا أعرف حتى إذا كان هذا حقيقياً. قد يكون مجرد شخص يحاول أن يكون ظريفاً، أو يريد إخافتها. لكن، إذا كان هناك رجل ما يلاحقها، فالأمر لا يعجبني على الإطلاق". ساد صمت طويل من قبل جاك، ثم اعترف لها أخيراً أن الأمر لا يعجبه هو أيضاً.

"لمـاذا لا أخـصص لك شرطياً من أجلها؟ يستطيع الذهاب إلى المدرسة معها". كرهت ألكسا إخافة سافاناه، لكنها عرفت أنها لا تملك خـياراً. عرفت حين استلمت قضية كانتن أنه قد تكون هناك تهديدات ضـدها. إلا أنها لم تظن قطّ أنها ستكون موجهة إلى سافاناه بدلاً منها. ليـست هـذه تهديـدات مباشرة، وإنما يوجد فيها تهديد على كل حال. وإذا كـان كل ذلك يتم تحت إشراف لوك كانتن، فسيكون الأمر مخيفاً أكثـر. فـربما يكـون قد طلب من زميل سابق له في السجن اللحاق بسافاناه. لا تستطيع إثبات ذلك. ولكن، جعلها هذا الاحتمال البعيد تشعر بالخوف.

"لم أخبرها بعد عن هذه الرسالة، لكنني أظن أنه يجب عليّ فعل ذلك. شـكراً لك جاك. أريد أن يرافقها شرطي ما". أكدت له. كانت خائفة على سافاناه وليس على نفسها.

"ليـست هـناك مشكلة. حاولي ألا تقلقي بشأن ذلك. يحتمل أن الأمر لـيس لـه علاقـة بكانتن. ولكن، من الأفضل توخي الحذر بدلاً من الندم لاحقـاً. فمن يعرف أي نوع من الأشرار يعرفهم؟". فكل الأشخاص الذين عرفهم أو خرج معهم كانوا في السجن.

قـررت ألكـسا ألا تقلـق سـافاناه عند موعد نومها، وأخبرتها عن مضمون الرسالة عند تناول الفطور، فاكفهرّ وجه سافاناه.

"هذا مخيف جداً ماما. الرجل مريض".

"نعـم، صـحيح. اتـصلت بجاك جونز لإخباره عن الأمر في الليلة الماضـية. سيخـصص لك شرطياً يرتدي ملابس مدنية للذهاب معك إلى المدرسة. وهذا بهدف توخي الحذر، في حال كان هناك شخص ما يراقبك فعلاً. أفضل التحلي بالذكاء في هذه المسألة. قد يكون الأمر مجرد مزحة، لكننـي لا أريد المجازفة". فالقضية التي تعمل عليها تذكير بمدى خطورة بعض الرجال.

بـدت سـافاناه منزعجة فوراً. "هذا محرج جداً ماما. لكم من الوقت سأبقى على هذه الحال؟".

"دعيـنا نرى إذا كان سيكتب إليك مجدداً. يمكن أن يستمر الأمر إلى ما بعد المحاكمة". فإلى أن تعرف ما إذا كانت الرسائل عائدة إلى كانتن أم لا، تريد أن تكون سافاناه محمية وبعيدة عن الأذى.

صـرخت سـافاناه فـي وجهها: "هذا يعني أن الأمر سيستمر ثلاثة أشـهر! أو ربما أربعة!". تعرف ما يكفي عن عمل أمها بحيث عرفت أن المحاكمـة قد تستمر أشهراً، وستكون هذه محاكمة كبيرة، مع ثلاث عشرة ضـحية، أو ربمـا أكثـر في ذلك الوقت. "أفضل البقاء في المنزل وعدم الـذهاب إلـى المدرسة عوضاً من أن أبدو غبية وأنا أذهب إلى المدرسة برفقة شرطي كل يوم".

"حـسناً لا يمكنك البقاء في المنزل وعدم الذهاب إلى المدرسة. لذا، اسـتوعبي الأمـر". وشـعرت ألكسا بالارتياح لأن سافاناه غضبت بشأن الـشرطي أكثـر مما غضبت من الخطر المحتمل. كانت لا تزال تتحدث بـصخب حـين رنّ جرس منزلهما بعد خمس دقائق. وحين فتحت الباب، وجـدت أمامها رجلاً شابًا وسيماً، ذا شعر داكن وعينين بنيتين كبيرتين، يرتدي سترة بايسبول ويعتمر قبعة، وكان يبتسم لهما معاً. قال إنه الشرطي لويكي، لكن يمكن مناداته ثاد. ابتسم لسافاناه، فحدّقت إليه فيما حاولت ألكسا ألا تبتـسم. كان من السهل ملاحظة أن سافاناه وجدته ظريفاً. ومن لا يجده كـذلك؟ بدا عمره ستة عشر عاماً تقريباً، وربما كان أكبر من ذلك ببضعة

أعوام فقط، بعمر مماثل لعمر سافاناه. تخيلت أن جاك سيرسل رجلاً كبيراً غريب الأطوار يرتدي بذلة الشرطة. لكن ثاد لويكي هو كل شيء باستثناء ذلك.

ســألت ألكــسا بلطف، فيما ارتدت سافاناه معطفها: "هل أنت جاهزة للذهاب إلى المدرسة؟".

فأجابتها ابنتها: "نعم، أظن ذلك". فيما حمل ثاد حقيبة كتبها.

اقتــرح مع ابتسامة صبيانية: "فكرت في أنه يمكننا القول إنني قريبك من كاليفورنيا، وسأبقى هنا لبضعة أشهر. فسوف يرونني كل يوم".

قالت سافاناه وهي تفتح باب الشقة: "نعم، حسناً".

" ربما يجدر بي تحذيرك. أنا ضعيف جداً في التاريخ والرياضيات. أظــن أن الــسبب عائدٌ إلى نوع من المشاكل في التعلم أو ما شابه. لكنني أبلي حسناً في الإسبانية، إذا احتجت إلى مساعدة".

"شــكراً". قالت سافاناه وهي تبتسم ببطء، ثم نظرت إلى أمها بحذر، وأومأت ألكسا برأسها.

وقالــت ألكــسا وهي تغلق الباب: "حظاً موفقاً". ثم اتصلت بالمدرسة لتشرح لهم الوضع، وبعد ذلك اتصلت بجاك. لقد فعل الشيء الصحيح مع ثاد.

"حــسناً، كيف حصل أنك لم ترسل إليّ قطّ مثل هذا الرجل من قبل؟ آخــر مــرة احتجت فيها إلى حماية، أرسلت إليّ رجلاً عجوزاً وزنه مئتا كيلوغرام. هذا الولد ظريف جداً".

ضحك جاك. "عرفت أنك ستستلطفينه. ما هو رأي سافاناه؟".

"لــم يكن لديها الوقت لتخبرني عن رأيها. ولكن، بدت حين غادرت وكأنهــا قد سامحتني. عرض عليها مساعدتها في الإسبانية وحمل حقيبتها. إنه قريبها من كاليفورنيا. يبدو وكأن عمره أربعة عشر عاماً".

"عمره واحد وعشرون عاماً، وهو شاب لطيف فعلاً. إنه الابن البكر لوالد لديه تسعة أولاد. ووالده وجده وأخوه من رجال الشرطة أيضاً. عائلة

بولــندية لطــيفة من نيوجرسي. يا الله، قد يتزوجان. يمكنها أن تفعل شيئاً أسوأ". كانت ألكسا تضحك في الطرف الآخر.

"لقــد تدبــرت كل شيء؛ حماية وصهراً في الوقت نفسه. هل تنظف النوافذ والأرضيات أيضاً؟".

"فــي أي وقــت، سيدتي، إذا كان هذا هو المطلوب". كان يمازحها دائمــاً، ولكــن مع وجود تلميح خفيف بالغزل في صوته حين يتحدث إليها عن أي شيء آخر غير العمل. إلا أنه يعرفها جيداً ليجرب معها. ستهرب بــسرعة، وعــندها ســيكون قــد خسر صديقة. "على كل حال، لقد حلّت المشكلة". كان مسروراً لإبعاده القلق عن حياة ألكسا؛ إذ لديها ما يكفي منه.

في ذلك اليوم، حين غادرت ألكسا إلى العمل، كانت مرتاحة لمعرفتها أن سافاناه محمية جيداً. وفي نهاية الأسبوع، كان ثاد يتناول الفطور معهما قبل أن يغادرا هما الاثنان إلى المدرسة. قالت سافاناه إنه شاب لطيف فعلاً، وإن لديه صديقة يخرج معها منذ أيام الثانوية، وهما معاً منذ سبعة أعوام. إنــه شاب صلب، يمكن الاعتماد عليه، وقال جاك إنه شرطي جيد. أحسّت ألكــسا أنــه هو وسافاناه قد بدأا يصبحان صديقين، بالرغم من إبقائه على حــدود محترمة معها. وفي الوقت الحاضر، لم يصل المزيد من الرسائل. كل شيء تحت السيطرة. أملت ألكسا أن تتوقف الرسائل، أياً كان الشخص الــذي كتبها، فلديها ما يكفي من المشاكل. تحقق جايسون يو من البصمات على الرسالة حين أخذتها إليه في المختبر. ومرة أخرى، تبين أن الشخص الذي كتب العنوان على الظرف وسلّم الورقة المطبوعة على الحاسوب كان يضع زوجاً من القفازات. لا توجد بصمات على الإطلاق.

في نهاية الأسبوع التالي، حضرت ألكسا استجواباً آخر للوك كانتن، وكانــت هــذه المرة موجودة في الغرفة. لم تطرح أي أسئلة، وإنما راقبت فقــط. ولكــنه لــم ينزع عينيه عنها قطّ. شعرت بأنّه كان يعرّيها في كل حــركة. لم يظهر أي شيء على وجهها، بل بدت باردة جداً ومهنية تماماً. ولكنها حين غادرت الغرفة، كانت ترتجف وتشعر بالكثير من التوتر.

سألها جاك في الممرّ: "هل أنت بخير؟". فقد بدت له شاحبة.

قالت وهي تحاول تهدئة نفسها: "أنا بخير. أكره ذلك الحقير". تم ربط جريمتين إضافيتين به. لقد انهار منزل الورق، وأصبح عدد ضحاياه خمس عشرة ضحية.

"لا تقلقـــي. إنه يكرهك أيضاً. تلك النظرات التي وجهها إليك تهدف إلى مضايقتك. لا تسمحي له بالنيل منك، لأن هذا ما يريده. لن يخرج من السجن حياً. لا يمكنه فعل أي شيء لك".

"يتصرف وكأنه يستطيع الحصول على أي امرأة يريدها".

"إنه رجل وسيم. وأظن أن هذا يناسبه". لقد نظر مباشرة إلى عينيها، ولعق شفتيه برقة شديدة، وجعلتها مراقبته وهو يفعل ذلك تشعر بالقرف.

"لكـــنه لـــم يناسب ضحاياه قطّ". قالت ألكسا ذلك بحزن وعادت إلى مكتبها. فقد كان لديها عمل يتعين عليها إنجازه. وستغادر سافاناه في اليوم التالـــي لتمضية أسبوع في فيرمونت للتزلج مع والدها. سيمرّ لاصطحابها بعـــد المدرســـة، فيما تكون ألكسا في العمل. هكذا، لن تضطر إلى رؤيته، الأمر الذي يناسبها.

تلـــك اللـــيلة، تـــناولت ألكسا وسافاناه عشاء لذيذاً. وفي صباح اليوم التالي، ودعتا بعضهما، فيما وقف ثاد وهو يحمل لها كتبها. تم توضيب كل حقائبها في الليلة الفائتة، ووضعت في الردهة.

قالت ألكسا بلطف: "استمتعي مع أبيك". أخبرتا ثاد أن لديه إجازة في الأســـبوع المقبل، وأنه سيعود إلى عمله النظامي لمدة أسبوع. إذ لا تحتاج إليه ألكسا. فلم توجه إليها أي من الرسالتين، بل وجّهتا فقط إلى سافاناه.

"سأتصل بك من فيرمونت". وعدتها سافاناه وهي تعانقها، ثم خرجت برفقة ثاد.

حـــزنت ألكسا لرؤيتها تذهب، فهي ستشتاق إليها. ولكنها عرفت أنها ستستمتع بالتزلج مع والدها. إنه بارع جداً في التزلج، وقد فاز في سباقات عدة حين كان أصغر سناً. علّم سافاناه أصول التزلج حين كانت في الثالثة

مـــن عمرها، ولا تزال هذه رياضتها المفضلة؛ ربما بسبب الذكريات التي تشاركتها معه.

عملـــت ألكسا في المكتب حتى وقت متأخر، وعادت إلى المنزل بعد السابعة وهي مستعدة لإيجاد الشقة فارغة، لكنها ذهلت لدى رؤيتها سافاناه هناك وقد بدت حزينة. فهمت ألكسا الموضوع فوراً. فلقد كذب عليها طوم مجدداً.

"مـــاذا حـــصل لـــوالدك؟". سألت ألكسا برفق، وهي غير راغبة في إغاظة سافاناه أكثر مما هي مغتاظة أصلاً.

"لقـــد تأخر. تم تأخير طائرته في تشارلستون. لن يصل إلى هنا قبل التاســـعة. قال إنه يمكننا السفر الليلة". تنهدت وابتسمت لأمها التي تساءلت إن كـــان سيأتي فعلاً. وفيما بدأت ألكسا تحضر شيئاً لتتناولاه معاً، أدركت أنهـــا ستكون موجودة حين يصل. أخبرت سافاناه خلال العشاء أنها ستبقى فـــي غـــرفتها حين يصل، فهي لا تريد أن تكسر رقماً قياسياً مثالياً وتراه للمرة الأولى منذ عشرة أعوام. إنها ليست مستعدة لذلك. ولا تريد أن تراه قبل مرور مئة سنة أخرى، مهما قالت أمها. اللعنة على ذلك، واللعنة عليه.

"هـــيا، مامـــا، كونـــي لطيفة". وكانت سافاناه تفكر في أنهما إن رأيا بعـــضهما الآن، ولم يكن الأمر مريعاً جداً، فربما ستسمح له أمها بالمجيء إلـــى حفلـــة التخرج في شهر حزيران/يونيو. فهي لا تريد أن تبدو خائنة لأمهـــا بعـــد كل ما فعلته من أجلها، ولكنها في قرارة نفسها تريد أن يكون حاضـــراً معها. وقد قال لها إنه سيأتي إذا كان الأمر يناسب أمها، وإلا فلن يفعـــل. فهـــو يحتـــرم مشاعر زوجته السابقة حياله، ويعرف كل الأسباب الكامـــنة وراء بغضها له. وهو لا يستطيع القول إنها ليست محقة فلقد كان نذلاً حقيقياً.

قالـــت ألكـــسا بمرارة، وهي تضع الأطباق في غسالة الصحون: "أنا لطيفة، لكن ذلك لا يعني أنه يجب عليّ رؤية والدك. ليس الليلة، أو في أي وقت قريب، أو ربما في هذه الحياة".

"كل ما عليك قوله هو مرحبا ووداعاً". لم تقل ألكسا ذلك لابنتها وإنما كانت تفكر أيضاً في عبارة *اللعنة عليك*.

"لا أظن ذلك حبيبتي. أريدك أن تمضي وقتاً ممتعاً معه. كلانا نحبك. لكن ليس ضرورياً أن نكون صديقين".

"لا، لكن يمكنك التصرف بتهذيب على الأقل. فأنت لا تتحدثين معه حتى عبر الهاتف. يقول إنه مستعد لذلك، لكنه يفهم سبب رفضك".

"هذا نبيل منه. نعرف على الأقل أن ذاكرته لا تزال جيدة". قالت ألكسا هذا وخرجت من الغرفة. عرفت سافاناه أن والدها قد عاد إلى زوجته الأولى بعدما ترك أمها، وأنجبا طفلة أخرى لم ترها سافاناه قطّ، كما لم ترَ زوجته أيضاً. ولقد مضت عشرة أعوام منذ أن رأت أخويها غير الشقيقين، بالرغم من أنها لا تزال تذكر أشياء عنهما. لم تعرف شيئاً عن تفاصيل الطلاق أو عن سبب حصوله، ورفضت أمها مناقشة الأمر معها. فلقد رأت ألكسا أنه من غير الملائم شرح المسألة لها. فحتى لو كانت تكره طوم، فسيبقى والد سافاناه. تذكر سافاناه جدتها والدة أبيها بطريقة غامضة، وتذكر أنها كانت تخاف منها قليلاً. لم تتحدث إليها طوال تلك السنوات، وحتى إنها لم ترسل إليها بطاقة معايدة واحدة. ثمة صدع كبير جداً بين طرفي عائلتها، والاتصال الوحيد مع والدها كان حين يظهر. نادراً ما كان يتصل بها، وأخبرها قبل أعوام عدة أنها لا تستطيع الاتصال به أبداً في المنزل، وإنما فقط في المكتب، لكنها لم تفعل ذلك قطّ. أحستّ أنه لا بأس في أن يزورها، ولكنها لا تستطيع أبداً الاقتراب من حياته في تشارلستون. إنه تعهد صامت بينهما، ومن نوع الأمور التي يحسّ بها الولد، من دون لفظ أي كلمة.

جلست ألكسا وسافاناه وشاهدتا التلفاز. وعند الساعة التاسعة والربع، رنّ جرس الباب. قفزت ألكسا على قدميها حين سمعته، وتوجهت إلى غرفة نومها، وهي تطلب من سافاناه أن تأتي إليها لتودعها قبل أن تغادر. فتحت سافاناه الباب قبل أن تدخل ألكسا غرفتها. وشعرت هذه الأخيرة بالارتباك وهي تحدّق إلى وجه زوجها السابق من دون أن يتفوّه أيّ منهما

بأي كلمة. ذابت فوراً عشر سنوات مثل الثلج على لسانيهما. لم تعرف ماذا تقول له، وهو كذلك. إذ لم يتوقع أن تكون موجودة. فهي لا تكون موجودة أبداً. وبدا تماماً على حاله. كان يرتدي الجينز، وسترة تزلج سوداء، وينتعل جزمة تسلق، وبدا وسيماً مثلما كان دوماً. كان شعره طويلاً قليلاً، وعيناه الزرقاوان مثلما تذكرهما تماماً، فيما اختفى الشيب في شعره بين الشعر الأشقر. لا يزال يملك الجسم الرياضي نفسه، وله الشق نفسه في ذقنه. لم يتغير طوم بومونت ذرة واحدة.

قال بهدوء: "مرحبا ألكسا". وبدا كما لو أنه يخاف من الاقتراب منها. أمّا هي فبدت مذعورة وكأنها على وشك الهروب من الغرفة، ومنه. حين تحدث، كشف عن الصوت العميق الأجش نفسه، واللكنة الجنوبية نفسها. أمّا الأمر الذي اختلف فهو أنها لم تعد زوجته، وليست كذلك منذ أعوام.

قالت بتهذيب: "مرحبا طوم". كانت لا تزال ترتدي بذلة العمل الكحلية الرسمية والقميص الأبيض، إلاّ أنها خلعت حذاءها. وكان شعرها مربوطاً على شكل كعكة. على عكسه تماماً، بدت شخصاً مختلفاً عن المرأة السعيدة التي كانت عليها قبل عشرة أعوام. فهي الآن تبدو جدية، ومهنية، ومنزعجة كثيراً من مواجهته. لكن سافاناه شعرت بالامتنان لأنها تتحدث إليه على الأقل. هذه سابقة. كانت مسرورة جداً لأن طائرته تأخرت. لكن ألكسا لم تكن مسرورة وقالت: "حسناً، سأترككما لتستعدا. تستطيع سافاناه أن تحضر لك شيئاً لتأكله إذا لم تكن قد تناولت الطعام بعد".

قال بلطف: "أستطيع شراء شيء على الطريق". ما رآه وأذهله كثيراً هو نظرة الحزن في عينيها. لا يزال كل شيء موجوداً؛ كل ما فعله بها. جعله ذلك يتألم، فأراد البكاء. لكن الوقت تأخر جداً على ذلك. قال لألكسا: "سنغادر الآن". كما لو أنه أراد طمأنتها بأنه سيختفي عن نظرها ومن مكانها سريعاً. أومأت برأسها، وغادرت الغرفة والكآبة تبدو واضحة على وجهها. دخلت غرفة نومها وأغلقت الباب. نظر طوم إلى سافاناه ولم يقل شيئاً، فقد بدت سافاناه سعيدة، كما لو أن شيئاً رائعاً قد حصل. تساءل إذا

كانت معتادة على تلك النظرة المحطمة في عيني أمها. لو كان الأمر كذلك، فعندها يكون ذلك أسوأ بكثير. بدت ألكسا جيدة، لكن نتيجة خيانته لها بدت واضحة في عينيها.

بعد دقائق قليلة، أصبحا مستعدين للمغادرة. كانت سافاناه ترتدي سروال تزلج أسود وسترة بيضاء، وبدت فاتنة حين دخلت غرفة أمها لتقبلها وتودعها. ستشتاق إليها ألكسا، ولكن لديها الكثير من العمل لإنجازه. تستطيع الاستفادة من الوحدة، من دون الشعور بالذنب بسبب الوقت الذي لا تستطيع تمضيته مع سافاناه. وعرفت مقدار شوق ابنتها للقيام بالرحلة مع طوم.

قالت ألكسا فيما كانت تعانقها: "أحبك، استمتعي بوقتك".

"أنا أيضاً أحبك ماما. لا تعملي كثيراً". ثم ترددت هنيهة أمام الباب، وقالت: "هل تريدين المجيء لتقولي وداعاً؟". كانت تقصد أن تودع والدتها والدها. فهزّت أمها رأسها من دون أي كلمة، وطمأنتها سافاناه. "لا بأس في ذلك. شكراً على تصرفك بلطف حين وصل". ابتسمت ألكسا، وأغلقت سافاناه الباب.

وبعد قليل، سمعتهما ألكسا وهما يغادران، فاستلقت على سريرها. لم تتوقع رؤيته، أو أن تتأثر هكذا حين تراه. ما صدمها هو أنه لا يبدو مختلفاً أبداً، ولا ذرّة واحدة. بدا تماماً مثلما كان حين كان زوجها، وتوجب عليها تذكير نفسها أنه لم يعد زوجها. بدا وكأن قلبها وجسمها قد تشبثا بكل الذكريات التي حاولت قتلها. لا تزال روحها تذكره، وكذلك قلبها وبشرتها. وهي تذكر الآن كم أحبته حينها، وكم كان كل شيء مؤلماً. وفيما كانت مستلقية، تساءلت إذا كان هناك بعض الأشخاص الذين يبقى الشعور حيالهم هو نفسه، والذين يوقظون المشاعر نفسها والذكريات نفسها. فمهما حاولت كرههم، أو مهما تغيرت الأمور، يبقى هناك دوماً جزء صغير فيك يذكرك كم كان الأمر جميلاً. الشيء الأسوأ الذي عرفته هو أنها لا تزال منجذبة إليه، ومفتونة به وبوسامته، بعد كل الوقت الذي مضى. استلقت هناك،

متذكرة كم كان الأمر مريعاً، وكما آلمها بقوة، وكم كان ضعيفاً وحقيراً. ولكن، لجزء صغير من الثانية، تذكرت الأوقات الجيدة، وشعرت بالشيء نفسه حياله. في النهاية، كان كل ذلك تذكيراً لها بمدى كرهها له، وبسبب ذلك الكره.

الفصل السادس

في منتصف الأسبوع، شعرت ألكسا بالارتياح لأن سافاناه مع والدها. فأيامهـا كانت مجنونة. عثروا على ضحية أخرى استطاعوا ربطها بلوك كانتن. هذه المرة، كانت فتاة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً. يعلمون الآن بوجود ست عشرة ضحية له، ويعمل المختبر الجنائي على تحليل الدي أن أيــه. وهـم يعملــون الآن تحت إشراف مكتب التحقيقات الفدرالي، بسبب وجــود الضحايا في ولايات عدة. خصص جاك دزينة من المحققين للعمل على القضية بدوام كامل إذ إنّ المحاكمة ستتم بعد ثلاثة أشهر.

يوم الخميس، التقت ألكسا محامية الدفاع العام جودي دوانينغ لمناقشة المــستجدات معها. كان يتوجب على ألكسا منحها الأدلة التي لديها، والتي كانت كلها تدينه بشدة. حاولت ألكسا إقناع جودي بمساعدته على الاعتراف بالــذنب، فشرحت لها جودي أنها بدأت تفكر في أن التهمة ملفقة ضده من قــبل شــخص ما ربما كانت علاقته به سيئة في السجن، وأقسم على الثأر مــنه. وقالت إنها مقتنعة شخصياً بأنه لم يرتكب الجرائم. فهناك الكثير من الضحايا، وفجأة أصبح اللوم يلقى عليه لدى العثور على كل فتاة مقتولة في نصف دزينة من الولايات. كما قالت جودي لألكسا إنه رجل حساس جداً، ولا يــريد طــبعاً الاعتراف بالذنب إذا لم يكن هو مرتكب الجرائم. حدّقت إلــيها ألكسا كما لو أنها فاقدة عقلها. واتضح لها بشكل جليّ ما حصل. لقد ألقــى لوك كانتن بتأثيره الذكوري عليها، وأنجز رقصته المرضية، وبدأت تغــرم بــه بطريقة بريئة وعلى نحو مخيف. هذا ما يفعله، وربما هذا ما حــصل لكل ضحاياه، فلقد جعل كل واحدة تشعر أنها مميزة وكأنها المرأة

الوحيدة في العالم إلى أن قتلها. بالرغم من أنّه لن يقتل جودي دوانينغ، إلاّ أنــه أعمى بصيرتها عن الحقيقة. ربما هذا ما تحتاج إليه للدفاع عنه، لكن ألكسا خرجت من الاجتماع وهي تهزّ رأسها.

سألها جاك حين صادفها في الممر: "أين كنت؟".

"على متن صحن طائر". قالت له مع ابتسامة عريضة.

"تتعاطين المخدرات مجدداً حضرة المستشارة؟".

"لا، وإنمــا محامية الدفاع العام تفعل ذلك. أمضت للتو نصف ساعة وهــي تحــاول أن تقنعني ببراءة لوك كانتن. والأسوأ من ذلك أنها تصدق الأمر. لا شك في أنه أثر فيها كما أثر في ضحاياه".

"جيد. تستطيع زيارته في السجن. تعلمين أن هذا يحصل أحياناً. تغرم النساء بالمساجين، مهما كانت جرائمهم شنيعة، ويقمن بزيارتهم في السجن طوال سنوات عدة. حصلنا للتو على الضحية السابعة عشرة". وكان العدد يزداد كل يوم تقريباً.

"أشــعر وكأننــي أتابــع انتخابات رئاسية". وتوقفا أمام آلة القهوة، وكانــت قــد شربت أكواباً عديدة خلال اليوم. "ما هو عدد الولايات التي لدينا الآن؟".

قــال لها ونظرته حزينة: "تسع ولايات. الرجل مذهل، ولا أظن أننا انتهينا بعد".

"نحن لا نفرط في تقديره، أليس كذلك؟". فهي لا تريد أن تبدو حقيرة، بحــيث تلــصق بــه جرائم قتل لم يرتكبها، وتفجر القضية. إنّ لديها *شكاً منطقياً* وهيئة محلفين للنظر في المسألة.

"أظــن أننا ربما نحطّ من شأنه. فالتطابقات كلها صحيحة لغاية الآن. فالــدي أن أيه الخاص به موجود على جثث كلّ ضحاياه". أومأت برأسها، وعــادت إلــى مكتبها، وبقيت هناك حتى التاسعة مساء. وكانت تفعل ذلك طوال الأسبوع. ليلة الجمعة، بقيت في مكتبها حتى العاشرة والنصف وهي تــراجع كل التقارير القضائية من كل ولاية. بدت الأدلة صلبة. لم يعد أي

شيء يفاجئها بعد الآن، باستثناء ألا يعترف بذنبه. لا يزال يدعي البراءة، والمذهل أكثر أن محاميته تصدقه. لكن ما من أحد آخر في الكوكب يصدق ذلك، وخصوصاً هيئة المحلفين الكبرى. إنّ قضية ألكسا جيدة.

تلك الليلة، كانت مرهقة حين عادت إلى المنزل وهي تجرّ وراءها حقيبتها الثقيلة. إنها الساعة الحادية عشرة تقريباً. وكانت قد تحدثت إلى سافاناه عند الساعة السادسة. ولقد أمضت ابنتها أسبوعاً رائعاً في فيرمونت مع طوم، وستعود إلى المنزل غداً.

راجعت ألكسا بريدها، وكانت على وشك رميه على طاولة الردهة من دون فتحه حين لفت نظرها ظرف مألوف. فتحته، وأمسكت بالورقة بيد مرتعشة. بالخط الكبير نفسه، المطبوع على الحاسوب، برزت جملة: "سوف أنال منك الآن. وعندها ستصبحين لي. قولي وداعاً لماما". وقفت ألكسا في الردهة وهي لا تزال ترتدي معطفها، وارتجفت من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها وهي تقرأ الرسالة مراراً وتكراراً. ماذا يعرف عنهما؟ لماذا يكتب إليها؟ هل هذه مجرد مزحة أم أنه لوك كانتن يعذبهما؟ لا مجال أبداً لمعرفة الحقيقة، ولا مجال أبداً لمعرفة مصدر الرسائل. اتصلت بالبواب الذي قال لها إنّه لم يحضر أحدٌ لها شيئاً. أياً يكن الشخص، فإنه يستطيع أن يدخل المبنى بحرّية ويضع الرسالة تحت بابها. هذا مخيف جداً. وماذا لو كان إرسال سافاناه إلى المدرسة مع ثاد لويكي غير كافٍ لحمايتها؟ ماذا لو نال منها شخص ما في النهاية؟

أخرجت هاتفها الخلوي من حقيبتها، وجلست على الأريكة، واتصلت بأمها. كانت تكره إقلاقها، لكن موريال تملك عقلاً موزوناً. قرأت لها ألكسا آخر رسالة، وسألتها عن رأيها. فلقد كانت خائفة جداً في الوقت الحاضر بحيث لم تستطع التفكير بطريقة سليمة ومنطقية.

قالت أمها بنبرة صارمة: "أظن أنه يجب عليك أخذ المسألة بجدية كبيرة. فإذا كان كانتن وراءها، فهو لا يملك شيئاً ليخسره. وهو يريد إخافتك. لا يمكنك المجازفة".

سألتها ألكسا فيما انهمرت الدموع على وجنتيها: "ماذا أفعل؟ هل يجدر بي التخلي عن القضية؟ أريد فقط أن تكون سافاناه بأمان". ليست هذه مجرد قضية الآن، بل إنها كابوس إذا كانت تهدد حياة ابنتها.

"لقد فات الوقت على ذلك. تحويل القضية إلى شخص آخر لن يغير أي شيء. لقد نجحتِ في هدم المنزل فوق رأسه. إذا أدانوه، فسيبقى في السجن مئة عام. إنه يطاردك ويريد الثأر. وحتى لو كان هو العقل المدبّر لذلك، فإن الشخص الذي يوصل الرسائل قد لا يفعل لها أي شيء. ربما كان هدفه إخافتك، ولكنك لا تستطيعين المجازفة".

"ماذا أفعل إذاً؟". شعرت ألكسا بالارتباك، والذعر. هذا أكثر مما راهنت عليه. إنها تحاول تحقيق العدالة التي تطالب بها عائلات كل أولئك الفتيات، وبذلك عرّضت حياتها للخطر.

"أخرجيها من نيويورك".

"هل أنت جادة؟". بدت ألكسا مصدومة.

"لم أكن يوماً أكثر جدية في حياتي. واطلبي نائباً لك؛ على الأقل إلى ما بعد المحاكمة. ففي النهاية، يفترض به أن يهدأ بعد ذلك. هذا ما يحصل دوماً عند انتهاء المحاكمة. سيتكيف. لكن في الوقت الحاضر، أنتما الاثنتان في خطر. يمكنك البقاء هنا إذا أردت، والاحتفاظ بالقضية، ولكن عليك أن تبعدي سافاناه". بدت أمها خائفة أيضاً.

"إلى أين؟". لم تكونا تملكان سوى بعضهما. وهي لن تضع سافاناه في برنامج حماية الشهود بمفردها، لتمكث في مكان لا يعلمه إلا الله، مع أشخاص لا تعرفهم. وأرادت أن ترى نهاية المحاكمة بنفسها إذا استطاعت، من دون تعريض سافاناه للخطر أكثر. فهي ليست قلقة على نفسها؛ فما من أحد يهددها.

قالت أمها بهدوء: "أرسليها إلى تشارلستون مع طوم". وكل ما استطاعت سماعه في الطرف الآخر كان شهيق ابنتها العميق.

فقالــت ألكسا بصوت أجشّ: "لا أستطيع فعل ذلك". ومسحت الدموع عن وجنتها. أصبحت المسألة جدية الآن، وعليها إجبار نفسها على التفكير. "لــن تــسمح له لويزا بذلك أبداً، ولن يملك الشجاعة لفعل ذلك أيضاً. لقد أخرجنا من حياته قبل عشرة أعوام، وهو لا يريدها أن تعود".

قالت أمها بنبرة صارمة: "لا تملكين خياراً آخر، ولا هو أيضاً. حياة ابنــتك علــى المحك. قد تكون هذه مجرد مزحة لتعذيبك أو لإبعادك عن القــضية. ولكــن، في كلتا الحالتين لا يمكنك المجازفة. عليك أن ترسليها بعيداً. لن يكون وجودها هنا صائباً. فالوضع سيسبب لها التوتر، وكذلك لك أيضاً بسبب قلقك عليها. شخصياً، أتمنى أن تتخلي عن القضية. ولكن، لكي أكــون صــريحة أظن أن الوقت قد فات. إلا أن سافاناه لا علاقة لها بكل ذلــك. وســتقلقين بشدة إذا بقيَتْ هنا". هذا صحيح. إنها الآن قلقة. حفرت كلمات الرسالة في عقلها. *قولي وداعاً لماما*. "هل لا تزال في فيرمونت مع طوم؟".

"نعم، سيعيدها مساء الغد".

"قولي له ألا يعيدها، واطلبي منه أن يأخذها معه إلى منزله، أو ربما إلى منزل أحد أقاربه في الجنوب إذا كانت تستطيع البقاء عندهم. لكن، من الأفضل أن تبقى معه، بالرغم من أنني أكره قول ذلك. الشيء الوحيد الذي أعــرفه بالتأكــيد هو أنها لا تستطيع العودة إلى هنا. ليس الآن، ليس قبل انــتهاء المحاكمة؛ على أمل أن تهدأ الأمور بعد ذلك. ألكسا اتصلي بطوم. ليس لديك خيار آخر".

"اللعنة". هذا آخر شيء تريده في العالم. لا تريد إرسال سافاناه بعيداً، وحــتماً ليس معه. لكن، إذا كانت أمها محقة وحصل شيء لها، فلن تسامح نفــسها أبــداً. قالــت ألكسا بطريقة عملية: "الوقت متأخر جداً للاتصال به الليلة، ولا أريد التحدث إليه فيما سافاناه جالسة قربه".

"إذاً، اتــصلي بــه فــي الصباح، ولكن اطلبي منه ألا يحضرها إلى المنــزل". تنهدت ألكسا بعمق. هذا ثمن باهظ لدفعه بسبب إرسال قاتل إلى

الــسجن. لكــن أمهــا محقة، فهي لا تستطيع تعريض سافاناه للخطر. لقد اخــتارت مهنتها وتحملت مسؤولية ذلك. وهي تريد لوك كانتن في السجن. غير أنها أكثر من ذلك، تريد أن تكونَ سافاناه بأمان.

قالــت بحــزن واستسلام: "سأتصل به غداً". ستشتاق إليها، لكنها لا تعــرف بعــد إذا كان طوم سيقبل باصطحابها معه. ثمة احتمال كبير بأن يقول إنه لا يستطيع؛ إذ يجب عليه عندها التبرير للويزا.

"جــيد، واتــصلي بجاك جونز الليلة. اطلبي منه وضع شرطي قرب باب شقتك".

"أنا بخير أمي. أقفلت الباب ولن أخرج إلى أي مكان". ولكن، ما إن أنهــت الاتــصال، حتى اتصلت بجاك وأخبرته بما حصل. فأصغى إليها ووافق أمها الرأي.

"إذا كــان هو وراء الرسائل، وبدأت أظن أنه هو فعلاً، فلا أعتقد أنه يملــك الشجاعة لتجربة أي شيء في الوقت الحاضر، ولست واثقاً من أنه يملــك هــذا النوع من القوة، بحيث يجعل شخصاً آخر يمسك بها ويؤذيها. ليس متصلاً بعصابة ما. إنه مجرم سابق ومريض اجتماعي. هذه صفقته، وليــست صــفقة أحــد آخر. ربما اتصل بشخص ما يعرفه بطريقة غير مباشرة، وهو يفعل ذلك لإخافتك، من دون أي خلفية أخرى. لم يستقبل أي زوار، لكنه يستطيع إخراج رسائلهُ من السجن بالاعتماد على شخص آخر. ربمــا كانت مجرد لعبة مريضة يؤديها. لكن هذا كثير لتضعي ابنتك فيه. أظــن أنــه يجدر بك إرسالها بعيداً، إذا كنت تملكين مكاناً لإرسالها إليه، وسأخصص لك شرطيين. أنا آسف ألكسا. أعرف أن هذا صعب عليك".

أومأت برأسها، وانهمرت الدموع على وجنتيها مجدداً. سافاناه هي كــل حــياتها ولا تريد أن يحصل أي مكروه لها. أملت أن يكون جاك محقــاً. فــإذا كان كانتن هو الفاعل، فإنه يحاول فقط إخافتها؛ لكنها لا تــستطيع المجازفــة. وإذا لم يكن كانتن، فالأمر مخيف على كل حال. أخبــرها جاك أنه سيضع شرطياً مرتدياً ملابس مدنية أمام باب منزلها

خلال نصف ساعة. فلقد وافق أمها الرأي في ذلك أيضاً، بالرغم من أن ألكسا لم تكن قلقة على نفسها. فيجب أن يكون القاتل شجاعاً كثيراً ليقتل المدعي العام، وليست هي هدف كانتن، بل إنّ سافاناه هي الهدف؛ إذا استطاع الوصول إليها بنفسه. وجاك محق بشأن ذلك أيضاً. أياً كان الشخص الذي يوصل الرسائل، فقد لا يملك الشجاعة للإمساك بها. لكن، من يعرف؟ والقلق بشأن ذلك ليلاً ونهاراً سيكون صعباً عليهما معاً. من الأفضل أن تكون في مكان آخر، بالرغم من معرفة ألكسا أن سافاناه لن تسعد بذلك كثيراً. فهي لن ترغب في ترك أصدقائها، أو أمها، أو مدرستها، وخصوصاً خلال الأشهر الأخيرة من السنة الثانوية الأخيرة. ليس هذا عدلاً.

بقيت ألكسا مستيقظة حتى ساعات الفجر الأولى. نامت نوماً متقطعاً، ساعات قليلة، ثم استيقظت واتصلت بطوم عند الساعة السابعة.

كان صوت طوم عميقاً كحاله دوماً في الصباح. وحين سألته عن سافاناه قال إنها في الغرفة الأخرى. إذ كانا سيتناولان الفطور معاً بعد نصف ساعة، ويأملان أن يقوما ببعض الجولات معاً قبل أن يعيدها إلى المدينة. قال إنه سيعيدها عند الساعة السابعة لأن رحلته إلى تشارلستون في تمام الساعة التاسعة.

قالت ألكسا وهي تبدو مرهقة: "لهذا السبب اتصل بك، لا يمكنك إحضارها إلى المنزل". أخبرته بما حصل، وشعر بالقلق مثلها تماماً. حاولت طمأنته، لكن الوضع ليس جيداً، وتوقع ما سيحدث مستحيل.

"ماذا عنك أنت، لكسي؟ هل ستكونين بخير؟". لم يناداها أو يسمها هكذا منذ أن غادرت، ولا حتى بالبريد الإلكتروني.

"أريد فقط إدانة الحقير. أدين لكل تلك العائلات بإرساله إلى السجن مدّة السنوات المئة القادمة. لكنني لا أدين لها بالمخاطرة بابنتي".

قال برزانة: "لا، طبعاً. هل أنت واثقة من أنك لا تريدين التخلي عن القضية؟".

"سأكون بخير. ستنتهي قريباً، فقد حددت المحكمة في شهر أيار/مايو. يجب عليها البقاء معك حتى ذلك الحين". قالت ذلك بصوت حزين وفاتر.

"أفهم. وإذا كان مكوثها معي لفترة أطول أكثر أماناً بالنسبة إليها، فلا بأس في ذلك أيضاً". إنه الحديث الأول الذي يجري بينهما منذ عشرة أعوام، لكنه تصرف بإنسانية أكثر مما توقعت، وبدا قلقاً عليهما ومتضايقاً.

"هل يمكنك فعلاً القيام بذلك؟". لم تكن تريد سؤاله عن لويزا، لكنهما عرفا ما الذي تقصده.

طمأنها: "سأتدبر الأمر. ماذا تريدين مني أن أفعل بشأن سافاناه؟ هل تريدين إخبارها بنفسك أم أخبرها أنا؟ من الأسهل عليها ربما سماع المسألة شخصياً بدلاً من سماعها عبر الهاتف". كرهت ألكسا الاعتراف بذلك، لكنها رأت أنه محق. "وأظن بعدها أنه يجب علينا الذهاب إلى المنزل. فطائرة التاسعة، لن تصل إلى تشارلستون قبل منتصف الليل تقريباً. لذا، أفضل العودة هذا الصباح للحجز على متن طائرة أخرى تصل في وقت مبكر". فالظهور في تمام الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل مع ابنته سيكون أكثر قساوة على لويزا. لذا، فهو يفضل العودة إلى المنزل مع سافاناه في وقت مبكر. المنزل الذي يعيشون فيه ضخم جداً، وهو المنزل الذي تشاركه مع ألكسا، ومع لويزا قبلاً، في المرة الأولى التي تزوجها فيها. هناك عدة غرف للضيوف يستطيع منح سافاناه واحدة منها. شعرت ألكسا بالغثيان حين فكرت في ذلك. فهي لا تريد أن تتواجد سافاناه هناك، ولكنها لا تريدها أيضاً أن تسكن معها في الشقة في نيويورك الآن. هذا أفضل ما يمكنهم فعله.

سألته ألكسا: "هل تظن أنه يمكنك إدخالها إلى مدرسة؟".

"سأهتم بالمسألة في الأسبوع القادم. سأتصل بك وأبلغك بموعد رحلتنا".

"سألاقيكما في المطار، وسأحضر لها أغراضها. أستطيع توديعها هناك". سيكون الأمر صعباً عليهما معاً، وامتلأت عينا ألكسا بالدموع بعد

أن أنهــت مكالمــتها. إنها دموع الارتياح لأن طوم قبل أن يساعدها لإبقاء ابنتهما بأمان، ودموع الحزن لما سيتوجّب على سافاناه المرور به، ودموع الحزن على نفسها لأنها ستكون وحيدة من دونها.

اتــصلت ســافاناه بعد نصف ساعة، وكانت تبكي هي الأخرى. "لا أستطيع الذهاب ماما. لا أستطيع. أريد إنهاء سنتي الثانوية الأخيرة هنا... ولا أريــد أن أتــركك". كانــت تبكــي بشدّة، وشعرت ألكسا بالغثيان عند الإصغاء إليها.

"يجب عليك القيام بذلك حبيبتي. لا تريدين أن تعيشي هنا، وأنت قلقة بــشأن مجــنون يرسل إليك رسائل مخيفة. أعرف أن الأمر صعب علينا، لكنني أفضل أن تكوني بأمان".

"لا أريــد الــذهاب إلى تشارلستون". قالت ذلك بهدوء. لم تكن تريد إيذاء مشاعر والدها، فلقد كان لطيفاً فعلاً، وحاول أن يهوّن عليها المسألة، ولكن الوضع مزعج للجميع.

فقالت ألكسا وهي تحاول أن تكون ناضجة: "سآتي لزيارتك. أعدك". لكــنها شعرت هي الأخرى وكأنها طفلة حزينة وخائفة، وشعرت بالأسف الــشديد علــى سافاناه. هذا هو الشيء الأكثر إزعاجاً بالنسبة إليها، أن يتم اقــتلاعها من جذورها هكذا، من دون إنذار، للذهاب إلى مكان لا تعرفه، ومع والد بالكاد تعرفه.

قالــت ســافاناه وهي تبكي: "لن تأتي للزيارة، فأنت تكرهين المكان هناك. قلتِ إنك لن تعودي أبداً إلى هناك".

"طــبعاً سأفعل أيتها السخيفة إذا كنتِ أنت هناك. لن تبقي هناك لفترة طويلة، وقد يكون الجو ممتعاً. يمكنك الذهاب إلى المدرسة".

"لا أريــد تفــويت بقــية السنة الدراسية في مدرستي". لكنها عرفت بــسرعة أنــه لا جدوى أبداً من المناقشة. لقد حسم والداها أمرهما للمرة الأولــى منذ عشرة أعوام، واتخذا قراراً موحداً. ستغادر سافاناه نيويورك إلــى مــا بعد انتهاء المحاكمة، وانتهى الأمر. جلست سافاناه هناك وبكت

خمس دقائق فيما حاولت ألكسا تهدئتها، ثم أخبرتها أنها ستأتي إلى المطار بعد الظهر لوداعها.

ســألتها ألكسا: "ما الذي يجدر بي توضيبه؟". فبدأت سافاناه بإعطائها الإرشــادات. كانــت لا تزال تبكي، ولكن ليس بكاءً شديداً كما فعلت قبلاً. فقالــت لها ألكسا مبتسمة، ومحاولة أن تخفي دموعها: "سأعطيك الكنزتين الورديتين اللتين أملكهما".

"وأريــد الحذاء الأسود الجديد ذا الكعب العالي؟". كانت سافاناه تبتسم تقــريباً. إنها مصدومة أكثر من أي شيء آخر. جميعهم كذلك، إذ تطورت الأمور بسرعة كبيرة.

"حــسناً، حــسناً". سوف تتخلى ألكسا عن الحذاء إذا كان هذا يجدي نفعاً. "يمكنك الحصول عليه أيضاً. تقايضين ببراعة".

فقالــت سافاناه مذعورة: "ماذا لو كرهتني زوجته؟ لم ألتقِ بها يوماً. لــن تــرغب علــى الأرجح في وجودي هناك". بدا ذلك تصريحاً خطيراً بالنسبة إلى أمها. لويزا شريرة حقيقية، وقد سمعتها سافاناه تقول ذلك طوال أعوام.

"ســيهتم والدك بالمسألة. لن تمكثي هناك إلى الأبد. وإنما فقط لثلاثة أشهر. سأحاول زيارتك في الأسبوع المقبل".

"من الأفضل أن تفعلي ذلك وإلا سأهرب وأعود إلى المنزل".

"إياك!". قالت ألكسا بصرامة، لكنها عرفت أن سافاناه لن تفعل ذلك. كانت منطقية طوال حياتها. وهي منطقية الآن أيضاً، بالرغم من أن الوضع صــعب علــيها. "علــيّ أن أبدأ في توضيب الأغراض الآن. أراك لاحقاً حبيبتي".

اتــصل بهــا طــوم بعد عشر دقائق، وقال إنه حجز لهما في رحلة الــساعة السادسة التي تصل إلى تشارلستون عند الثامنة والنصف، وإنهما ســيغادران فيرمونت على الفور. وأمل في الوصول إلى مطار جون أف. كنيدي عند الساعة الرابعة أو الخامسة من بعد الظهر.

"سأكون هناك عند الساعة الرابعة مع حقائبها. اتصل بي على هاتفي الخلوي حين تصل إلى المطار". وأعطته الرقم الذي لم يكن يعرفه قبلاً. لم يكن لديه سوى بريدها الإلكتروني، ولكن الآن يجب عليهما العمل معاً.

"سأكون في جناح يونايتد".

"سأحاول الوصول إلى هناك بأسرع ما يمكن، بحيث تتمكّنان من تمضية بعض الوقت مع بعضكما. إنها منزعجة جداً". لاحظ أن ألكسا منزعجة جداً أيضاً. لكنّ أياً منهما لم تكن منزعجة بقدر انزعاج لويزا حين اتصل بها وأبلغها الخبر.

"هل أنت مجنون؟ ستحضرها إلى هنا! لا يمكنك فعل ذلك. لا تعرف دايزي أنها موجودة أصلاً". دايزي هي ابنة السّنوات العشر التي حملت بها لويزا لتفسخ زواجه من ألكسا وتعيده إليها. لم تكترث قطّ بأمر ولديها في أثناء زواجه من ألكسا؛ بل تخلّت عنهما طوال ثمانية أعوام. تركته من أجل مليونير نفط في تكساس، وتركت الصبيين مع والدهما. ولكن، ما إن توفي زوجها الجديد، حتى عادت إليه مسرعة، واستخدمت الطفلة لإعادته إليها، ووقع هو مثل الأحمق في فخها. ندم كثيراً على ذلك في السنوات اللاحقة. لكن الوقت تأخر جداً لفعل أي شيء حيال ذلك. كل ما يمكنه فعله الآن هو محاولة التعويض عن ألكسا من خلال اهتمامه بسافاناه. يدين لها بذلك على الأقل؛ كما أن سافاناه ابنته أيضاً.

فقال طوم للويزا ببرودة أعصاب: "حسناً، من الأفضل إذاً أن تخبريها". مشيراً إلى عدم معرفة دايزي بأن لديها أختاً، وأن والدها كان متزوجاً من امرأة أخرى. "سنصل إلى المنزل الليلة، ولن أطلب من سافاناه الادعاء بأنها شخص آخر. الوضع صعب عليها الآن بما فيه الكفاية".

"صعب عليها؟ ماذا عني أنا ودايزي؟ هل فكرت في ذلك؟ أم أنك كنت تتسلى مع أمها؟ هل هذه هي القصة كلها؟".

"رأيت ألكسا خلال هذه الرحلة للمرة الأولى منذ عشرة أعوام. حياة ابنتنا على المحك هنا. سأحضرها إلى المنزل، لويزا، سواء أأعجبك ذلك أم لم يعجبك".

"أيها الحقير. لطالما عرفت أنك ستعود إلى ألكسا في يوم من الأيام".

عرفت أن طوم لا يحبها، لكن الأمر كان غير مهم بالنسبة إليها. فلقد أرادت استعادة حياتها القديمة، واستعادته، حين كان الأمر ملائماً لها. لطالما تمحور الأمر حولها فقط.

فقال لها: "لن تقترب مني ولو باستعمال مغناطيس فائق الجاذبية، وهي محقة تماماً. فلقد تخليت عنها قبل عشرة أعوام. السبب الوحيد الذي جعلها تتحدث إليّ الآن هو أنها بحاجة إلى مكان لإرسال سافاناه إليه. ثمة شخص يهدد ابنتنا. والأمر مرتبط ربما بالقضية التي تعمل عليها أمها. يتوجب عليّ إحضار سافاناه إلى المنزل، فحياتها قد تكون في خطر". شعر بالقرف لأنه اضطر حتى إلى مناقشة المسألة معها. لا تملك لويزا ذرّة من اللطف الإنسانيّ داخلها، أو الحنان. لن تفعل أبداً ما فعلته ألكسا لابنيها. والمثير للسخرية الآن هو أن لويزا في وضع يجبرها على الاهتمام بابنة ألكسا، فيما اهتمت ألكسا بولدي لويزا طوال سبعة أعوام.

قالت لويزا بغضب: "حسناً، لا تتوقع مني أن أفعل أي شيء لها".

"أتوقع منك أن تتصرفي بتهذيب معها، وأن تجعليها تشعر بأكبر قدر ممكن من الارتياح".

بدت لويزا مشككة: "هل ستأتي أمها لرؤيتها؟".

"ربما. لم أتحدث إليها بشأن ذلك بعد. لقد عرفت بالخبر قبل نصف ساعة فقط. تلقت سافاناه رسالة تهديد أخرى في الليلة الماضية".

"فقط أبعدها عني طوم. وأنا أعني ذلك فعلاً. أبعدها عن نظري". كان يكره كل شيء في لويزا. وكان عقابه على ما فعله بألكسا هو العيش مع لويزا الآن. لقد كانت عشرة أعوام طويلة وصعبة، إلا أنه لا يملك الطاقة،

أو الشجاعة للطلاق مجدداً. لذا، فهو يحاول أن يتأقلم مع الأمر ويدفع ثمناً باهظاً جداً.

غادر وسافاناه الفندق في فيرمونت بعد دقائق قليلة. وكانت سافاناه صامتة طوال الطريق وهي تنظر بحزن إلى خارج النافذة. حاول أن يخبرها أنها ستحب تشارلستون، وأنه سعيد لأنها ستكون معه هناك، لكن بدا جلياً أن سافاناه لم تكن في مزاج ملائم للتحدث، فتوقف بعد قليل عن الكلام وتركها تغرق في أفكارها. إذ كانت قد بدأت تشعر بالشوق إلى نيويورك وأمها وأصدقائها.

أمضت ألكسا معظم النهار وهي توضب الأغراض. وضبت كل الثياب التي تحبها سافاناه كثيراً، وكل ما تحتاج إليه للمدرسة ولعطلات نهاية الأسبوع. أعطتها كل الأشياء التي كانت ترغب فيها. ووضبت كتبها المدرسية، وأسطواناتها الموسيقية المفضلة، ودببين قماشيين لم تنظر إليهما منذ أن كانت طفلة، لكن ألكسا رأت أنهما قد يكونان مصدر عزاء لها الآن. ولو استطاعت، لوضعت ألكسا نفسها في الحقيبة. فهي تكره رؤية ابنتها تغادر، لكنهما لا تملكان خياراً آخر.

اتصلت ألكسا بأمها، وأخبرتها بما حصل، وقالت لها إن طوم كان مهذباً جداً. فمهما كان رأيها به سابقاً، يجدر بها الآن احترامه على موقفه.

بالكاد تسنى لها الوقت لارتداء ثيابها وللذهاب إلى المطار. حملت معها ثلاث حقائب كبيرة، ووصلت إلى هناك في تمام الساعة الرابعة. بعد نصف ساعة، اتصل بها طوم على هاتفها الخلوي ليقول لها إنه على مسافة عشر دقائق. وما إن وصلا حتى قفزت سافاناه من السيارة، وطارت إلى ذراعي أمها. كانت تبكي بقوة، واحتاجت إلى معظم الوقت الذي أمضتاه معاً لكي تهدأ. ربتت ألكسا برفق على شعرها الذي يشبه كثيراً شعر أمها، وأمسكت بها وواستها، ووعدتها أن تذهب إلى تشارلستون قريباً لزيارتها، وقالت لها إنها ستعود إلى المنزل قبل أن تدرك ذلك حتى. وبالكاد تسنى لألكسا الوقت للحديث إلى طوم. راقبهما بحزن، وابتعد عنهما بحذر، لكي

تبقيا بمفردهما. ثم جاء موعد الرحيل. أحضر بطاقة سفر سافاناه، وأصرّت ألكسا على دفع كلفة الوزن الزائد في الحقائب، وبكتا حين توجب على ألكسا المغادرة. لم تستطع ألكسا مرافقتهما إلى البوابة لأنها لم تكن تملك بطاقة سفر.

"أحبك". قالت لها مراراً وتكراراً، فيما تشبثت بها سافاناه مثل الطفلة. وأخيراً، حضن طوم ابنته، وأبعدها برفق عن أمها فيما بكت الاثنتان.

قال لألكسا من فوق رأس سافاناه: "اعتني بنفسك، أعدك أن أهتم بها جيداً. احرصي فقط على أن تكوني بأمان". أومأت ألكسا برأسها وشكرته، ثم رحلا عبر نقطة الأمن، وتوجها إلى البوابة، ولم يعد باستطاعة ألكسا رؤيتهما.

كانت لا تزال تبكي حين أوقفت سيارة أجرة للعودة إلى المدينة، وشعرت بأنها مرهقة حين وصلت إلى الشقة، حيث وجدت الشرطي الذي يرتدي ملابس مدنية والذي وعدها به جاك واقفاً خارج بابها. وبعد قليل، اتصلت بأمها.

سألتها موريال: "كيف جرت الأمور؟". بدت قلقة بعد أن فكّرت فيهما طوال فترة بعد الظهر.

قالت ألكسا بحزن: "كان الأمر مريعاً. لكن طوم كان لطيفاً جداً. سأحاول الذهاب إلى هناك في عطلة نهاية الأسبوع المقبل". لا تستطيع حتى تخيل حياتها من دون سافاناه خلال الأشهر القليلة المقبلة. وفي الخريف، حين تغادر سافاناه إلى الجامعة، ستنتهي الحياة التي عرفتاها قبلاً، أو ربما انتهت فعلاً.

قالت موريال بحزن: "سأتصل بها الليلة". كانت تكره ما يحصل لهما، وما فعلته المحاكمة بهما. سألتها أمها بلطف: "هل تريدين المجيء لتناول العشاء؟". لكن ألكسا كانت غير مستعدة لذلك. لقد كان من الصعب عليها جداً رؤية سافاناه تبكي في المطار.

"لا. أريد فقط الزحف إلى سريري والبكاء".

"أشعر بالرعب حيال ذلك. ربما كنت غير مصيبة في طلبي إليك أن ترسليها إلى تشارلستون. لكنني أظن أنه من الأفضل أن تكون بأمان. تعالي لتناول العشاء معي في أي وقت تريدينه". وعرفت موريال كم ستكون ألكسا وحيدة من دون ابنتها.

قالت ألكسا بيأس: "شكراً ماما". وبعد أن أقفلتا الخط، فعلت بالضبط ما قالته لأمها. إذ صعدت إلى سريرها، وغطت نفسها، وبكت.

الفصل السابع

استغرقت الرحلة إلى تشارلستون ساعتين تقريباً. جلست سافاناه على مقعدها بهدوء، وهي تنظر إلى خارج النافذة، فيما انهمرت الدموع على وجنتيها، ثم نامت خلال الدقائق العشر الأخيرة. لقد أرهقتها صدمة مغادرة المنزل فجأة، وغمرها الحزن بسبب فراقها أمها. لم تتوقع أي منهما حصول ذلك نتيجة استلام ألكسا القضية. راقبها طوم حين نامت، ثم غطاها برفق. إنه مدرك تماماً أن حضوره الطفيف في حياتها، وتخلّيه عنها قبل عشرة أعوام، جعلا الرابط بينها وبين أمها قوياً إلى درجة غير اعتيادية. ألكسا هي كل ما تملكه سافاناه، والآن تم أخذها فجأة إلى عالم جديد، من دونها. والأسوأ من ذلك، أنه عالم ليست محط ترحيب فيه، لا بل يتم اعتبارها فيه بمثابة تهديد. كان قلقاً من لويزا، ولسبب وجيه. فهي ليست لطيفة ولا تتصف بالحنان والشفقة، وعرف أن إحضاره سافاناه إلى المنزل سيكون بداية معركة. لقد بدأت المعركة أصلاً. فلقد أعلنت لويزا الحرب عليه في ذلك الصباح، وكانت تقصد ذلك فعلاً. وبما أنه يعرفها، أدرك أن الأسوأ آت.

هبطت الطائرة في تشارلستون بشكل مزعج، فاستيقظت سافاناه، ونظرت إلى والدها متفاجئة. نسيت لوهلة مع من تكون وإلى أين تذهب. لكن الذاكرة عادت إليها بسرعة حين رأت وجهه.

"لقد وصلنا يا صغيرتي. أنا مسرور لأنك نمت قليلاً. كنت بحاجة إلى ذلك". أومأت برأسها، وشغّلت هاتفها، ورأت رسالة نصية من أمها تقول: "أحبك. أراك قريباً". فجأة، بدا طوم جنوبياً أكثر مما كان قبلاً. فلقد

عاد إلى موطنه. وكانت سافاناه بعيدة، بعيدة جداً عن موطنها، وشعرت وكأنها روح تائهة.

لحقت بوالدها إلى خارج الطائرة، وأحضرا حقائبهما البالغ عددها ثلاث حقائب كبيرة لها، وحقيبة صغيرة لوالدها بالإضافة إلى عدة التزلج. لقد أخذت أمها عدة التزلج الخاصة بها إلى المنزل. لحق بهما الحمّال بعد أن وضع حقائبهما على عربة. وفي الخارج، أوقف والدها سيارة أجرة. جلست قربه، ونظرت حولها في أثناء توجههما إلى المنزل. سمعت والدها يعطي السائق عنوانه في جبل بلازانت؛ أي في المنطقة التي يعيش فيها في تشارلستون.

سألها طوم برفق: "هل تذكرين أي شيء عن تشارلستون حين كنت تعيشين هنا؟". فهزّت سافاناه رأسها، واتسعت عيناها. بدت جميلة وهي جالسة قربه. كانت لا تزال ترتدي سروال التزلج وكنزة سميكة، وتحمل معطفها. أما شعرها فقد تدلى على ظهرها مثل ستارة ذهبية، فيما كانت عيناها بلون أزهار الذرة، أي باللون الأزرق النابض بالحياة. بدت تماماً مثل أمها حين التقاها، وعرف أن لويزا ستلاحظ ذلك أيضاً. سافاناه أصغر بأربع سنوات فقط مما كانت عليه ألكسا حين وقع في غرامها، بعدما تركته لويزا مع ولديهما ورحلت برفقة رجل آخر. كان محطماً حينها، ووجد السعادة التي لم يجرؤ على الحلم بها مع ألكسا. ولكنه بعد سبعة أعوام، تصرف بحماقة كبيرة حين عادت لويزا ونصبت شباكها حوله. عندما يفكر في الأمر الآن، وهو يفعل ذلك غالباً، يدرك أنه نال كل ما كان يستحقه بعد ذلك. لكن حين رأى ألكسا مجدداً، أدرك أنها لا تزال تدفع الثمن هي الأخرى. شعر بذنب كبير بسبب ذلك؛ إذ كان يأمل أن تكون قد تخطت المسألة. إلا أنه استطاع بدلاً من ذلك رؤية الألم في عينيها. تمنى لو كان باستطاعته الآن مساعدتها بطريقة ما؛ بالاهتمام بابنتهما مثلاً وفعل كل ما يستطيع فعله من أجل تحقيق ذلك. لن يسمح للويزا بأن توقفه هذه المرة، مثلما فعلت مرات عدة من

قبل، حين كان يسمح لها بذلك. إنه ينوي بذل كل ما بوسعه لحماية سافاناه. فهي ابنته أيضاً.

قالت سافاناه بهدوء: "أظن أنني أذكر مدرستي، وربما المنزل، أو الحديقة... وهنري وترايفيس". وهما أخواها غير الشقيقين اللذين لم تتصل بهما منذ عشرة أعوام.

كان الهواء في الخارج خفيفاً. وكان الطقس أشبه بالربيع وليس مثل الشتاء في نيويورك. لذا، شعرت سافاناه بالدفء بسبب ارتدائها كنزتها السميكة خلال الرحلة القصيرة. بعد خمس عشرة دقيقة، وصلا إلى تشارلستون واستطاعت رؤية أبراج دور العبادة ترتفع في الهواء. نظرت بفضول واهتمام إلى المنازل الجميلة القديمة التي مرّا أمامها، والتي كانت مطلية بالألوان القشدية مع الشرفات والبوابات الحديدية. كانت الهندسة المعمارية دقيقة وقديمة. وكانت هناك جسور قديمة وجميلة تتصل بجزر بالغة الصغر. وثمة مرفأ مذهل مليء بالمراكب، ومعظمها مراكب شراعية. أشار طوم إلى حصن سامتر في المرفأ، حيث بدأت الحرب الأهلية رسمياً. إنها مدينة جميلة، وتحيط بها هالة من التاريخ والجمال. قبل أن تكرهها ألكسا، كانت تقول دوماً إنها المدينة الأكثر جمالاً في الجنوب، أو ربما في العالم كله. فهناك، كانت الأشجار الطويلة لا تزال خضراء بالرغم من أن الشهر هو شهر شباط/فبراير. وفيما اقتربا من جبل بلازانت، قال لها والدها إنها أشجار سنديان.

"سآخذك في جولة غداً". وعدها، ووضع يدها في يده، فيما ابتسمت بشجاعة، وأومأت برأسها. كل شيء مختلف وجديد، وشعرت وكأنها على كوكب آخر.

كان بإمكانها الإحساس بأن كل شيء مختلف هنا. إذ توجد ثقافة مختلفة، وطريقة عيش مختلفة، واحترام للتاريخ، وإحساس بعالم آخر. شعرت وكأنها تطفو في الفضاء، بالرغم من أن كل شيء كان جميلاً جداً. بدت المدينة متمحورة تماماً حول التاريخ والجمال. عرفت أن الجنوبيين

فخورون جداً بتاريخهم. وحين سألت والدها قبل أعوام عدة عن الحرب الأهلية، حين كانت تدرسها في المدرسة، صحح لها العبارة وقال لها: "الحرب بين الولايات". وقال إنه لم يكن هناك أي شيء أهلي في تلك الحرب. كان والدها جنوبياً بكل ما للكلمة من معنى، بالسلالة والولادة، وهو فخور جداً بذلك. إنه رجل جنوبي نبيل في الصميم، بالرغم من أن والدتها كانت تبتعد عنها بصمت حين كانت سافاناه تقول لها ذلك على مرّ السنوات. لا شك في أنه لم يكن رجلاً نبيلاً معها، لكنه يتصرّف بلباقة عادة. لا يغير ذلك ما فعله بها، لكنه يجعل حضوره محبباً.

ولقد كشف الرجل الأسود العجوز الذي قاد سيارة الأجرة عن لكنة ثقيلة لطالما أحبت سافاناه سماعها. إذ إنّها كلما التقت شخصاً من الجنوب ذكّرها بوالدها، كانت تقول له إن والدها من كارولينا الجنوبية. إنها فخورة بذلك أيضاً، بالرغم من أنها نيويوركية مثل أمها؛ في أسلوبها وعاداتها وثقافتها.

كانت المنازل التي أراها إياها والدها في المدينة تؤرخ الحرب، فقد مرّا أمام عدة شوارع مرصوفة بالحصى الكبيرة. قال إن هناك شارعاً فرنسياً يريد أن يريها إياه أيضاً. وهناك نهران، كوبر وآشلي. وأخبرها والدها أن شاطئي جزيرة النخيل وجزيرة سوليفان مذهلان. وقال إنه بوسعها الذهاب إلى هناك حين يصبح الطقس أكثر دفئاً. إنها مدينة صغيرة، ولكن هناك الكثير من الأمور التي تستطيع فعلها. فهناك عدة كليات، ومقاه يرتادها الطلاب، ومتاجر رائعة حيث تستطيع التسوق. ثم استدار وسألها إذا كانت تعرف قيادة السيارة. شعر بالإحراج لأنه لا يعرف ذلك عنها، لكن هذه هي الحقيقة. هناك الكثير من الأمور عنها التي لا يعرفها؛ لكنه سيعرفها الآن. تساءل ما إذا كانت هذه الرحلة ستكون نوعاً ما نعمة لهما معاً. فقدومها إلى تشارلستون معه ما كان ليحصل أبداً بطريقة أخرى. لم تكن لويزا لتسمح بذلك قطّ، وهي لم تسمح به أصلاً طوال العقد الماضي. تم حظر مجيء سافاناه إلى منزله، وشعر بالكثير من الخجل عند التفكير

في الأمر، وعرف أنه كان يجدر به الخجل قبل زمن بعيد. فلطالما جعله ذلك يشعر بالانزعاج، ولكن ليس بما يكفي لفعل أي شيء حيال الأمر ولتحدّي زوجته.

قالت سافاناه بحذر: "أملك رخصة قيادة. حصلت عليها قبل عام واحد، يوم ذكرى ميلادي، لكنني لا أستعملها. فأمي لا تملك سيارة؛ إنها تستأجر واحدة إذا ذهبنا بعيداً في عطلة نهاية الأسبوع. فالقيادة مزعجة جداً في المدينة. ويجب أن يكون عمري خمسة وعشرين عاماً لقيادة سيارة مستأجرة، لذلك لم أمارس القيادة كثيراً". بدا الاعتذار في نبرتها.

"تشارلستون مدينة تسهل قيادة السيارة فيها حين تتعرفين إلى الطرقات. يمكنك التمرن هنا. سأعطيك إحدى سيارتينا. لدينا سيارتان قديمتان". لم يقل إنهما للخدم، ولكن سافاناه عرفت ذلك. كان عرضه هذا أمراً لطيفاً. "يمكنك القيادة إلى المدرسة". التفكير في ذلك أرعبها مجدداً، إذ شعرت بالقلق من مدرسة مليئة بالوجوه الجديدة، وهي مختلفة عنهم جميعاً. صمتت مجدداً وهي تفكر في ذلك. مرّا أمام جسر جميل، وعبرا إلى جبل بلازانت؛ إلى الضاحية الأنيقة التي يعيش فيها شرق نهر كوبر. كان هناك العديد من القصور المذهلة، التي يمتدّ كل منها على مساحة أكرات عدة من الأراضي، مع أشجار السنديان نفسها التي تحيط بالأسوار وترصف الممرات. ذكّرها ذلك مجدداً أنهما على مسافة عشر دقائق فقط من الشاطئ.

كانت الهندسة المعمارية التي رأتها مهيبة. إذ كانت هناك أعمدة طويلة وبيضاء، ومداخل كبيرة، وبوابات مزخرفة في بعض الحالات، وردهات طويلة تقود إلى المنازل. لا شك في أنه القسم الأكثر أناقة من المنطقة، ولم يفاجئها هذا الأمر. لم تجد أي شيء مألوفاً فيما كانت تحدّق إلى خارج النافذة، إلى أن أبطأت سيارة الأجرة فجأة، واستدارت نحو ممرّ بدا طويلاً جداً، وتحيط به مساحة شاسعة من الأراضي. اتسعت عينا سافاناه فيما استدارت نحو والدها. لم تكن قد تعرّفت إلى أي شيء حتى ذلك الوقت. ولكن، ما إن رأت الممرّ حتى تذكرته.

"أذكر هذا الممر". ابتسم حين قالت ذلك، وبدا مسروراً. ثمة صفيحة نحاسية صغيرة على أحد أعمدة القرميد الموجودة على جانبي المدخل، وقد كتب عليها *ألف سنديانة*. أخبرها أنه في الأزمنة القديمة، قبل الحرب، قيل إنه كانت توجد ألف شجرة سنديان تحيط بالمكان. لم يعدّها يوماً ويشك في أنه يوجد هذا العدد الآن؛ فالأرض تضاءلت إلى عشر أكرات، وشكّلت مساحة رائعة تحيط بالمنزل وتمتد وراءه. تذكرت سافاناه أنه كان هناك ملعب تنس، وحوض سباحة في الجهة الخلفية كانت تسبح فيه مع أمها وأخويها. لقد أنشأه طوم خصيصاً لهم وسط الكثير من الحماسة، وأحبته سافاناه أيضاً. كانت تسبح مثل السمكة، ولا تزال كذلك. فهي في فريق السباحة في المدرسة، وكذلك في فريق كرة الطائرة. ستشتاق إلى كل ذلك الآن.

فيما تقدمت السيارة في الممر، استطاعت سافاناه رؤية المنزل بشكل أفضل. إنه عملاق، ومذهل تماماً. بدا مثل شيء في فيلم سينمائي. تذكرته سافاناه الآن، وإنما بدا أكبر بكثير مما توقعت. والحدائق المحيطة به كانت رائعة، وستكون أكثر روعة في فصل الربيع. ابتسم والدها بسبب الذهول الذي بدا على وجهها، وكان مسروراً. قد تحب المكان هنا، وقد يعوضها عن الخسارة المؤقتة لأمها. أمل في ذلك.

كان المنزل أبيض، وذا أعمدة طويلة، وكان الباب الأمامي أسود لامعاً مع مقبض نحاسي عتيق وعملاق في وسطه. تم تشييد المنزل في القرن الثامن عشر، وكان جزءاً من المستعمرة الأساسية. لم يبقَ شيء الآن باستثناء المنزل والأكرات العشر التي يقع عليها. أما مساكن العبيد القديمة فموجودة في الجهة الخلفية للعقار، ويتم استخدامها بمثابة مخازن لحفظ الأدوات ولوازم الاعتناء بالحديقة. يصعب التصديق أن هناك أشخاصاً عاشوا في تلك الغرف الصغيرة جداً، وأن العدد قد وصل أحياناً إلى اثني عشر شخصاً أو خمسة عشر شخصاً في الغرفة. أحبت أمه القول إن آل بومونت كانوا لطفاء جداً مع عبيدهم، لكن هذا الأمر لم يفتخر به طوم قطّ.

سألته سافاناه عن الأمر مرات عدة قبل أعوام، وكان يغير الموضوع دوماً. إذ لا يظن أن العبودية موضوع ملائم للمحادثة.

أخرج السائق حقائبهما من السيارة. وبسرعة البرق، ظهر رجلان من أصول أفريقية، وألقيا تحية دافئة على طوم. كان الأول طالباً جامعياً يعمل لديهم بدوام جزئي، فيما كان الثاني رجلاً أكبر سناً وبدا لطيفاً ومهذباً. لقد عمل جاد مع عائلة طوم منذ أعوام عدة. وكان حاضراً يوم وصول ألكسا أيضاً، ولم يواجه صعوبة في معرفة من تكون الشابة الشقراء الجميلة، بالرغم من أنه لم يتم إنذاره بقدومها. كانت تبدو تماماً مثل أمها، فابتسم ابتسامة عريضة حين رآها.

قال بحرارة كما لو أنه قد تم التحضير لزيارتها: "مساء الخير آنسة سافاناه. سررت برؤيتك مجدداً". لم تتذكره، لكنها تأثرت لأنه عرف اسمها، فنظر إليه طوم بامتنان. عملت عائلة جاد عند عائلة بومونت منذ أجيال عدة، منذ أيام العبودية. وبقوا يعملون عندهم بالرغم من تحريرهم. شعر جاد بعلاقة قوية تربطه بعائلة بومونت، ومنزلهم، وكان يعمل عند والدة طوم حين وُلِدَ هذا الأخير. وأصبح الآن حارساً، ومشرفاً على المنزل، ونادلاً وسائقاً بين الحين والآخر، وهو بمثابة والد تقريباً بالنسبة إلى طوم.

عرّفهما طوم إلى بعضهما بحيث عرفت سافاناه اسم جاد، وعرّفها أيضاً إلى فوريست، الطالب الشاب. حمل الرجلان حقائبها إلى الداخل، فيما دفع طوم المال إلى سائق سيارة الأجرة. وقفت سافاناه بالقرب من والدها، وبدت قلقة. طلب منهما طوم وضع حقائبها في غرفة الضيوف الزرقاء، فهي الأكبر والأكثر أناقة بين غرف الضيوف الأربع التي يملكونها، وستكون مكاناً جميلاً بالنسبة إليها خلال الأشهر القادمة. ففيها مساحة كبيرة تسمح لها بأن ترتاح مع أصدقائها الذين ستتعرف إليهم في المدرسة.

لحقت سافاناه بطوم إلى المنزل. كان السقف في الردهة عالياً جداً، مع ثريا عملاقة من الكريستال اشتراها المالكون الأصليون من فرنسا.

وكانت هناك سلالم مهيبة يمكن رؤيتها فقط في الأفلام. تذكرتها سافاناه أيضاً، وتذكرت كيف كانت تنزلها مسرعة مع أمها حين كانتا تستعجلان للذهاب إلى مكان ما. في ذلك الحين، كانت غرفتها قريبة من غرفة والديها وبعيدة مسافة الرواق عن غرفة أخويها. وهي غرفة وردية اللون جميلة، تنيرها الشمس صباحاً، وتملأها ألعاب الحيوانات والدمى والأقمشة المطبعة بالأزهار. إنها متناقضة كثيراً مع الغرفة التي زينتها لها أمها في نيويورك، والتي كانت بسيطة وعصرية وبيضاء ناصعة. لا تزال تملك الغرفة نفسها حتى الآن، ولقد تركتها للتو. بطريقتها الخاصة، تجسد الغرفة تفكير أمها الجليدي والقاحل حين انتقلتا إلى الشقة في نيويورك. كانت حياتها صفحة بيضاء، وبطريقة ما، رأت سافاناه أن شقتهما لا تزال تبدو كذلك. أمها حنون ودافئة، لكن منزلهما ليس كذلك. وكان منزل *الألف سنديانة* مليئاً بالتقاليد، والتحف القديمة المذهلة، والميراث العائلي، والعظمة. عاشت ألكسا حياة رائعة هنا، خلال السنوات السبع التي كان فيها منزلها. وكانت سافاناه سعيدة فيه أيضاً.

أخذها والدها إلى غرفة الجلوس، التي كانت أيضاً كبيرة جداً ومليئة بالتحف القديمة. وهناك، رأت ثريا أخرى جميلة. كان الأثاث منجداً ومطرّزاً بدقّة. وانتشرت في أنحاء الغرفة صور لأفراد العائلة، وتماثيل، وأوانٍ مليئة بالأزهار. عبقت في الغرفة رائحة زكية، ولاحظت سافاناه أن كل المصابيح والستائر مزينة بشرّابات من الحرير، وذكّرها ذلك بفرنسا. كل شيء مثالي، ومرتّب بطريقة رائعة، لكن لا يوجد أحد. لا أثر للويزا، أو لابنتها هي وطوم، وكان الصمّت مسيطراً.

عبرا غرفة الطعام الكبيرة، حيث ازدان كل حائط بصورة جنرال كونفدرالي، وجميعهم من أسلاف طوم. رافق طوم سافاناه إلى المطبخ الذي كان كبيراً ومشرقاً وعصرياً، وأخبرها أنه بوسعها تناول الطعام فيه كلما أرادت. إذ يتم تحضير الوجبات من قبل طباخ ومساعدين له، ولكن لم يكن هناك أي أثر لهم أيضاً. بدا المنزل مهجوراً.

رافقها طوم إلى الطابق العلوي، إلى الغرفة التي قطعت أنفاسها بسبب فخامتها. كانت غرفتها تصلح لأميرة أو ملكة، وكانت حقائبها موضوعة على منصات، وجاهزة ليتم إفراغها. إلا أن لويزا لم تظهر في أي مكان.

وبعد ذلك، ترك طوم سافاناه، وذهب إلى غرفته في آخر الرواق، ووجد لويزا هناك، ممددة تحت ظلّة سريرهما العملاق ذي الأعمدة الأربعة، وكانت تضع منشفةً رطبة على رأسها وقد أغمضت عينيها. سمعته يدخل إلى الغرفة ولم تقل شيئاً.

قال ببساطة: "نحن هنا". ولم يقترب منها. إذ كان ينام في مكتبه بين الحين والآخر حين تواجه *أياماً صعبة*، أي حين لا يتحدثان إلى بعضهما. وكانا يتذرّعان بالصداع الذي يصيب لويزا ليناما منفصلين من دون أن تنزعج دايزي. فقد حاولا أن يخفيا عنها حقيقة أن زواجهما كان على وشك الانهيار، فهي صغيرة جداً لتفهم ذلك، أو هكذا ظنا. حين لم تجبه قال بصوت أعلى: "لويزا؟". عرف أنها ليست نائمة. فقد كان فكها متوتراً، وكانت ترتدي بذلة شانيل وردية، مع قميص من الحرير المكشكش، وبدا حذاؤها الوردي والأسود من ماركة شانيل مرمياً على عجلة قرب السرير. شك في أنها استلقت على السرير، وأمسكت بالمنشفة الرطبة حين سمعتهما يصلان. لم تكن تنوي أن ترحّب بسافاناه. فهي برأيها، لا تنتمي إلى هنا، وليست محط ترحيب على الإطلاق.

قالت بصوت قوي أوحى بشيء آخر، وبلكنة كارولينا الجنوبية القوية؛ تماماً مثل لكنته: "أعاني صداعاً". تعيش عائلته في تشارلستون منذ مئة عام تقريباً، فيما استقرت عائلتها أساساً في نيو أورليانز، ولكنها جاءت إلى تشارلستون قبل الحرب الأهلية أيضاً. لذا، إنّ تاريخهما وجذورهما وتقاليدهما محفورة بعمق في الجنوب. لم يخطر لأي منهما العيش في مكان آخر. وكانت إقامتها في دالاس لمدة سبع سنوات – حين تركته – مصدر عذاب بالنسبة إليها. اعتبرت أهل تكساس غير متمدّنين وفظين، لكنها أحبت

كون معظمهم أغنياء، على الأقل أولئك الذين التقتهم حين كانت برفقة زوجها. لكنها كانت تحب القول إنهم لا يملكون شيئاً سوى المال، ولا يتصفون بحسن التصرف. كانت لويزا متبجحة بشأن كل االأشياء الجنوبية. وبرأيها هي، لم تكن تكساس من الجنوب وإنما هي مجرد مصدر جديد للمال. فهي لا تملك شيئاً من تاريخ تشارلستون ووقارها.

قال بصرامة، من دون أن يظهر تعاطفه معها بسبب صداعها الذي لم يصدقه قطّ: "أريدك أن تأتي وتلقي التحية على سافاناه، إنها في الغرفة الزرقاء".

قالت لويزا وهي تغمض عينيها: "أخرجها منها على الفور، هذه الغرفة مخصّصة للأشخاص المهمين الذين يأتون لزيارتنا، وليس لفتاة. ضعها في واحدة من الغرف في الطابق العلوي. أريدها أن تكون هناك". قالت كل ذلك وعيناها لا تزالان مغمضتين، ولم تحرك أي شيء فيها سوى فمها. كانت الغرفة التي تحدثت عنها غرفة الخادمة، واغتاظ طوم ممّا قالته، ولكنه لم يتفاجأ. فلقد أعلنت لويزا الحرب عليه وعلى سافاناه عبر الهاتف في ذلك الصباح.

قال بصرامة: "ستبقى في الغرفة الزرقاء. أين دايزي؟".

"إنّها نائمة". نظر إلى ساعته وكانت تشير إلى التاسعة والنصف.

"في هذه الساعة؟ ماذا فعلت بها؟ هل خدّرتها؟ إنها لا تذهب إلى السرير قبل العاشرة".

قالت لويزا: "كانت متعبة". أخيراً فتحت عينيها ونظرت إليه، لكنها لم تحاول النهوض قطّ.

سألها وهو متوتر: "ماذا أخبرتها؟". وعرف أن هذه مجرد البداية. إنه مدرك تماماً ما تستطيع لويزا القيام به. فسلوكها مريع حينما تريد. شعر بالأسف على سافاناه؛ إذ إنه معتاد على أساليب لويزا في الانتقام، ولكن لا شك في أن سافاناه غير معتادة على ذلك، ولا تعرف أبداً ما الذي ينتظرها. لقد أحضرها إلى هنا على كل حال، ويريدها هنا، لإبقائها بعيدة عن الخطر

الذي تواجهه في نيويورك. سيفعل كل ما بوسعه لحمايتها، بأفضل طريقة ممكنة. لكن لويزا حقيرة، وهو يعرف ذلك.

حدقت إليه لويزا من دون أي تعبير على وجهها، ثمّ سألته: "بشأن ماذا؟".

"تعرفين ما الذي أسألك عنه. ماذا أخبرت دايزي عن سافاناه؟". تأمل زوجته. إنها شقراء مثل سافاناه وألكسا، ولكنّ هذا اللون الأشقر ليس حقيقياً. وهي تسرّح شعرها بالطريقة نفسها منذ أن كان عمرها ستة عشر عاماً، فتتركه منسدلاً حتى كتفيها بعد أن تستعمل مقداراً هائلاً من رذاذ تثبيت الشعر وهي تذهب إلى مزين الشعر ثلاث مرات أسبوعياً للحفاظ على جماله. تهتم لويزا كثيراً بجمالها، وهي نيّقة جداً في ما يتعلّق بملابسها، وتضع الكثير من مستحضرات التجميل برأيه، والكثير من المجوهرات التي ورثت بعضها عن أمها، فيما دفع هو وزوجها السابق ثمن ما تبقى.

"أخبرتها أنك ارتكبت عملاً طائشاً في شبابك، وكانت سافاناه هي النتيجة، وأننا لم نشأ قطّ إخبارها بذلك". بدا مذعوراً من فكرة أن سافاناه هي ابنة غير شرعية حظي بها فجأة، إذا كان هذا ما قالته لدايزي.

"هل قلت إنني كنت متزوجاً من أمها؟".

"قلت إنه لا حاجة أبداً إلى الحديث عن الموضوع، ونفضل عدم الحديث عنه، وستمكث سافاناه هنا أقصر فترة ممكنة، لأن أمها في ورطة".

"بالله عليك لويزا، جعلت أمها تبدو وكأنها في مصح أو في سجن". كان غاضباً، وإنما غير متفاجئ.

"دايزي صغيرة جداً لتعرف أن المجرمين يهددون حياة سافاناه. سيصدمها ذلك إلى الأبد". وكذلك ستفعل الأكاذيب التي قالتها لها أمها. يعرف طوم ذلك جيداً. لكن يصعب إيقافها، أو منعها من تحريف القصص لصالحها. لويزا هي أسوأ ما يقوله الناس عن النساء الجنوبيات، حول أنهن

منافقات وغير صريحات ويلجأن إلى الكذب ليغيرن الحقائق. هناك الكثير من الجنوبيين الآخرين، رجالاً ونساء، الذين لا يستخدمون الأساليب الجيدة لتغطية الأكاذيب، وهم صادقون. ليست لويزا واحدة منهم، ولطالما امتلكت حافزاً أكبر لتضع الخطط، وتلجأ إلى المكايد. وخطتها الآن تكمن في جعل حياة سافاناه تعيسة قدر المستطاع، وحياة طوم أيضاً.

كرر بنبرة قاسية: "أريدك أن تأتي وتلقي التحية على سافاناه". لم تحب لويزا ذلك على الإطلاق. فجلست على السرير، وأنزلت ساقيها، ونظرت إليه بعينين ضيقتين.

"لا تحاول أن تجبرني على ذلك. لا أريدها هنا".

"هذا واضح. لكنها هنا، ولأسباب مهمة جداً. كل ما أريده منك هو أن تكوني مهذبة".

"سأكون حضارية معها حين أراها. لا تتوقع مني أكثر من ذلك".

أومأ برأسه وغادر الغرفة. بدا جلياً أن لويزا لن تقابل سافاناه هذه الليلة. أوقف الشجار، وعاد إلى غرفتها بمفرده. أراد التوقف لرؤية دايزي، لكنه قصد غرفة سافاناه أولاً.

قال ببساطة: "لا تشعر لويزا بأنها على ما يرام. إنها في السرير". وفهمت سافاناه الأمر لكنها لم تعلّق. وارتاحت هي الأخرى لعدم لقائها إيّاها هذه الليلة. "هل تريدين أن تأكلي شيئاً؟".

"لا، أنا بخير بابا. شكراً. لست جائعة. سأفرغ حقائبي". أومأ برأسه، وذهب إلى مكتبه للنظر إلى بريده. كان منزعجاً جداً من لويزا بحيث قرر عدم زيارة دايزي على الإطلاق. ليس في مزاج جيد، وقرر النوم في مكتبه. إذ لم يكن يرغب أبداً في قضاء الليل وهو يتشاجر مع زوجته. ثمة وقت كافٍ لذلك غداً، وفي الأشهر الثلاثة المقبلة حتى انتهاء المحاكمة. أغلق الباب بهدوء، وفعلت سافاناه الشيء نفسه في غرفتها.

جلست على الكرسي الكبير المريح، ونظرت حولها في الغرفة. كان كل شيء من الحرير و"الساتان" ذي اللون الأزرق الشاحب. ثمة ستائر

سميكة مربوطة بشرّابات زرقاء، ومنضدة مع مرآة عتيقة وجميلة، وقد خصّصت مساحة صغيرة من الغرفة للجلوس فيها، فوُضِعَت فيها مكتبة وأريكتان صغيرتان. كانت الغرفة مضاءة بمصابيح مزخرفة بأناقة. إنها متكلفة أكثر من أي شيء آخر اعتادت عليه، وهناك سرير كبير رباعي الأعمدة ذو ستائر سميكة من الحرير أيضاً. إنها بلا شك غرفة جميلة، بالرغم من أنها لا تجعلها تشعر أنها في منزلها. كانت تعرف أن والدها يعيش حياة ميسورة، لكنها لم تكن تدرك أنه يعيش في مثل هذه الأبهة. لقد أذهلها الأمر حين دخلا، ولا تزال تشعر بالذهول حتى الآن. فهي لا تشعر أنها في منزلها حيث تستطيع السير حافية القدمين، ومرتدية بنطال جينز أو ثوب نوم قديماً ومثقوباً. فهنا يتوجّب عليها أن ترتدي ثيابها، وتجلس منتصبة على الكراسي الحريريّة، وألاّ تسترخي أبداً أو تسدل شعرها. يصعب تخيل العيش هنا والشعور بالارتياح، ويصعب أكثر تخيل طفلة تعيش هنا، بالرغم من أنها لم ترَ أثراً لها لغاية الآن. تماماً مثل أمها، لم تظهر أختها البالغ عمرها عشر سنوات ونصف منذ أن وصلا، وكان المنزل هادئاً جداً. حدّقت سافاناه إلى حقائبها، وحاولت استجماع الشجاعة لإفراغ حقائبها. إلا أنها أخرجت بدلاً من ذلك هاتفها الخلوي، واتصلت بأمها. إنها العاشرة، ولا يوجد فارق في التوقيت. عرفت أن أمها لا تزال مستيقظة، وتفاجأت حين أدركت أنها نائمة. فلقد خلدت ألكسا إلى نوم عميق بعد البكاء لساعات ولكنها لم تخبر سافاناه بذلك.

سألتها ألكسا بسرعة: "كيف حالك حبيبتي؟". فتنهدت سافاناه.

"أشعر بالغرابة. المنزل مذهل، وبابا لطيف جداً. أنا في غرفة ضيوف كبيرة مزينة كلها بالأزرق". كانت ألكسا تعرفها جيداً، وكان يطلق عليها اسم الغرفة الزرقاء في أيامها هي أيضاً، وكانت تنزل فيها دوماً كلما ذهبت للزيارة قبل زواجهما. وها هي الآن سافاناه فيها. استطاعت ألكسا تصورها بدقة. "تبدو كبيرة ومتكلفة جداً، مثل متحف". وهي بعيدة جداً عن أن تكون منزلها، بالرغم من أنها عاشت هناك حين كانت طفلة.

"هناك الكثير من التاريخ في هذا المنزل، ووالدك فخور جداً به. أما جـدتك فتعيش في منزل مجاور أكبر حجماً، أو كانت تفعل ذلك. إنه قصر قـديم اشتراه جدها حين تزوج". هذا كثير لتستوعبه سافاناه. كانت تشتاق إلى أمها وإلى غرفتها المألوفة، وإلى حياتها في المدينة. هذا كل ما تهتم به الآن، إذ إنها لا تهتم بالأناقة والتاريخ في الجنوب.

قالـت سـافاناه بحزن: "اشتقت إليك ماما. كثيراً". حاولت ألا تبكي، وكذلك فعلت ألكسا.

"وأنا أيضاً حبيبتي. لن تبقي هناك لوقت طويل، أعدك بذلك. وسآتي لـزيارتك بأسـرع مـا يمكنني". لم تكن متشوقة كثيراً للقيام بذلك، لكنها مـستعدة للذهاب إلى الجحيم والعودة منه لرؤية ابنتها. وبرأيها الشخصي، تشارلستون وكل ما عاشته فيها هما الجحيم بحدّ ذاته. "كيف حال لويزا؟". حبست ألكسا أنفاسها بعد أن طرحت السؤال. فقد كانت تعرف ما هي قادرة عليه، وتكره أن تكون سافاناه في خطوط المواجهة الأمامية.

"لم أرَها. قال بابا إنها تعاني من الصداع وخلدت إلى النوم". صمتت ألكـسا ولم تعلّق. "لم أرَ دايزي أيضاً، فلقد خلدت إلى النوم هي الأخرى. يـبدو أن كـل شيء ينتهي باكراً هنا". على عكس نيويورك، حيث المدينة تبقى حية طوال الليل. "يقول بابا إنه سيعطيني سيارة لأقودها".

حـذرتها أمهـا: "انتبهي. ليس لديك الكثير من الخبرة". لكن المدينة صغيرة والسير خفيف. كان لطفاً من طوم أن يعطيها سيارة. سيمنحها ذلك بعض الحرية، خصوصاً حين تبدأ المدرسة. قالت بحزن، متمنية لو كانت هناك معها: "أتحرق شوقاً لرؤيتك".

"وأنـا أيـضاً. أظـن أنه من الأفضل أن أباشر في إفراغ حقائبي. سنذهب في جولة سياحية غداً".

"إنــه عالم آخر هناك. سترين. لا تزال الكونفدرالية موجودة وبقوة. بالنـسبة إلـيهم، لم تنته *الحرب بين الولايات* قطّ. فهم لا يزالون يكرهوننا ويتـشبثون بكل فتات من تاريخهم، كما أنهم لا يثقون بأحد إلا بالجنوبيين.

لكـن، هـناك الكثير من الأشياء الرائعة أيضاً، وتشارلستون مكان جميل. أحببتها حين عشت هناك، وكنت مستعدة للبقاء فيها إلى الأبد لولا... حسناً، تعـرفين الباقـي. أظـن أنك ستحبينها، وستجدين فيها كل شيء: الجمال، والتاريخ، والهندسة المعمارية الفاتنة، والشواطئ الجميلة، والطقس الرائع، والأشـخاص الطيبين. يصعب إنكار ذلك". فلقد أحبت ذلك قبلاً مهما كان شعورها حياله الآن.

قالـت سافاناه بحزن: "أريد فقط أن أكون معك في المنزل". المشاهد الطبيعـية والجوانب التاريخية في تشارلستون لا تهمها على الإطلاق، ولا حتـى المدرسـة. تريد أن تكون مع أصدقائها القدامى في نيويورك لإنهاء سـنتها الـثانوية الأخيرة، ولا تستطيع الآن فعل ذلك بسبب مجموعة من الرسائل الغبية التي كتبها مجنون ما. ليس هذا عدلاً. "أظن أنه من الأفضل أن أرتب أغراضي. هل وضبت لي أقراصي الموسيقية؟".

"طبعاً". فرحت ألكسا لأنها فكرت في ذلك.

لم يكن هناك أثر لأي جهاز "ستيريو" في الغرفة لكن أمها قالت إنها وضبت لها "الديسكمان والآيبود" أيضاً. تملك كل لوازمها. ولن تزعج أحداً، الأمر الذي بدا جيداً.

أنهـتا الاتصال، ففتحت سافاناه حقائبها ببطء، وبدأت تعلق ملابسها. كانـت أمهـا قـد وضعت لها في الحقيبة كل شيء، كل ملابسها المفضلة وملابـس أمهـا المفـضّلة لديها كذلك. امتلأت عيناها بالدموع حين رأت الكنـزتين الورديتـين، والحـذاء الأسود الجديد ذا الكعب العالي المفضل بالنـسبة إلى أمها، وكنزة مطبّعة بنقوش الفهد لم تطلبها لكنها تحبها، وهي أيـضاً جديـدة. رأت الدبـين القماشيين، فوضعتهما على السرير مبتسمة، وفـرحت لـرؤيتهما للمـرة الأولى منذ أعوام. فهما يبدوان مثل صديقين قديمين، وهما الصديقان الوحيدان لديها هنا الآن. رتّبت أقراصها الموسيقية علـى المنـضدة مـع "الديسكمان والآيبود"، وفيما كانت تستدير إلى حيث وضـعت الحقيبة لإحضار المزيد، أحست بوجود أحد في الغرفة، وكادت

تقفز في مكانها حين رأت فتاة صغيرة مرتدية ثوب نوم تقف قرب السرير محدّقة إليها. كان شعرها أشقر طويلاً أيضاً وعيناها خضراوين كبيرتين.

قالت لها: "مرحباً". وكشفت عن تعبير جدي. وكان ثوب النوم الذي ترتديه مليئاً بالأشرطة المعقودة والدببة الصغيرة؛ فبدت مثل دمية صغيرة.

قالت دايزي برصانة: "أعرف من تكونين".

فأجابت سافاناه بهدوء، وهي لا تزال مذهولة بها، ولكنها لا تريد إخافتها: "مرحباً، نحن أختان". من الغريب قول ذلك.

"لم أعرف بوجودك إلا اليوم. أخبرتني ماما. قالت إن بابا تزوج من أمك قبل زمن طويل، لبضعة أشهر، أو شيء من هذا القبيل، حين ولدت".

فقالت سافاناه وهي تدافع عن تاريخها، وتشعر أنها تبلغ من العمر عشرة أعوام بدلاً من سبعة عشر عاماً: "أكثر من سبع سنوات".

قالت دايزي ببساطة: "تقول أمي الأكاذيب". كان هذا أمراً يصعب على فتاة عمرها عشر سنوات قوله عن أمها، لكنه صحيح. "تفعل ذلك كثيراً. لم تخبرني عنك قطّ. قالت إن بابا كان محرجاً من إخباري عنك، ولذلك لم يفعل ذلك قطّ. وها أنت هنا الآن لأن أمك في ورطة مع القانون".

هذا هو بالضبط ما قالته لويزا، وضحكت سافاناه بصوت عالٍ. إنه شيء مهين، ويعطي لمحة مسبقة عن طبيعة زوجة أبيها. "هل هي في السجن؟".

"لا". كانت سافاناه لا تزال تضحك فيما توجهت نحو السرير الرباعي الأعمدة وجلست، وربّتت على مساحة قربها لتجلس عليها دايزي، ففعلت. "أمي مساعدة المدعي العام، وتحاول وضع شخص ما في السجن، شخص سيئ جداً".

"هل المدعي العام كلمة سيئة؟". بدت دايزي قلقة، وضحكت سافاناه مجدداً، فلقد عرفت ما تظنه دايزي، ولم تتفاجأ فلا بدّ من أن هذا ما قالته لها لويزا أيضاً.

"لا، إنها تعني محامية. إنها مساعدة نائب عام، أي أنها تضع المجرمين في السجن. ستكون المحامية العامة في محاكمة قضائية،

وستضع رجلاً سيئاً جداً في السجن، قام بالعديد من الأمور السيئة". تعرف ما يكفي لعدم إخافة دايزي بإخبارها أنه ربما قتل سبع عشرة امرأة أو أكثر. "ربما كتب إليّ أحد أصدقائه بعض الرسائل المخيفة، ولذلك أرادت أمي أن أبتعد ريثما تنتهي المحاكمة بحيث يتوقف عن كتابة الرسائل، ولذلك أنا هنا".

"هل يعرف أنك هنا؟". بدت دايزي قلقة، وهزّت سافاناه رأسها.

"لا، ولن يعرف. لهذا السبب أحضرني بابا إلى هنا، بحيث لا يعرف أحد أين أنا".

"هل تعرف أمك أنك هنا؟". كانت دايزي مهتمة بكلّ شيء قالته، واستوعبت كل شيء. إنها تصدقها. فهي تعرف الكثير عن أمها بحيث لا تصدق كل ما تقوله لها، بالرغم من أن هذا محزن. لقد كذبت عليها قبلاً، بشأن أشخاص لم تحبهم، أو لتجعل نفسها جيدة. وطردت مربية أحبتها دايزي لأنها ظنت أن دايزي أحبتها كثيراً، وتعلقت بها. لذا، أخبرت دايزي أنها تركت العمل وهربت من دون أن تكترث لأمرها. لكن الطاهية أخبرتها الحقيقة. ولم تسمع دايزي أي شيء عن المربية مجدداً.

"اتفقت ماما مع بابا على ضرورة مجيئي إلى هنا".

حذّرتها دايزي وهي تنظر إليها بعينيها الكبيرتين: "لا أظن أن أمي مسرورة بذلك". فأومأت سافاناه برأسها.

"أظنك محقة".

"سمعتها تصرخ وهي تتحدّث مع بابا. تفعل ذلك كثيراً. إنهما يتشاجران". قالت كما لو أن هذه رياضة يلعبانها، مثل الغولف. إنها تعطي أختها الجديدة لمحة عن الوضع في الدقائق الخمس الأولى. لكن سافاناه لم تتفاجأ، فقد كانت تعرف جيداً ما يجب توقعه. وحتى الوقت الحاضر، كل شيء يسير وفقاً لتوقعاتها، لا سيما مع عدم ترحيب لويزا بها. قالت وهي تستدير لتنظر إليها: "يمكن أن تصبح حقيرة جداً حين تغضب، ولذلك انتبهي. أحببت دُبيك، لديّ واحد أيضاً. ينام بجانبي". وابتسمت لسافاناه بخجل.

قالــت لهـــا سافاناه: "هل تريدين الاستماع إلى موسيقاي فيما أرتب أغراضي؟". فكان جواب دايزي ابتسامة عريضة. ذهبت سافاناه لإحضار "الآيـــبود"، ووضـــعت سماعتيه على أذنيها، وشغلته لها، فابتسمت دايزي ابتـسامة عريضة، وبدأت تغني، ثم أخفضت صوتها كثيراً كي لا يسمعها أحد. إذ لم تكن تريد أن تسمعها أمها، وتعرف أنها في غرفة سافاناه. أحبت التواجد هنا، وأحبتها. كانت لا تزال تستمع إلى "الآيبود" حين انتهت سافاناه من توضيب أغراضها. كانت الخزانة الموجودة في الحائط عملاقة، وفيها رفوف كبيرة لأحذيتها أكثر بكثير مما تحتاج إليه.

كانت دايزي لا تزال تجلس على السرير، فرفعت "الآيبود" عن أذنيها لتـــتحدث إلـــى ســـافاناه مجدداً. "أحب موسيقاك. إنها جميلة". تملك اللكنة الجنوبـــية الناعمة نفسها مثل والدها، وبدت ظريفة عليها. أصبحت الساعة الحاديـــة عشرة حينها. "هل تحبين أن تكون أمك محامية؟ أمي لا تفعل أي شيء. إنها تلعب البريدج وتذهب إلى الغداء، وتتسوق كثيراً".

قالـــت سافاناه: "أنا أحب التسوق أيضاً، وكذلك أمي. لكنها تعمل بكدّ. عملها ممتع فعلاً، إلا عندما يحصل شيء غبي، مثل الرسائل التي تلقيتها. لم يحصل ذلك قطّ من قبل. ولقد درست جدّتي القانون أيضاً. إنها الآن قاضية".

"ظننتُ أن القضاة يكونون رجالاً". بدت دايزي مرتبكة.

"لا. فهـــناك نساء أيضاً. إنها تدير حالياً محكمة الأحوال الشخصية، حيث تتولّى قضايا الطلاق وما شابه، وقضايا الوصايا، والكثير من الأمور المتعلقة بالأولاد".

"لا بد من أنها ذكية". بدت دايزي متأثرة.

"صحيح، وهي لطيفة. أحبها كثيراً".

"جدتـــي هـــي الرئيـــسة العامة لاتحاد الفتيات في الكونفدرالية". هذه عبارة صعبة بالنسبة إلى فتاة عمرها عشر سنوات، لكنها قالتها من دون أن تـــستوعب أنهـــا جـــدة ســـافاناه أيضاً. "ولديّ أخوان: هنري وترايفيس". فضحكت سافاناه وقالت: "وأنا أيضاً".

"هذا غريب". بدت دايزي متفاجئة.

شـــرحت ســـافاناه: "نملـــك الأخوين نفسيهما لأنّ والدنا هو الشخص نفسه".

فقالت دايزي وهي تبتسم: "هذا غريب جداً. لطالما أردت أختاً".

"وأنا أيضاً".

"هل كنت تعرفين عني؟". سألت دايزي فيما استلقت على الوسادات، ونظرت إلى سافاناه.

قالت سافاناه بلطف: "نعم. أخبرتني أمي قبل زمن طويل". ثم خطرت لهـــا فكـــرة. "هـــل تريدين النوم معي هنا الليلة؟". فقد كان السرير عملاقاً بحـــيث يتسع لعشرة أشخاص مثلهما، ورأت سافاناه أن هذا قد يكوّن رابطاً بينهما بدأ ينشأ بصورة جيدة. فكّرت دايزي في العرض، ثم أومأت برأسها. "هـــل تريدين الذهاب لإحضار دبك؟". سألتها سافاناه، إذ قالت دايزي إنها تنام وإلى جانبها دبها.

"أفـــضل عدم الذهاب. فربما تسمعني أمي وقد لا تسمح لي بالعودة". إنهـــا ذكـــية ومحقـــة. "أســـتطيع النوم إلى جانب دُبك". رفعت لها سافاناه الأغطـــية، فانزلقت دايزي أسفلها وابتسامة عريضة مرتسمة على وجهها. عـــندها، ذهـــبت سافاناه لارتداء ثوب نومها، وعادت بعد دقائق قليلة فيما انتظـــرتها دايزي مستيقظة. أطفأت سافاناه الأنوار، وصعدت إلى السرير أيضاً.

"هـــل أنـــت خائفة من وجودك هنا؟". سألتها دايزي همساً بعد دقائق قلـــيلة. كانتا مستلقيتين على ظهريهما في الظلمة، وهما تنظران إلى الظلة الحريـــرية الزرقاء فوق السرير. جعل هذا السؤال سافاناه تفكر في أمها، وفي شوقها إليها، وفي غرابة التواجد هنا.

فأجابتها هامسة: "قليلاً. ولهذا السبب طلبت منك النوم معي الليلة". عـــندها، وضعت دايزي يدها الصغيرة في يد سافاناه، وضغطت عليها بشدة.

طمأنتها: "ستكونين بخير. لن يسمح بابا أن يحصل أي شيء لك، ولن يكتب إليك الرجل الشرير أي شيء بعد الآن، وستضعه أمك في السجن. كما أننا تعرفنا إلى بعضنا بعضاً، ولن أتركك مجدداً". قالت ذلك بحلاوة الطفولة وبراءتها، فتلألأت الدموع في عيني سافاناه بسبب ما قالته أختها، وبسبب اليد الصغيرة التي أمسكت بيدها.

"شكراً". قالت بلطف، وانحنت لتقبيل دايزي على وجنتها. كانت بشرتها ناعمة مثل بشرة الأطفال. ابتسمت دايزي، وأغمضت عينيها، وأبقت يدها في يد سافاناه. وفي النهاية، استرخت قبضتها، ونامتا معاً جنباً إلى جنب.

كانت الساعة تشير إلى ما بعد منتصف الليل حين طرق والدهما على الباب برفق. وحين لم يسمع جواباً، فتح الباب قليلاً ونظر إلى الداخل. رأى سافاناه في السرير، فدخل إلى الغرفة على رؤوس أصابعه. ثم لاحظ تحت ضوء القمر أنّ هناك جسدين ممدّدين فوق السرير إلى جانب بعضهما. ورأى أن ابنتيه تنامان بسلام وهما ممسكتان بيدي بعضهما. وقف وهو ينظر إليهما لدقيقة وابتسامة حنون مرتسمة على وجهه، فيما انهمرت الدموع على وجنتيه. ثم غادر الغرفة بصمت مثلما دخلها، وأغلق الباب وراءه.

الفصل الثامن

حين استيقظت سافاناه في الصباح، كان نور الشمس ينتشر في الغرفة، ولم تكن دايزي معها. صدمت حين رأت أن الساعة قد أصبحت العاشرة، وأنها نامت كل تلك الفترة. لم تسمع دايزي وهي تغادر الغرفة متسللة في الصباح، ولكن لا يوجد دليل على وجودها هنا. لقد غادرت الغرفة عند الفجر كي لا يعثر عليها أحد في سرير سافاناه، وإلا ستدفع الثمن غالياً.

استحمت سافاناه، ومشطت شعرها، ونظفت أسنانها، ثم ارتدت ثيابها، وتوجهت إلى المطبخ، حيث كانت هناك امرأتان تجلسان إلى طاولة المطبخ. ابتسمت المرأتان حين دخلت.

فقالت سافاناه بحذر، متسائلة من منهما زوجة أبيها: "صباح الخير".

"كنا في انتظارك. لم نشأ إيقاظك". قالت الأكبر سناً بين الاثنتين. "قال السيد بومونت إنه سيعود عند الساعة الحادية عشرة لاصطحابك. لديه بعض الأمور الواجب إنجازها في المكتب. والسيدة بومونت عند مزين الشعر، ولديها غداء في المدينة بعد ذلك". يعني ذلك أن والدها سيعود بعد نصف ساعة لاصطحابها في الجولة السياحية التي وعدها بها. عرّفت المرأتان عن نفسيهما بأنهما تالولاه وجاين. تالولاه هي زوجة جاد، وجاين من ممفيس، ولكنتها مختلفة. ذهلت سافاناه من طريقة تحدثهما.

سألتاها عما تريد تناوله، فقالت إنه لا بأس في حبوب الفطور، وأردفت أنها تستطيع الاهتمام بنفسها، لكنهما أصرّتا على تقديم الفطور لها في طبق صيني مطبّع بالأزهار، وموضوع على قطعة من الكتان المطرز

بدقـة. كل شيء منمّق هنا. ما من شيء بسيط أو عادي أو عملي، كما في المنـزل. شـعرت بغرابة تامة. صحيح أنها تعيش هي وأمها حياة كريمة، ولكـن مـا من شيء يشبه هذا أبداً؛ إنه عالم آخر. أدركت الآن كم كانت صـدمة أمهـا كبيـرة بعـد حرمانها من كل ذلك. لا بد أنها شعرت مثل سـندريلا بعد الحفلة، حين تحولت العربة إلى يقطينة، والأحصنة البيضاء إلى فئران؛ وفي حالتها هي تحول الأمير الوسيم إلى جرذ. شعرت سافاناه بالأسف عليها.

كانـت قد أوشكت على الانتهاء من تناول حبوب الفطور حين دخل والـدها المطـبخ مـسرعاً. وبدا وسيماً في سترة التويد الرائعة والسروال الرمادي.

قال بمرح: "مرحباً سافاناه. كيف نمت؟".

"مثل الطفلة".

"هـل أنـت مـستعدة للجولة الكبيرة؟". أومأت برأسها، وشكرت السيدتين اللتين ارتدت كل منهما بذلة بيضاء، ووضعت مئزراً مخرّماً، ولحقـت به إلى الردهة الأمامية، ثم ذهبت لإحضار سترتها وحقيبتها. فبالرغم من أن الطقس منعش وليس بارداً، إلاّ أن النسيم كان يهبّ من المحيط، كما هي الحال غالباً في تشارلستون، ويتحول إلى رطوبة قاتلة في الصيف. بعد خمس دقائق، كانا في سيارته الجاغوار، واتجها نحو وسط المدينة.

تحـدثا بعفـوية عن المدينة، وكان أول مكان أخذها إليه هو حصن سـامتر، وذلـك لإعطائها درساً حول التاريخ المحلي. هنا تم إطلاق أول طلقـة فـي الحـرب بين الولايات. وجدت سافاناه الأمر مذهلاً حين قاما بالجـولة، ولاسـيما المواقف الجنوبية تماماً المسيطرة على كل شيء. كل شـيء يـتمحور حول الكونفدرالية، ولا شيء أبداً عن الشمال، الذي كان يعتبر غير موجود حسب رأيهم، باستثناء كونه العدو الذي حاربوه قبل مئة وخمسين عاماً، ولا يزالون يحاربونه في بعض الحالات.

مـن هناك، اصطحبها إلى الحي الفرنسي، ثم تناولا الغداء في مطعم جمـيل فيه حديقة خلفية. كان الطعام محلياً وغنياً بالتوابل؛ وهو عبارة عن حـساء، وفطائـر سـلطعون، وقريدس وأرز، وكله متبّل بصلصات لذيذة وتوابل غنية. كان الطعام لذيذاً، وضحكا كثيراً خلال الغداء، ثم اصطحبها بعـد ذلك في رحلة بواسطة عربة يجرها حصان إلى الشوارع المرصوفة بالحـصى، حيث شاهدا المزيد من المواقع التاريخية، وأشار إلى عدة مقاهٍ شعبية جلس فيها شباب.

بعد ذلك، اصطحبها إلى عدد من المتاجر التي قال إنها قد ترغب في زيارتها لاحقاً، ومرّا أمام الشواطئ المذهلة في جزيرة سوليفان في طريق عودتهما إلى المنزل.

عـادا إلى المنزل عند الساعة الرابعة والنصف بعد أن أمضيا يوماً رائعـاً بـصحبة بعـضهما. أخبرها والدها خلال الغداء أنها ستذهب إلى المدرسـة في اليوم التالي. تم ترتيب كل شيء. ستكون في السنة الأخيرة طـبعاً، ويمكنها حضور حفل التخرج كسائر الطلاب الآخرين، بالرغم من أن شهادتها الرسمية ستأتي من مدرستها في نيويورك. تم إرسال علاماتها بالفاكس من قبل مدرستها، وذهلت المدرسة هنا في تشارلستون بعلاماتها. وفـي يومها الأول هناك، كان سيُقلّها إلى المدرسة في الصباح، ثم يعيدها بعـد انتهاء الدوام المدرسيّ. بعد ذلك، قال إنها تستطيع القيادة بنفسها. فلقد فحص لها السيارة، ولم يهمل أي شيء، واهتم بتفاصيل كل شيء. فتأثرت سافانا بذلك كثيراً.

كانـا يبتـسمان ويتحدثان بعفوية حين دخلا إلى المنزل، وذهلا حين رأيـا نفـسيهما وجهاً لوجه أمام لويزا التي كانت قد عادت للتو أيضاً من موعدها. وحين رأتهما، كان الأوان قد فات لتفاديهما أو للاختباء. ولم يعد بالإمكان تأجيل اللقاء بين سافاناه وزوجة أبيها.

قالت سافاناه بخجل: "مرحباً". كانت أول من تحدث، فيما حدّقت إليها لويزا من دون كلمة. كانت ترتدي بذلة كحلية ذات طيات من "الساتان" عند

الصدر، وتضع قرطين من الياقوت في أذنيها. بدت تسريحة شعرها مثل الخوذة، من دون أن تبدو أي شعرة خارج مكانها. أمّا طلاء أظفارها فكان مثالياً، ونظرت عيناها بحدة إلى عيني سافاناه فبدتا مثل سكينين.

قال طوم بلطف لكسر الجليد، كما لو أن لويزا لا تعرف ذلك: "هذه سافاناه. وسافاناه، هذه هي لويزا زوجة أبيك". عرف فوراً أن هذا خطأ، فيما أدارت له زوجته ظهرها بعد أن نظرت إليهما نظرة شريرة، وتجاهلت سافاناه.

"لست زوجة أبيها. قد تكون ابنتك، لكنها ليست ابنتي، بشكل أو بآخر. ولا تنسَ من هي ابنتك الحقيقية في هذا المنزل".

"كلاهما ابنتاي الحقيقيّتان". قال طوم بصرامة، فيما تمنت سافاناه لو أن الأرض تنشق وتبتلعها. ليس هذا ممتعاً. دايزي محقة. لويزا غاضبة من وجودها هنا ولا تحاول أبداً إخفاء ذلك. في الواقع، أرادت التأكد من أن سافاناه تعرف أنها ليست محط ترحيب.

"آسفة لأنك تشعر بهذه الطريقة". قالت لويزا، فيما مرّت أمامهما وتوجهت إلى المطبخ للتحدث إلى الطاهية بشأن العشاء. وتساءلت سافاناه إذا كان سيُسمح لها بتناول الطعام معهم؛ إذ لا يبدو هذا محتملاً، أو مستحباً.

نظر إليها طوم معتذراً وهزّ كتفه. "ستهدأ. هذا صعب عليها". قال بضعف، وهو عاجز عن شرح تصرف زوجته المهين علماً أنه شعر بالإحراج منه. كانت سافاناه تحاول طمأنته حين نزلت دايزي على الدرج، ووضعت ذراعيها حول خصر سافاناه. كانت لا تزال تعانقها حين عادت لويزا إلى القاعة، وبدت وكأنها على وشك التعرض لنوبة قلبية حين رأت دايزي تطوّق سافاناه.

"هل فقدتكما عقليكما؟". قالت لزوجها وابنتها. "هذه الفتاة غريبة بالنسبة إلينا. إنها ضيفة هنا، أحضرها والدك. ليست فرداً من عائلتنا، وليست حتماً من عائلتي. أريدكما أن تتذكرا هذا جيداً، وتتذكرا من أكون

هنا. أنا أمك وزوجتك، والأخطاء التي ارتكبها والدك في ماضيه ليست من شأني أو من شأنك". قالت وهي تنظر مباشرة إلى دايزي، التي أبعدت ذراعيها عن خصر أختها، كي لا تزعج أمها أكثر. "سنعيش هذه المرحلة، لأننا مجبرون على القيام بذلك. ولكن، لا حاجة إلى التصرف وكأنك عثرت على قريبة تائهة منذ زمن وأحضرتها إلى المنزل. هذا منزلنا، وليس منزلها. وهي ليست نريبتي، أو قريبتك". قالت لدايزي مجدداً، ثم حدّقت بغضب إلى زوجها، وتجاهلت سافاناه، وصعدت الدرج بأسرع ما يمكن. وبعد قليل، سمعوا باب غرفتها يغلق بقوة، فيما وقفوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً وهم يشعرون بالإحراج والارتباك. نظر طوم إلى ابنته الكبرى التي كانت ترتجف وتوشك على وشك البكاء نظرة اعتذار. لقد هاجمتهم لويزا بقوة الإعصار، وتركتهم وراءها مثل الحطام.

همست لوالدها: "بابا، ربما يجدر بي الذهاب. سأكون بخير في نيويورك. أمي متوترة فقط. لا أريد أن أسبب أي مشكل هنا". ولا أن تعامل مثل ساقطة أو تساء معاملتها من قبل امرأة تكرهها بوضوح.

فقال والدها بحزم وهو يعانقها: "لن تذهبي إلى أيّ مكان. أنا آسف. إن مزاج لويزا مريع. ستهدأ". ثم نظر إلى دايزي التي بدت محطمة.

"هل سترحلين؟". سألت دايزي سافاناه.

أجابت بصراحة: "لا أعرف. أظن أنه يجدر بي ذلك. لا أريد أن أزعج أمك".

قالت دايزي وهي تبدو غاضبة: "إنها حقيرة. أحب وجودك هنا أريد أختاً. لا تذهبي". ووضعت ذراعيها حول خصر سافاناه مجدداً. فعرفت سافاناه أنه تصعب مقاومتها.

رافقهما طوم وهما تصعدان الدرج، وهو يضع ذراعاً حول كل منهما. أحبّ وجود سافاناه هنا هو أيضاً. إذ لطالما أرادها أن تأتي للزيارة، لكن لويزا لم تسمح بذلك قطّ. خرجت الآن المسألة من يديها بفعل القدر، وهو مسرور بسبب ذلك. وافق دايزي الرأي، فهو أيضاً لا يريدها أن تغادر

طلب من دايزي الذهاب لإنجاز فروضها المنزلية، وترك سافاناه في غرفتها بعد أن طلب منها أن ترتاح. شكرته على اليوم الممتع الذي أمضته برفقته مجدداً، وإنما بعينين قلقتين، واتصلت بأمها ما إن غادر الغرفة، وأخبرتها بما حصل.

"إنها ساقطة حقيقية". قالت ألكسا بنبرة يائسة.

"لا أعرف ماذا أفعل ماما. أظن أنه يجدر بي الرحيل. إنها مخيفة أكثر من الرجل الذي يكتب إليّ الرسائل. بدت وكأنها ترغب في قتلي قبل دقيقة".

"ربما تريد أن تقتلك، لكنها لن تفعل. أما الرجل الذي يكتب إليك الرسائل فقد يفعل ذلك. لا أريدك أن تعودي إلى هنا. أكره فعل ذلك بك، لكن عليك الصمود والبقاء. ابتعدي فقط عنها قدر المستطاع. هل قال لها والدك أي شيء لإسكاتها؟".

"حاول، لكنها تغلبت عليه، وطلبت منه أن يسكت".

"لطالما فعلت ذلك، وكذلك أمه. إنهما معاً قوة كبيرة، ولا مثيل لهما. لا أريد أن أبدو ناكرة للجميل لما يفعله الآن مع وجودك هناك، لكنه لا يملك الشجاعة. لقد قضت عليه لويزا قبل عشرة أعوام". لم تحب سافاناه سماع ذلك، وشعرت ألكسا فوراً بالأسف لأنها قالت هذا. إنه والد سافاناه، لكن هذا صحيح. وهي ترى ذلك بأم العين. "أنا آسفة. لم يكن يجدر بي قول ذلك". اعتذرت ألكسا بسرعة، ثم تابعت قائلة: "ابقي فقط في غرفتك، أو اخرجي، أو استمعي إلى "الأيبود". لا أريدك أن تعودي إلى نيويورك إلا بعد انتهاء المحاكمة".

شعرت سافاناه وكأنه قد حكم عليها بالأشغال الشاقة، أو السجن، مهما كانت المفروشات جميلة أو المنزل كبيراً. كانت تكره التواجد هنا. ولويزا تكرهها. ستكون ثلاثة أشهر تعيسة، وأمها محقة. والدها لا يستطيع التغلب على لويزا، ولقد رأت سافاناه ذلك بنفسها للتو.

"سأحاول". هذا كل ما التزمت به سافاناه، ووعدت نفسها بالبقاء إلى أن تأتي أمها لزيارتها. وإذا لم تتحسن الأوضاع، فستعود إلى

نيويورك معها، أو تهرب. لن تعيش هكذا مدّة ثلاثة أشهر، مهما حصل.

"أنا آسفة صغيرتي. لا أستطيع زيارتك في عطلة نهاية الأسبوع هذه، لكنني سأفعل هذا في الأسبوع المقبل. أعدك. أبقي رأسك مرفوعاً وتجاهليها".

قالت سافاناه: "نعم، صحيح". وأنهت المكالمة. إنها غاضبة الآن من أمها أيضاً، لأنها أرسلتها إلى هنا لتعيش مع هذه الشريرة. إنها أسوأ من زوجة الأب الشريرة في أي قصة خرافية أو فيلم سينمائي. حياة سندريلا كانت لا شيء مقارنة مع هذا. وفيما كانت تفكر في الأمر، دخلت دايزي غرفتها وهي تبدو قلقة.

"هل أنت بخير؟".

"نعم، أظن ذاك". قالت سافاناه وهي تبدو محبطة، ثم ابتسمت لها قائلة: "لست معتادة على هذا. أتمنى لو أنني في المنزل". قالت ذلك بصراحة، فأومأت دايزي برأسها.

"أعرف. تستطيع أن تكون حقيرة جداً. تتصرف هكذا مع بابا كثيراً".

"لا بد من أن الأمر صعب عليك". قالت سافاناه بتعاطف، فيما هزّت دايزي كتفها.

"والدي دوماً لطيف معي، ومع أخويّ. أتمنى أن تبقي هنا". ثم ابتسمت لسافاناه وعانقتها.

فقالت سافاناه من دون التزام: "سنرى ماذا سيحصل". لكنها لم تستطع تخيل أن تبقى الأمور على ما هي عليه مدّة الأشهر الثلاثة المقبلة؛ لحين انتهاء المحاكمة، أو حتى مدة أربعة أشهر إذا استغرقت المحاكمة وقتاً طويلاً، وربما هذا ما سيحصل. تبدو محاكمة معقدة بالنسبة إليها.

وفيما جلست الفتاتان وهما تتحدثان في غرفة سافاناه، كان طوم ولويزا غارقين في معركة في غرفتهما.

صرخ طوم: "ما الذي تفكرين فيه؟ كيف تقولين مثل هذه الأمور أمام دايزي وسافاناه. كيف يمكنك أن تهددي فتاة عمرها سبعة عشر عاماً؟".

فصرخت لويزا في وجهه: "لا أريدها هنا! إنها نتيجة خطأ ارتكبته، ولا أريد أن أراها في منزلي". بدا غضبها ناشئاً عن دوافع أخلاقية، لكنه حدّق إليها مذهولاً.

"هل أنت مجنونة؟ لا يمكنك إعادة كتابة التاريخ معي لويزا. كنت موجوداً. أنت من تخلى عني وعن الصبيين. فلقد طلقتني، وتركتهما، وتزوجت من شخص آخر يملك مالاً أكثر مني. تزوجت من ألكسا فيما كنت متزوجة منه، وتنفقين ماله بسعادة في دالاس، ولم تهتمي بأمرنا؛ أنا وولديك قطّ. لم تهتمي بي إلى أن مات، وقررت أنك تريدين استعادة حياتك الماضية، الله يعلم لماذا. ربما لأنك شعرت بالوحدة، لكنك لم تكوني طبعاً بحاجة إلى المال. ثم جعلتني أقيم علاقة معك، وكنت غبياً بما فيه الكفاية للوقوع في شركك، إلى أن حملتِ وبكيت أمام أمي وأخبرتها أنه لا يجوز أن أجعلك تنجبين طفلاً غير شرعي، وشعرت في الواقع بالأسف عليك، وتركت المرأة التي أحببتها من أجلك. سافاناه هي نتيجة زواج محترم بامرأة مذهلة كانت رائعة مع ولديك، وكنت أنا غبياً بما فيه الكفاية للتخلي عنها من أجلك، لأكون *صاحب شرف*. كان ما قمت به حماقة، وكنت أحمق لتورّطي في زواج كهذا. وسمحت لك بإجباري على إبقاء سافاناه بعيدة عني عشرة أعوام، وذلك لجعلك سعيدة. أبعدت ابنتي. أستغرب أنها تتكلم معي. والآن، وقد أصبحت حياتها في خطر، وأحضرتها إلى هنا مدّة ثلاثة أشهر، ها أنت تتصرفين بحقارة معها، وتهينينني كما لو أنها *خطأ* ارتكبته مع ساقطة فيما كنت أخونك. أنت من تخلى عنا لويزا، بكل بساطة وصراحة. ولن أتخلى عن ابنتي مجدداً لجعلك سعيدة. ما فعلته بأمها كان سيئاً كفاية".

قالت لويزا بجفاف: "إذا كنت آسفاً بشأن ذلك، عد إليها".

"ليست هذه المسألة. لقد كنت محترماً معك، لكنني لم أكن هكذا قطّ معها. نعرف ذلك جميعاً، وأنت تعرفين الحقيقة أكثر من سواكِ، ولذلك اسكتي وتصرفي بتهذيب مع سافاناه، وإلا ستواجهين مشكلة كبيرة معي". ومن دون أيّ كلمة أخرى، وقبل أن تجيب لويزا، خرج مسرعاً من الغرفة، وأغلق الباب وراءه بقوّة. سمعت الفتاتان شجارهما من حيث كانتا تجلسان في غرفة سافاناه، لكنهما لم تعلّقا على ذلك. عرفتا محور الشجار، وسببه. إنها المرة الأولى منذ زمن طويل، لا بل الأولى على الإطلاق، التي يواجه فيها طوم لويزا هكذا، وكانت هي غاضبة، لكنها لم تتابع الشجار أكثر وبقيت في غرفتها.

عاد إلى مكتبه، واتصل بابنه البكر، ودعاه للمجيء مع خطيبته سكارلت، لتناول العشاء. وكان طوم قد أخبر ترايفيس هذا الصباح في المصرف أن سافاناه موجودة هنا. تفاجأ ترايفيس، فيما شرح له والده الأمر. وأدرك بسهولة مدى انزعاج أمه من الأمر. إذ لم يُسمح له بذكر ألكسا أو سافاناه طوال عشرة أعوام، ولطالما شعر بالذنب لأنّه لم يبقَ على اتصال بهما. حاول لبعض الوقت القيام بذلك، ثم أهمل المسألة، وعرف أن أخاه قد فعل الشيء نفسه. كان عمر ترايفيس خمسة عشر عاماً حين غادرت ألكسا. كان صغيراً، لكنه أحبها لأنها كانت طيبة معه، ما جعله يشعر بالسوء أكثر. أوضحت له أمه أن أي اتصال بها سيتم اعتباره خيانة لأمه *الحقيقية*، وكان صغيراً كفاية للمواجهة. أصبح عمره الآن خمسة وعشرين عاماً، ويعمل في مصرف والده في المدينة، وينوي الزواج في شهر حزيران/يونيو، من فتاة متحدرة من عائلة مرموقة في تشارلستون، تشبث أسلافها بالكونفدرالية أكثر من أسلافه. هناك جنرالات في عائلتها أكثر مما توجد أشجار سنديان في أرضه. إنها فتاة جميلة ولطيفة، تعمل ممرضة، وهو مغرم جداً بها. أحب حقيقة كونها تعمل، ومدى تواضعها بالرغم من شهرة عائلتها وثرائها. أرادت الاستمرار في ممارسة مهنة التمريض إلى حين إنجاب الأطفال، الأمر الذي اعتبرته أمه سخيفاً. إذ

رأت أنــه من غير اللائق أن تكون زوجة بومونت ممرضة. أما ترايفيس فكان مسروراً جداً بذلك، ودعم قرار سكارلت.

بــدا والــده متوتراً وتعيساً حين اتصل به ودعاه مع سكارلت لتناول العــشاء، وقال له بصراحة: "الأمور مضطربة قليلاً هنا. أمك غاضبة من ســافاناه؛ غاضــبة جداً. تعرف كيف هي". يعرف ترايفيس نوبات غضبها الــشديدة جيداً. إنها تفجرها في كل مناسبة تقريباً، بالرغم من أنه اعتقد أن هــذه النوبة ستكون مختلفة. الشيء الوحيد الأسوأ، برأيها، هو إعادة ألكسا بــدلاً مــن ابنتها. لكن وجود سافاناه هنا سيئ بما فيه الكفاية حسب رأيها. اســتطاع ترايفيس أن يتخيل بسهولة فظاعة الجو السائد في المنزل حالياً، وشــعر بالأســف علــى والده. "فكرت أنك إذا جئت مع سكارلت لتناول العشاء، فقد ينصرف انتباهها عنها قليلاً، وتهدأ الأجواء".

"طبعاً بابا. سأرى ما هي مشاريع سكارلت. تركت العمل قبل ساعة. سأتــصل بــك مجــدداً". وهكذا فعل، وقال إنهما سيحضران عند الساعة الــسابعة والنــصف، أي في الوقت المناسب لتناول العشاء، واتصل طوم بالطاهــية لإخــبارها بذلك بعدما شكر ابنه كثيراً. وأخبر سافاناه ودايزي بالأمر حين مرّ أمام غرفة سافاناه بعد قليل، ووجد الفتاتين هناك، تتكلمان. تحمست دايزي لرؤية أخيها وخطيبته.

وطمأنت دايزي سافاناه قائلة: "ستحبينها. إنها لطيفة فعلاً. وترايفيس رائع". بالكاد تتذكره سافاناه بعد أحد عشر عاماً تقريباً. كانت السادسة من عمرها حين رأته للمرة الأخيرة.

نــزلت الفــتاتان إلى العشاء معاً في تمام السابعة والنصف، أي في الــوقت الــذي دخــل فيه ترايفيس وسكارلت. كانت سكارلت فتاة جميلة، شعرها أسود طويل، بينما كان ترايفيس نسخة عن والده، وإنما أكثر شباباً ووســامة. كــان الاثــنان يرتديان الجينز وكنزة صوفية، الأمر الذي بدا مسموحاً. أما سافاناه فقد ارتدت تنورة وكنزة، وانتعلت حذاء عالي الكعب، وبــدت مــرتبة جــداً. ولمع شعرها الأشقر الطويل بعدما مشطته. وكانت

دايــزي تــرتدي بذلتها المدرسية وتنتعل خفاً. بينما خلع طوم سترته ورفع كمّي قميصه، ما جعل العشاء عند آل بومونت يبدو غير رسمي.

عرّف طوم ترايفيس بسافاناه، ووقف الاثنان وهما يبتسمان لبعضهما بخجــل. أراد ترايفيس أن يقول إنها كانت صغيرة شقية في آخر مرة رآها فــيها، إلا أنه لم يقل ذلك، لكن رؤيتها ذكّرته تماماً بأمها، مثلما حصل مع الجمــيع. إنهــا نــسخة عن ألكسا. تحدثت سافاناه إلى سكارلت بعفوية في انــتظار الانــتهاء من تحضير طاولة العشاء، وتحدثت سكارلت عن مدى انــشغال أمهــا بالــزفاف الذي سيكون كبيراً. قالت إنهم سيدعون ثمانمئة شخص، أي معظم سكان تشارلستون تقريباً.

وفيما كانتا تتحدثان، نزلت لويزا على الدرج، ودخلت غرفة الجلوس، وذهلت لدى رؤيتها ابنها البكر مع خطيبته.

ســألت لويزا: "ما هذا؟". وكانت تخشى أن يكون طوم قد نظّم حفلة عشاء للاحتفال بسافاناه من دون أن يخبرها.

فقــال طــوم بسرعة: "اتصل ترايفيس وقال إنه يريد المجيء لتناول العــشاء". ولــم تصدقه لويزا. "لم أظن أنك ستعارضين. حصل الأمر قبل نــصف ساعة، وكنت ترتاحين". عرفا أنها لم تكن ترتاح، فهما لا يتحدّثان إلى بعضهما الآن، إلا أمام الآخرين. إذ لا يزالان غاضبين من بعضهما.

فقالــت لويزا وهي تندفع نحوهما: "طبعاً أنا مسرورة لرؤية ترايفيس وســكارلت". كان الغضب لا يزال يبدو واضحاً في عينيها، لكنها ابتسمت ابتــسامة عريــضة وهي تعانقهما وتتحدّث إليهما، متجاهلة سافاناه تماماً، الأمر الذي أراحها. إذ إنّها لا ترغب أبداً في التحدث إلى لويزا.

انــتقلوا إلى غرفة الطعام لتناول العشاء، وجلست لويزا بين زوجها وابنها. وضعت سكارلت قرب ترايفيس، ودايزي قرب والدها، لتذكره ربما مــن تكــون ابنــته *الحقيقية*، وجعلت سافاناه تجلس بين سكارلت ودايزي بمجرد الإشارة إلى الكرسي وعدم قول أي شيء. كانت سافاناه تدرك تماماً أنــه لــو استطاعت لويزا وضعها في المرآب، أو في منزل شخص آخر،

لفعلـــت. لكن سافاناه أمضت وقتاً ممتعاً في التحدث إلى سكارلت ودايزي. أحبت سكارلت كثيراً، مثلما أخبرتها دايزي. إنها لطيفة، وحنون، ومهذبة، ومتواضـــعة وغير متبجحة. وهي ممرضة متخصصة بالأورام. عملت مع أشخاص مصابين بالسرطان، وقالت إنها تحب عملها. كان ترايفيس فخوراً جـــداً بهـــا، وبدا سعيداً جداً. تحدثوا عن الزفاف كثيراً خلال العشاء. وبدا واضـــحاً أن لويزا متحمسة له. كانوا سيقيمون عشاء قبل الزواج لثلاثمئة شخص في ناديهم، وستكون دايزي فتاة الشرف لسكارلت. حجزت سكارلت فـــستاناً لهـــا مـــن بادجلي ميشكا، وسوف تتولى فيرا وانغ خياطة فساتين الإشبينات. تنوي أمها ارتداء فستان ومعطف من "الساتان" البني الأنيق من تـــصميم أوسكار دو لا رنتا. ولم تخبر لويزا أحداً بما تنوي ارتداءه، لكن دايـــزي عرفت ذلك لأنها رأت الثوب في خزانتها. تنوي أمها ارتداء اللون الأحمر.

بـــدا الجمـــيع مسترخياً خلال العشاء، وكانت خطة طوم بأن يحضر تـــرايفيس إلـــى المنزل جيدة. بدت لويزا لينة قليلاً في نهاية العشاء، وأقل غـــضباً. لم تقل شيئاً لطوم بعدما غادر ترايفيس وسكارلت، لكنها لم تصدر علـــى الأقل تعليقات شريرة. عادت إلى غرفتها، وأغلقت هذه المرة الباب بـــبطء وليس بقوة. أما طوم فقد تمنى لابنته ليلة سعيدة، وعاد إلى مكتبه، حيث نقل أغراضه، فيما ذهبت دايزي إلى غرفتها لإنهاء فروضها المنزلية بعد أن وعدت سافاناه هامسة أنها ستنام في غرفتها مجدداً تلك الليلة كي لا تخـــاف. ذهـــبت سافاناه إلى غرفتها، وانهارت على السرير مصدرة أنيناً. تطلّب منها التواجد هنا الكثير من العمل. وستبدأ مدرستها غداً.

اتـــصلت بأمها، وأخبرتها أنها التقت ترايفيس وسكارلت، وأنهما كانا لطيفين معها فعلاً. تحدثت سافاناه إلى ألكسا لبعض الوقت لأنّ هذه الأخيرة كانـــت مـــشغولة جداً. ومثلما وعدت، جاءت دايزي إلى غرفة سافاناه عند الـــساعة العاشـــرة مـــساء، وتسللت إلى سريرها. تمنت لها أمها قبلاً ليلة سعيدة، وبالتالي فإن الطريق مفتوح.

أمـــسكت الفـــتاتان بـــيدَيْ بعضهما بعدما تحدثتا لبضع دقائق، وهذه امـــرة، نامتا بسرعة أكبر من الليلة الفائتة. بالنسبة إلى سافاناه، كان اليوم الأول صعباً جداً.

الفصل التاسع

كانت سافاناه متوترة حين أوصلها والدها إلى ثانوية انغلند في اليوم التالي. لقد غادرت دايزي في حافلة المدرسة حين انطلق طوم وسافاناه. أمّا لويزا فقد بقيت في غرفتها، مثلما تفعل دوماً. تناولت سافاناه بسرعة القليل من حبوب الفطور، وفي تمام الساعة الثامنة صباحاً كانت حاضرة، ومنتظرة والدها.

لم تتحدث كثيراً في الطريق إلى مارك كليرك إكسبرس واي. وكانت قلقة بوضوح، فيما حاول والدها طمأنتها. حين وصلا إلى جزيرة دانيال والحرم المدرسي الممتد على مساحة خمسين أكراً في *سفن فارمز درايف*، ركن طوم سيارته في المرأب، ورافقها إلى مكتب المدير الذي هنّأها على علاماتها الجيدة في نيويورك، ورحب بها في المدرسة. أعطتها مساعدة المدير جدول الحصص الذي بدا منطقياً بالنسبة إلى سافاناه، وعرضت عليها مرافقتها إلى صفها لحضور الحصّة الأولى، فقبّلت سافاناه والدها بسرعة وهي تودّعه.

كانت المدرسة أكبر بكثير من تلك التي تذهب إليها في نيويورك، وبدت مثل المدارس التي تراها في الأفلام، مع أمتار من خزانات الطلاب في كل ردهة. وكان هناك طلاب مجتمعين في مجموعات صغيرة، وهم يحملون الكتب في أيديهم، ثم ضحكوا وأسرعوا إلى الصف. نظر إليها بعض الشبان وتأملوا جسمها النحيل وشعرها الأشقر الطويل. وكانت قد ارتدت سروال الجينز لأنهم قالوا إنه مسموح به، وقميصاً تدلى فوق السروال، مع كنزة فريقها لكرة الطائرة في نيويورك، وانتعلت حذاء

"كونفرس". عرفت أن الوقت قد تأخر جداً للانضمام إلى الفريق هنا، لكنها أملت في المشاركة في الألعاب الرياضية إذا أتيحت لها الفرصة.

كانت الحصة الأولى في جدول الحصص مخصّصة للغة الفرنسية. وكانت سافاناه قد حضرت صفوفاً للغة الفرنسية في نيويورك، وحصلت على علامات جيدة فيها. كانت المعلمة تقرأ مقطعاً من كتاب عندما جلست سافاناه على مقعدها. نظرت إليها المعلمة بسرعة، وبدت منزعجة قليلاً من المقاطعة، ثم أومأت برأسها وتابعت. يوجد ثلاثون تلميذاً في الصف، وبدا معظمهم ضجراً. استمر الصف اثنتين وخمسين دقيقة. وحين رنّ الجرس، توجه الجميع نحو الباب بعد أن أعطتهم المعلمة فروضهم. ابتسمت لها المعلمة وهي تغادر، فيما تجولت سافاناه في البهو. لقد حصلت على خريطة، لكنّ كل شيء مربك ولا تعرف أبداً أين هي الآن. كانت تقلّب الخريطة، وهي لا تزال تحمل الكتب بين يديها، حين جاءت إليها فتاة ذات شعر أحمر ساطع مربوط إلى الخلف ويوجد نمش على وجهها، وابتسمت لها.

"تبدين وكأنك تائهة. هل أستطيع المساعدة؟". ومثل جميع الأشخاص الآخرين، باستثناء سافاناه، كانت لكنة الفتاة جنوبية ثقيلة.

قالت وهي تعطي صاحبة الشعر الأحمر الخريطة: "أظن أنّ لديّ الآن صف تاريخ. شكراً".

شرحت الفتاة: "أنت لست في الطابق الصحيح. صفك في الطابق العلوي، مباشرة فوق رأسينا، والسيد أرمسترونغ مقرف. إنه يعطي الكثير من الفروض المنزلية، ورائحة نَفَسه كريهة. من أين أنت؟". كانت لا تزال تبتسم، وشعرت سافاناه بالامتنان لها لمساعدتها إيّاها. لم يسألها أي شخص آخر إن كانت بحاجة إلى المساعدة، بالرغم من أن عدداً من الشبان كانوا يحدقون إليها من حيث كانوا يقفون في البهو أمام خزائنهم، ورأت سافاناه أنهم ظرفاء. لم يكن لديها صديق مقرّب منذ نهاية السنة الثانوية الأولى. إنها تخرج فقط مع أصدقاء عاديين. وعرفت أنها لو اضطرت إلى ترك صديق مقرب في نيويورك للمجيء إلى هنا، لكان الأمر أسوأ.

"أنـــا مـــن هنا. ولدت هنا، لكنني عشت في نيويورك مدّة عشرة أعوام".

ابتــسمت الفتاة ابتسامة عريضة. "أهلاً بك مجدداً. عليّ الصعود إلى الطابق العلوي على كل حال. سأرافقك. لديّ صف كيمياء. أرسب دوماً في هــذه المـــادة، وأنا أتحرق شوقاً للانتهاء من المدرسة. سآخذ سنة إجازة". أومـــأت سافاناه برأسها فيما أسرعتا على الدرج. كانت الفتاة ترتدي كنزة قطنـــية وســـروال جينز، وكذلك فعل معظم الشبان. ليس الأمر مختلفاً عن نـــيويورك، بالرغم من شعورها بأنها في غير مكانها نوعاً ما، كما لو أن هناك يافطة فوق رأسها تقول: "أنا جديدة". سألتها الفتاة: "لماذا عدت؟".

"جئت للإقامة مع أبي حتى نهاية السنة الدراسية. أعيش مع أمي في نـــيويورك". لا تـــريد القول إنها هنا لأن حياتها في خطر. إذ لا يجدر بها مشاركة هذه المعلومة مع الآخرين، وخصوصاً إن كانت لا تعرفهم.

قالـــت الفـــتاة وهي تبتسم ابتسامة عريضة: "إذا كنت تتشاجرين مع أمـــك، فأنـــا أعرف كل شيء عن هذا. فأنا أتشاجر مع أمي مثل القططة والكـــلاب، لكنني أحبها كثيراً، ليباركها الله. أستطيع خداع أبي، لكن أمي حاذقة". لم تستطع سافاناه منع نفسها من الضحك. "هل أمك مثلها؟".

"لا، أمـــي في الواقع رائعة. لكننا رأينا أنه من الجيد بالنسبة إليّ أن أزور أبي، وأمضي معه بعض الوقت". بدا الأمر مريباً حتى بالنسبة إليها، لكنها لم تعرف ماذا تقول سوى ذلك.

"بالمناســبة مـــا اسمك؟". وشعرت بالفضول بشأن الفتاة القادمة من نـــيويورك. إذ كانـــت تـــبدو أنيقة حتى في الكنزة القطنية وسروال الجينز اللذين ترتديهما.

"سافاناه بومونت. وأنت؟".

"جولـــيان بتيغرو. كان جد جدي جنرالاً أو شيئاً من هذا القبيل. يبدو الأمـــر مضجراً بالنسبة إليّ. أتعب من كل هذه التفاهات. جدتي في اتحاد الكونفدرالية للفتيات، وتذهب إلى حفلات الشاي طوال الوقت". لا يعجبها ما

تفعله جدتها لكنها ذكرته في معرض الحديث لا أكثر ولا أقل. وجعل ذلك سافاناه تفكر في جدتها؛ والدة أبيها.

في ذلك الحين، كانت جوليان قد أوصلت سافاناه إلى صفها، ووعدتها بـــرؤيتها لاحقاً. قالت إنها ستكون في الكافيتريا عند الساعة الثانية عشرة والنـــصف، ودعت سافاناه للانضمام إليها. ألقت سافاناه نظرة سريعة على جدول حصصها، ووجدت أنه ليس لديها صف في ذلك الوقت، وقالت إنها ستحاول العثور عليها.

ثـــم قالـــت سافاناه: "شكراً على المساعدة. أراك لاحقاً". واختفت في صـــفها. كان عدد التلاميذ في صف التاريخ ضعف عدد التلاميذ في صف اللغة الفرنسية. جلست سافاناه على المقعد الخلفي في الصف الأخير، وراء صـــف مـــن الشبان الذين مرروا ملاحظات إلى بعضهم بعضاً متجاهلين الأســـتاذ بالكامـــل. أمـــا الأســـتاذ فقد فعل بالضبط ما قالته عنه جوليان، وأعطاهم الكثير من الفروض المنزلية.

بعـــد ذلك، حضرت صفين آخرين: صفاً في مادّة الإنشاء الإنكليزي، وصـــفاً في مادّة الاجتماعيات، ثم كانت هناك استراحة. وبعدها، حلّ وقت الغداء، فعثرت على طريقها إلى "الكافيتريا"، لكنها لم تجد صديقتها الجديدة. طلب منها شابان أن تجلس معهما، لكنها شعرت بالغرابة لأنها لا تعرفهما. وكانـــت تتناول اللبن وسلطة فاكهة وتشرب قنينة من عصير البرتقال حين وجدتها جوليان.

قالـــت ســـافاناه وقد بدا عليها السرور لرؤية جوليان: "كنت محقة". فالعثور على شخص ما في "الكافيتريا" هو أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قـــش. إذ إنّ هناك مئات التلاميذ الذين يتحركون، أو يجلسون إلى طاولات كبيـــرة وصغيرة، وكان مستوى الضجيج هائلاً. "أرمسترونغ يعطي الكثير من الفروض المنزلية".

"أخبـــرتك. حـــصلت على علامة "دي" في الكيمياء مجدداً. ستقتلني أمـــي. تـــصرّ كثيراً على العلامات الجيدة، بالرغم من أنها لم تذهب إلى

الجامعة قط. فهي تذهب فقط إلى حفلات الغداء وتلعب البريدج مع أصدقائها. ولا حاجة إلى الذهاب إلى الجامعة من أجل ذلك". أومأت سافاناه برأسها، ولم تخبرها أن أمها محامية، لأن الأمر سيبدو اعتزازاً كبيراً.

"والدي طبيب؛ طبيب أطفال". أومأت سافاناه برأسها مجدداً.

وجدنا طاولة، وجلستا إليها، فانضمّت إليهما مجموعة من الفتيات والشبان. يبدو أن جوليان تملك شعبية، وتعرف كل شخص في المدرسة. في منتصف فترة الغداء، اعترفت لسافاناه أنّ لديها صديقاً مقرباً. إنه قائد فريق كرة القدم، وهذا مهم كثيراً.

كان جميع الجالسين إلى الطاولة يحضرون الخطط لعطلة نهاية الأسبوع، ويتحدثون عن مباراة "البايسبول" ليلة الجمعة، ويسألون عن الأصدقاء، ويتبادلون أرقام الهاتف ويخبرون الأخبار. إنها مجموعة حيوية. وشعرت سافاناه قليلاً أنها بعيدة عنهم، ولذلك اكتفت بالإصغاء. كانت واثقة جداً من نفسها في نيويورك، ولكنها شعرت بالارتباك هنا، بوجود الكثير من الأسماء والوجوه الجديدة، وفي مدرسة بمثل هذه الضخامة.

كانت تشعر ببعض الدوار تقريباً حين جاء والدها لاصطحابها عند الساعة الثالثة. أعطتها جوليان وفتاتان أخريان أرقام هواتفهن، وهذه بداية جيدة، لكنها شعرت بالكثير من الخجل للاتصال بهنّ.

سألها والدها حين صعدت إلى السيارة: "كيف كان نهارك؟". ورأى أنها متعبة وغير مرتاحة.

"كان مربكاً نوعاً ما. ولكن، لا بأس. التقيت أشخاصاً لطفاء. هناك الكثير منهم، ويصعب التواجد فجأة في صفوف جديدة وأمام أساتذة جدد. معظم المواد مألوفة بالنسبة إليّ، وليست مختلفة كثيراً عما كنت أدرسه في نيويورك، باستثناء صف الاجتماعيات، الذي يتحدث فقط عن الجنوب والتاريخ الجنوبي. لا تزال الكونفدرالية حية بقوة في تشارلستون. أظن أن الأمر، لم يكن سيئاً نظراً إلى أنه أول يوم". قالت بصراحة، وأومأ والدها برأسه فيما توجها إلى المنزل.

"ألديك الكثير من الفروض المنزلية؟". سألها باهتمام. إنه مهتم كثيراً لأمرها، أكثر مما توقعت، وتأثرت بذلك.

"كما في نيويورك تقريباً. نحن جميعاً في المرحلة النهائية، وفي انتظار سماع الأخبار من الجامعات. عليك التصرف بحماقة كبيرة جداً لإفساد الأمور في الفصل الأخير. تصبح الأمور مريحة جداً بدءاً من هنا".

ضحك فيما قالت ذلك.

"أنا واثق من أنهم سيسعدون لسماع ذلك".

"إنهم يعرفون هذا. فليس لدينا امتحانات نهائية في نهاية السنة الثانوية الأخيرة في نيويورك. عليك فقط أن تنجح في علامات الفروض". لن تسمع أخباراً عن قبولها في الجامعات قبل شهر آذار/مارس، أو حتى شهر نيسان/أبريل، ولذلك ليست قلقة الآن بشأن ذلك.

وصلا إلى المنزل بعد خمس دقائق، فأنزلها والدها، ثم عاد إلى المصرف بعد أن قال إنه سيراها لاحقاً. ذهبت إلى المطبخ لتناول وجبة خفيفة، ولم يكن هناك أحد. فالسيدتان اللتان تجلسان عادة في المطبخ تركتا ملاحظة كتبتا فيها أنهما ذهبتا لابتياع بعض الأغراض، ولم يكن هناك أثر لدايزي أو لويزا. صعدت سافاناه إلى غرفتها في الأعلى وهي تحمل تفاحة في يدها وعلبة كولا في الأخرى، فيما خرجت دايزي من غرفتها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة. عرفت أن أمها خارج المنزل، ولذلك تستطيع الآن وضع ذراعيها حول خصر سافاناه.

"كيف كانت المدرسة؟". سألت وهي تلحق بسافاناه إلى غرفتها، حيث وضعت هذه الأخيرة كتبها وقضمت التفاحة.

اعترفت سافاناه: "كانت مخيفة نوعاً ما". كان يسهل قول ذلك لها أكثر من قوله لوالدها. "هنالك الكثير من الأشخاص الجدد".

"هل هناك أساتذة حقيرون؟". سألت دايزي بتعاطف فيما ألقت بنفسها على سرير سافاناه وراقبتها.

"لا. وإنما هم فقط مختلفون". ثم تذكرت شيئاً أرادت أن تسأل دايزي عنه. فلقد باتت الآن مستشارتها الرسمية في ما يتعلّق بالأعراف المحلية. "ما قصة عبارة *فليباركه الله* التي يقولها الجميع؟ هناك دوماً عبارة *فليباركه الله*". بدا الأمر غريباً قليلاً بالنسبة إليها، وضحكت دايزي بصوت عالٍ حين قالت سافاناه ذلك.

"يعني ذلك أنهم يكرهون الشخص المعني. في البداية، تقولين شيئاً حقيراً فعلاً عن شخص ما، ثم تقولين مباشرة بعد ذلك *فليباركه الله*. تفعل أمي ذلك طوال الوقت، وكذلك جدتي. نسمي هذا هنا *التجريح المهذب*". ضحكت سافاناه أيضاً. قالت جوليان ذلك عن أمها. "إذا قلت *فليباركك الله* مباشرة في وجه شخص ما، فهذا يعني أنك تكرهينه فعلاً فعلاً. تفعل أمي ذلك أيضاً". يسهل على سافاناه التصديق الآن بأنها تفعل ذلك.

بعد ذلك، سمعتا صوت الباب الرئيس للمنزل يغلق بقوة، فركضت دايزي إلى غرفتها، في حال كانت أمها. إذ لم تكن تريد أن تراهما أمها معاً. سمعت سافاناه صوت باب غرفة نوم لويزا يغلق مباشرة بعد ذلك، وسرّت لأن دايزي غادرت. سيجنّ جنون لويزا إذا عرفت أنهما صديقتان مقرّبتان، وأنهما تنامان في غرفة سافاناه ليلاً.

اتصلت ألكسا بسافاناه بعد وقت قصير وسألتها عن المدرسة، فأخبرتها سافاناه كل شيء. قالت إنها تعرفت إلى صديقة، نوعاً ما. وبحكم العادة، سألتها أمها عن اسمها، فأخبرتها سافاناه. ساد صمت في الطرف الآخر فيما استوعبت ألكسا ما قالته لها ابنتها.

قالت أخيراً، وهي تجلس أمام مكتبها في نيويورك، ونظرة غريبة تبدو على وجهها: "هذا غريب". واستطاعت سافاناه ملاحظة شيء ما في صوتها.

"ما الغريب؟".

"لا بد أنه يوجد ألف تلميذ في المدرسة، وعثرت على ابنة المرأة التي كانت أفضل صديقة لي طوال الأعوام التي عشتها في تشارلستون. فعلت

الشيء نفسه. تعرفت إليّ ما إن انتقلت إلى هناك، وساعدتني في كل شيء، وعلّمتني القواعد. كانت مثل أختي". خفت صوت ألكسا فيما أصغت إليها سافاناه. عرفت أن هناك المزيد؛ فهي تعرف أمها.

"وماذا حصل؟".

"زعمت أنها ستبقى مخلصة لي حين أخبرني والدك أنه سيطلّقني، وأننا سنبقى صديقتين إلى الأبد. ولكن، بعد أن غادرت، لم يصلني شيء منها. فلقد توقفت عن الكتابة إليّ، ولم تردّ على اتصالاتي. وحسبما سمعت أخيراً، أصبحت هي ولويزا صديقتين حميمتين. فهما جنوبيتان جداً. انتبهي كي لا يتحطم قلبك هناك أنت أيضاً. فكل شيء زائف".

صرخت سافاناه: "لا تكوني هكذا ماما. يوجد مثل هؤلاء الأشخاص في نيويورك أيضاً. الأشخاص ودودون هنا، بعضهم كذلك على الأقل". كانت تفكر في لويزا حينها، التي لم تكن ودودة، ولم تكشف حتماً عن أي ضيافة جنوبية في تعاملها مع سافاناه. "هناك أشخاص حقيقيون، وآخرون زائفون في كل مكان. ليس للأمر علاقة بالجنوب أو الشمال". إنها محقة، لكن ألكسا لا تريد سماع ذلك.

"لم يتصل بي أي من أولئك الأشخاص حين عدت إلى نيويورك. ولم أسمع أي كلمة منهم مجدداً، بعد سبع سنوات من الاعتقاد بأنهم أفضل أصدقائي. لا أملك أي ذكرى جيدة عن تلك السنوات؛ إلا أنت". ابتسمت ألكسا بحزن. "وأشتاق إليك كثيراً. مضى على رحيلك يومان، وبالكاد أستطيع تحمل الأمر".

"نعم، أعرف. وأنا أيضاً. أشعر وكأن الأمر سيستمر إلى الأبد. متى ستأتين؟".

"ليس في عطلة نهاية هذا الأسبوع. هذا أفضل ما أستطيع القيام به. هذه القضية صعبة جداً". كانت مرهقة، واستطاعت سافاناه ملاحظة ذلك.

"كيف كانت صفوفك؟".

"مـضجرة. سأتخطى الأمر". حاولت طمأنتها، إذ بدت أمها متوترة. وعرفت أن أمها تخشى المجيء إلى تشارلستون، لكنها مستعدة للذهاب إلى أي مكان من أجل ابنتها. وتحمست سافاناه لقدومها.

قبل العشاء، اتصلت بها جوليان على هاتفها الخلوي. وكانت قد اكتشفت الشيء نفسه الذي اكتشفته سافاناه، أي أن أميهما كانتا أفضل صديقتين في صغرهما. "طلبت إليّ أمي أن أقول لك إنها ترسل تحياتها إلى أمك، فليباركها الله". قالت جوليان ذلك، وتوجب على سافاناه السيطرة على نفسها كي لا تضحك. وأرادت أن تقول لها إن هذا يعني أن والدة جوليان تكره والدتها. لكن ألكسا كانت ستقول الشيء نفسه لو كانت هذه العبارة من عباراتها. ولكن، بما أنها من نيويورك، فقد تحلت بصراحة أكبر وقالت عن والدة جوليان إنها خائنة.

تحدثت الفتاتان لدقائق قليلة، واتفقتا على اللقاء في المدرسة في اليوم التالي. ثم بدأت سافاناه بإنجاز فروضها المنزلية، وكانت قد انتهت للتو من مادة التاريخ حين حلّ موعد العشاء.

من دون ترايفيس وسكارلت، كان الحديث موجزاً في تلك الليلة. تحدثت لويزا إلى ابنتها، لكنها تجاهلت سافاناه وزوجها. فيما تحدث طوم إليهنّ جميعاً. أما دايزي فقد تحدثت إلى والديها فقط، ولم تجرؤ سافاناه على التحدث إطلاقاً، إذ رأت أنه من الأفضل عدم فعل ذلك.

بعد ذلك، جاء والدها لرؤيتها في غرفتها. كانت توزع كتبها في كل مكان، وتعمل على جهاز "الكمبيوتر"، وترسل الرسائل الإلكترونية إلى أصدقائها في نيويورك، لتخبرهم عن تشارلستون. لم تشرح لأحد سبب رحيلها، فلقد طلبت منها أمها ألا تفعل ذلك. قالت لهم فقط إنها ستعود قريباً، وإنها في غاية الشوق إليهم، وإنها تزور والدها في تشارلستون. لم تخبرهم أنها غيرت المدرسة. وارتاحت لأنها ستكون معهم في حفل التخرج. يمكنها على الأقل توديعهم جميعاً عندئذ، قبل أن يغادروا إلى

الجامعات. بالنسبة إليها، انتهت منذ الآن أيام المدرسة في نيويورك، لكن أصدقاءها لا يعرفون ذلك بعد.

سألها طوم عندما دخل الغرفة: "كيف حال الفروض المنزلية؟".

"إنني على وشك إنهائها". خطرت لها فكرة بعد الظهر وأرادت سؤاله عنها، لكنها لم تشأ التطرق إلى الموضوع خلال العشاء. فهي لا تريد قول أي شيء أمام لويزا، *فليباركها الله*. ابتسمت عندما فكرت في ذلك. "أتساءل إذا كان يجدر بي الذهاب في يوم ما لزيارة جدتي".

بدا متفاجئاً، ثم قال: "هل تريدين ذلك؟".

"أظن أنها فكرة جيدة". وأومأ برأسه. وصلت سافاناه إلى تشارلستون بصورة مفاجئة جداً بحيث لم يخطر له الأمر لغاية الآن، لكنها فكرة جيدة. إنها فتاة طيبة، وتأثر بسبب ذلك.

"سأتحدث إليها بشأن ذلك". أمه ولويزا محدودتا التفكير كثيراً، وخشي أن يؤدي اصطحاب سافاناه لزيارتها إلى تفجر الوضع مجدداً، أو حتى بصورة أسوأ. "إنها ضعيفة جداً".

"هل هي مريضة؟". بدت سافاناه متعاطفة.

"لا، وإنما هي فقط كبيرة في السن. إنها في التاسعة والثمانين من عمرها الآن". كان عمرها أربعة وأربعين عاماً حين ولد، وكان حملها مفاجأة كبيرة. لم يتمكن والداه قطّ من إنجاب الأولاد طوال اثنين وعشرين عاماً من الزواج، ثم حملت أمه به. لا تزال أمه تقول إن الأمر كان بمثابة حدث خارق.

قالت سافاناه: "إذا أرادت رؤيتي، فأنا جاهزة". فهي بالكاد تتذكرها. إنها قريبة جداً من جدتها في نيويورك، لكن جدتها في تشارلستون أخرجت نفسها تماماً من حياة سافاناه، بداعي الإخلاص للويزا. وبما أن ألكسا ليست جنوبية، وغريبة، فقد أغلقت الباب وراءهما حين غادرتا ولم تفتحه مجدداً. عرفت سافاناه أن أمها غاضبة من ذلك أيضاً، ولا تعرف كيف سيكون شعور أمها حيال زيارتها جدتها، لكنه أمر أرادت القيام به

بما أنها هنا. إنها تختبر كل جانب من جوانب الحياة في تشارلستون. هذه عائلتها أيضاً، وليست فقط عائلة والدها. بالرغم من أن قول ذلك لأمها سيجعلها تبدو خائنة، وشعرت بالقليل من الذنب حيال تفكيرها هكذا.

في اليوم التالي، مرّ طوم لزيارة أمه. كان لديه بعض وقت الفراغ، فتوجّه إلى جبل بلازانت لزيارتها. تعيش أوجيني دو بوروغار بومونت على مسافة عشر دقائق تقريباً من منزله، في قصر مهيب ممتد على مساحة ثلاثين أكراً تقريباً ومحاطاً بأشجار السنديان، مع مساكن شاسعة للعبيد لا تزال موجودة في الجهة الخلفية، وإن كانت فارغة الآن. ثمة خادمتان عجوزان تعيشان معها في المنزل، بالإضافة إلى رجل يأتي بعد الظهر لإنجاز الأعمال الصعبة. إنهم جميعاً كبار في السن بقدرها، ولا يملك أي منهم القوة أو القدرة لإبقاء منزلها الكبير نظيفاً. إنه المنزل الذي ترعرع فيه طوم، ووالده قبله.

حاول طوم مرات عدة إقناعها ببيعه، لكنها لم تقبل. كان مصدر فخرها وفرحها لسبعين عاماً خلت تقريباً.

وحين وصل، كانت تجلس على المصطبة الخلفية وهي تقرأ، وتضع شالاً من الصوف السميك حول كتفيها. وكان ثمة كوب من نقيع النعناع قربها، فيما أمسكت يداها المجعدتان بالكتاب. كانت ضعيفة، وتمشي بمساعدة عصا، ولكنها بصحة جيدة. وكانت قد ربطت شعرها الأبيض في مؤخر رأسها بشكل كعكة، مثلما تفعل دوماً. إنها الرئيسة العامة لاتحاد الكونفدرالية للفتيات، وتحمل هذا اللقب لأن جدتها حملته قبلها، وكانت مشهورة. والعديد من أسلافها الأخريات حملنه أيضاً. تحب القول إن عائلتها فخر للجنوب، وأصابها الرعب حين تزوج طوم امرأة من الشمال. كانت ألكسا لطيفة جداً معها حين تزوجا، لكنها تبقى فتاة شمالية وغير جيدة، أو أسوأ من ذلك، برأي أمه. تحمست حين عادت لويزا، وبذلت كل ما بوسعها لإقناع ابنها بالزواج منها مجدداً. تم اتخاذ القرار حين حملت

لويز بذكاء، الأمر الذي يعرف طوم الآن أنه لم يكن صدفة، وإنما خطة مدبرة من اقتراح أمه، وقد نجحت.

"أمي؟". قال بهدوء فيما مشى نحو المصطبة الخلفية. كان سمعها مثالياً، وبصرها جيداً نسبياً. تزعجها فقط ركبتاها أحياناً، لكن ذهنها حاد كما في السابق، وكذلك لسانها. لم يشأ إخافتها، لكنها نظرت إلى الأعلى، وابتسمت فيما وضعت كتابها جانباً.

"يا لها من مصادفة حسنة. ماذا تفعل هنا في منتصف اليوم؟ لماذا لا تعمل؟".

"لديّ بعض وقت الفراغ، وفكرت في أن أمرّ لزيارتك. لم آتِ إلى هنا منذ أسبوع". كان يحاول زيارتها مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً، وتأتي لويزا مرة على الأقل في الأسبوع. كانت تحرص كثيراً على ذلك، الأمر الذي يشكرها عليه طوم. وكانت دايزي تحضر معها كل بضعة أسابيع، لكن الفتاة تشعر دوماً بالضجر. فلا يوجد شيء لتقوم به هنا. "ماذا فعلت؟ هل جاء أحد لزيارتك؟". سألها بعد أن جلس. عرضت عليه المرأة التي تطهو لها الطعام فنجاناً من الشاي، لكنه رفض.

"ذهبت إلى مزين الشعر بالأمس". قالت وهي تتأرجح في كرسيها. "وجاء الأب فورباش لزيارتي يوم الأحد. إذ إنني لم أذهب إلى دار العبادة، فقلق عليّ. كانت ركبتي تؤلمني ولذلك بقيت في المنزل".

فسألها بقلق: "كيف حالها الآن؟". وكان يخاف عليها دوماً من السقوط، لأنها قد تكسر وركها، وسيكون الأمر كارثة في مثل عمرها. فهي تتمايل كثيراً على السلالم لكنها تصرّ على صعودها بمفردها بمساعدة عكازها.

"أفضل. إنه الطقس. فلقد كان الطقس رطباً يوم الأحد قبل أن تمطر". ابتسمت لابنها الوحيد. إنه ولد طيب وهي فخورة به. هكذا كان والده أيضاً. ولقد مات قبل ثلاثة أعوام في عمر الرابعة والتسعين. ومنذ ذلك الحين، تشعر أمه بالوحدة. كانت ألكسا لطيفة جداً معه أيضاً. كان رجلاً

عجوزاً صاحب حس بالفكاهة، ولم يستلطف لويزا قطّ. ولكنه على عكس زوجته، لم يتدخل قطّ في شؤون طوم. لطالما كان لوالدة طوم مليون رأي في ما يفعله، وأثرت فيه كثيراً. إنه يحترمها، أكثر حتى مما كان يحترم والده. كان والده أكثر بعداً وأكثر تحفظاً. "قالت لويزا إنك ذهبت إلى الشمال".

أكد لها: "صحيح. ذهبت للتزلج في فيرمونت".

"لم تخبرني. ظننت أن لديك بعض الأعمال في نيويورك".

"لم يكن لديّ عمل".

قرر أن يكون شجاعاً ويخبرها بما حصل. فهي تعرف أنه يرى سافاناه بضع مرات في السنة، بالرغم من أنها لا تسأله عنها أبداً، ولا يعلّق طوم على الأمر كذلك. برأي أمه، انتهى هذا الفصل من تاريخهم، وإن لم يكن مثلما تعتقد هي.

"اصطحبت سافاناه للتزلج".

"كيف حال دايزي؟". هذه طريقتها في الطلب إليه ألاّ يفاتحها بالموضوع.

"إنها بخير. تستمتع في المدرسة". ثم قرر، بشجاعة نادرة منه، ألا يختبئ وراء إصبعه. "أمي، سافاناه هنا". للحظة، لم تتفوه أمه بأي شيء، ثم نظرت مباشرة إلى عينيه وحدّق إليها بدوره.

"ماذا تقصد هنا؟ في تشارلستون؟". أومأ برأسه، وبدت فوراً غير موافقة. "يا له من شيء فظيع قمت به مع لويزا! كيف أمكنك فعل ذلك؟".

"لم يكن لديّ أي خيار. أمها هي المدعية العامة في قضية جنائية في نيويورك، والمدعى عليه يهدد سافاناه. خشيت أمها أن تكون حياتها في خطر، وأرادت إخراجها من نيويورك. لا نملك مكاناً آخر لإرسالها إليه". ساد صمت طويل فيما فكرت أمه في الأمر.

"لماذا تستلم مثل هذه القضايا؟ ليست هذه مهنة مناسبة لامرأة". تعرف أن والدة ألكسا قاضية هي الأخرى، لكنها كانت محامية في

البدء، ثم أصبحت قاضية. وهي لا تدعي على المجرمين وتعرض عائلتها للخطر.

"ذهبت إلى كلية الحقوق بعد الطلاق، وهي تعمل في مكتب النائب العام. إنها وظيفة محترمة جداً".

"ليس بالنسبة إلى امرأة". قالت أمه بفظاظة ثم أغلقت فمها. كانت تبدو مثل كسّارة الجوز حين تفعل ذلك. كانت امرأة جميلة جداً في شبابها، لكن هذا اختفى منذ زمن بعيد. فلقد أصبحت نحيلة جداً الآن، ولها وجه مثل الصقر مع جفنين متدليين وأنف حاد. استقرت شفتاها في خط رفيع، ما يعني أنها غير سعيدة. مضى وقت قبل أن تتحدث مجدداً، فيما انتظر طوم، وتساءل إذا كان يجدر به الرحيل. إذا لم تشأ رؤية سافاناه، فلن يصرّ عليها. فأمه لا تفعل إلا ما تريده، ولطالما كانت الأحوال هكذا. "لكم من الوقت ستبقى؟". قالت له أخيراً وهي عاقدة حاجبيها.

"حتى أيار/مايو أو حزيران/يونيو؛ أي إلى أن تنتهي المحاكمة". فاتسعت عيناها بشدة حين قال لها ذلك.

"لا بد من أن لويزا غاضبة جداً". لم تخبرها بشيء عن الأمر، لكنهما لم تتحدثا منذ أيام عدة.

"هذا قليل. إنها مستعدة لقتلي. لكن سافاناه فتاة لطيفة جداً". لم تقل أمه أي شيء. "إنها ابنتي، ولا أستطيع معاملتها كما لو أنني لا أدين لها بأي شيء. ليس هذا عدلاً. لم يكن يجدر بي السماح للويزا بإبعادها عن تشارلستون ورؤيتها فقط في نيويورك. إنها جزء من حياتي أيضاً، أو يفترض أن تكون كذلك. لكنها لم تكن هكذا منذ أكثر من عشرة أعوام".

"من المزعج جداً للويزا أن تكون هنا". لا تريده أوجيني أن يبقي على أي روابط مع ألكسا، تماماً مثل لويزا. فهي تعرف تماماً كم أحبها طوم، ولا تريده أن يعود إليها. لويزا زوجته. وبعد *الغلطة الصغيرة*، مثلما تسميها أمه، عادت لويزا. تريد أمه أن تبقى الأمور هكذا. لويزا فتاة جنوبية جيدة من تشارلستون، أما ألكسا فغريبة من عالم مختلف تماماً. فهي

لا تنتمي إلى هنا، وكذلك ابنتها. إنّ سافاناه ابنة طوم أيضاً، إلاّ أنّ أمّه لا تريد الاعتراف بذلك.

قال طوم بصرامة: "يتوجب على لويزا تحمل الأمر حتى انتهاء المحاكمة. إنها تدين بذلك لألكسا. اهتمت ألكسا بالصبيين طوال سبعة أعوام، حين كانت لويزا في تكساس. لن تقتلها ثلاثة أشهر". لكنها قد تقتله. بدا الأمر محتملاً.

سألته أمه: "كيف هي؟ كم عمرها الآن؟". بدا وكأنهما قد غادرتا قبل مئة عام.

"إنها في السابعة عشرة. وهي جميلة، ولطيفة، ومهذبة، ورقيقة، وذكية. تشبه أمها". تحول فم أمه إلى خط رفيع مجدداً، وقرر الاستسلام. "لست مضطرة إلى رؤيتها أمي. لن أطلب ذلك منك. أعرف شعورك حيال ذلك. لكن سافاناه اقترحت المسألة ليلة البارحة، ولذلك فكرت في ذكر الموضوع أمامك. سأقول لها ببساطة إنك توقفت عن استقبال الزوار". لم تقل أمه شيئاً، ونهض استعداداً للمغادرة، وربّت قليلاً على شعرها. إنه ابن حنون، ولطالما كان مخلصاً ومحترماً، ومطيعاً لأوامرها. وحين انحنى لتقبيل وجنتها، نظرت إليه بعينين حادتين.

وكان كل ما قالته: "أحضرها لاحتساء كوب من الشاي يوم الأحد". ثم رفعت كتابها، وعاودت القراءة. ومن دون كلمة أخرى، مشى بهدوء على المصطبة وابتعد. لقد حققت سافاناه أمنيتها. وسيجنّ جنون لويزا مرة أخرى. إنه معتاد على ذلك، وهي لم تعد تخيفه. لقد أعادت إليه زيارة سافاناه شيئاً أضاعه قبل زمن بعيد؛ لقد أعادت إليه الشجاعة.

الفصل العاشر

حين وصلت ألكسا إلى مكتبها في صباح اليوم التالي، تلقت رسالة من النائب العام جو ماكارثي يطلب منها المجيء لرؤيته فوراً. بدا الأمر مهماً. توجهت مباشرة إلى مكتبه، ولوحّت لها سكرتيرته وسمحت لها بالدخول. كان جو جالساً أمام مكتبه، وجاك معه. بدا وكأن شيئاً قد حصل. بدا الرجلان قلقين. ليس الأمر جيداً حسبما يبدو.

سألت ألكسا وهي تجلس على الكرسي الذي أشار إليه جو: "ما الخطب؟". فتطرّق جو مباشرة إلى الموضوع.

"يريد مكتب التحقيقات الفدرالي استلام قضيتنا". وبدا غير سعيد بذلك.

"أي قضية؟ قضية لوك كانتن؟". اتسعت عينا ألكسا لكنها لم تتفاجأ تماماً. إنهم يتحركون في هذا الاتجاه منذ بدء ظهور ضحاياه في ولايات أخرى. عند عبور حدود الولايات، يتدخل دوماً مكتب التحقيقات الفدرالي؛ وهم جميعاً يعرفون ذلك.

"يريدون استلام التحقيق والادعاء". أخبرها جو ماكارثي ما أخبره إيّاه جاك للتو.

"لا يمكنهم القيام بذلك. يستطيعون مساعدتنا على التحقيق في الجرائم إذا أرادوا، وهم يفعلون ذلك أصلاً. لكن ثمة وكالات محلية أخرى منخرطة في القضية. وعملية تعقب للقضية تتولاها السلطات الأمنية، عليّ الاعتراف بأنها تعمل بأقصى جهدها في الآونة الأخيرة. لكننا عثرنا على أول أربع جثث في نيويورك، واعتقلناه هنا. القضية قضيتنا". لم تكن تريد الحصول على الشهرة أو المجد، أو أن تكون هدف الصحافة، ولكنهم عملوا بكدّ على القضية،

خصوصاً جاك، وكذلك هي، ولا تريد التخلي عنها الآن. وهي مصممة على وضع كانتن وراء القضبان. "إذا أخذوا القضية منهم، فستصبح الأمور فوضوية، مع تداخل الولايات ببعضها، ومع نقله من مكان إلى آخر لمحاكمته. علينا ربط قضاياهم بقضايانا، ونحن نفعل ذلك. كل شيء مرتب جيداً. أكدنا كل تهمة موجهة ضده هنا. لا أفهم لماذا لا يقوم مكتب التحقيقات الفدرالي بالتعاون معنا في القضية. نحن لا نخفي أي شيء عنهم، ونستطيع الاستفادة من كل المساعدة التي نحصل عليها، لكنه سيكلف دافعي الضرائب ثروة إذا بدأنا بنقله إلى ثماني ولايات أخرى، ولا يريد مكتب التحقيقات الفدرالي فعل ذلك أيضاً. إنها قضيتنا". قالت ذلك من دون تردد، فابتسم لها جو.

"أحب المرأة التي تعرف ما تريده". قال وهو يبدو أقل قلقاً. "لست خائفة من هذه القضية ألكسا؟ يوجد الآن شرطي أمام شقتك، وسمعت أنك أرسلت ابنتك بعيداً. ألا تفضلين التخلي عنها؟".

قالت بهدوء: "لا، لن أفعل. أريد إنهاء ما بدأته. لوك كانتن مريض اجتماعي، وقاتل ذو دم بارد، وأريد محاكمته. لست خائفة منه. وابنتي بخير حيث هي. أشتاق إليها، ولكن لديّ الكثير من العمل بحيث لا تتسنى لي الفرصة لتمضية الوقت معها على كل حال. فلنفعل ذلك أيها الرجال. لا يمكننا أن نسمح لمكتب التحقيقات الفدرالي بأخذ القضية منا. يريدون القضية من أجل المجد. أما نحن فلا. نحن نعمل بكدّ هنا. فليساعدونا في التحقيق، ولكن نحن من سيتولى المحاكمة. نملك الحق قانونياً لأننا نحن من عثر على أولى الجثث". إنها محقة من الناحية التقنية، لكن مكتب التحقيقات الفدرالي يملك سلطة كبيرة، ويستطيع الحصول على القضية.

"سأرى ما يمكنني فعله. كيف حال التحقيق؟". لم يسأله منذ أيام عدة، إذ كان مشغولاً هو أيضاً في التشاجر مع مدير مكتب التحقيقات الفدرالي بشأن القضية.

قال جاك: "حصلنا على تطابق الدي أن أيه لدى كل ضحية تقريباً. ينقصنا اثنان ونحن ننتظر النتائج من إيلينوي".

بدا جو متفاجئاً، ثم سأل: "ولم يعترف بذنبه بعد؟!".

أجابت ألكسا: "لا".

"ماذا تقول محامية الدفاع العام؟".

قالت وهي تبتسم ابتسامة مزدرية: "إنه بريء وقام شخص ما بتوريطه".

"مع تطابقات الدي أن أيه ووجود سبع عشرة ضحية. ماذا تتعاطى؟".

"هراء. إنه جذاب جداً، وأعتقد أنه ألقى بسحر جاذبيته عليها. إنها شابة، وهو يعرف كيف يقوم بحيلته. إنه مريض اجتماعي مثالي".

"هل نملك تقييماً نفسياً له؟".

"نملك اثنين. مريض اجتماعي صرف".

"هل تعرف ذلك؟".

"نحن قيد اكتشاف ذلك الآن. إنها تملك كل ما لدينا. ليست هناك مفاجآت".

"سيكون ذلك سيئاً. ستدينه هيئة المحلفين وسيحكم عليه القاضي بالسجن لمدة ألف سنة تقريباً".

قالت ألكسا متنهّدة: "أوافقك الرأي". كانت متعبة، وإنما تنجز عملاً جيداً في القضية، ويعرف الرجلان ذلك. لطالما كانت جيدة في عملها. إنها صارمة على نحو لا يصدق، وأحب النائب العام كل ما سمعه. لم يكن يريد إبعادها عن القضية إذا كان ذلك بوسعه. سيحارب بشراسة أكبر للاحتفاظ بها؛ لقد أقنعته. إنها المحامية الملائمة للقضية. لا يمكن لأي مدعٍ فدرالي أن ينجز عملاً أفضل. قالت ألكسا بحكمة: "يريد كانتن الحصول على الشهرة في المحكمة. أعتقد أنه يحب التغطية الإعلامية".

"أكره ذلك". قال النائب العام بغضب، إذ لم يكن هناك مجال قطّ للحؤول دون حصول ذلك. أصبح لوك كانتن خبراً وطنياً الآن، وكذلك ألكسا. كانت كتومة جداً في القضية. فهي لا تريد نسف القضية بأي شيء تقوله للصحافة. تعرف ذلك جيداً، وأحب النائب العام ذلك أيضاً.

طمأنهما بأنه سيحارب بشدة للاحتفاظ بالقضية، وسيستعمل كل الوسائل المتوافرة لديه. بعد ذلك، غادر جاك وألكسا مكتبه وهما لا يزالان يشعران بالقلق.

قالت ألكسا حين توقفا أمام آلة تحضير القهوة للحصول على فنجانين من القهوة المرّة: "اللعنة، أتمنى ألاّ نخسر القضية". إنها تعيش على شرب القهوة وتناول ألواح الشوكولاتة، إذ تبقى ساهرة أمام مكتبها كل ليلة حتى منتصف الليل.

قال جاك فيما لحق بها إلى مكتبها: "أتمنى أن يستعمل نفوذه للاحتفاظ بها". لم يعد يراها كثيراً، لأنه مشغول بالعمل. لقد عاد من بيتسبورغ في اليوم السابق، إذ ذهب للمساعدة في التحقيق هناك، وتبادل المعلومات.
"عليّ القول إن هذا الحقير يبقينا مشغولين".

"هذا هو عملنا". قالت ألكسا فيما ابتسمت له، وجلست أمام مكتبها. شعرت وكأنها تعيش هنا.

سألها وهو ينظر إليها بإرهاق ويرشف قهوته: "هل سئمت منه يوماً؟".

"أحياناً. ولكن ليس هذه المرة. السرقات والأشياء التافهة هي التي تغيظني. إلا أنني أشعر على الأقل أنني مفيدة في قضية كهذه. أنا أحمي المجتمع والنساء الشابات. في حالات السرقة، أعذب اللصوص لسرقتهم سروالاً داخلياً من الطابق الأرضي في متجر مايسيز. من يهتم؟". تعرف أن هناك بعض القضايا أهم من ذلك، لكن معظمها ليس هكذا.

"بالمناسبة كيف حال سافاناه؟". تنهدت ألكسا حين سألها.

"إنها بخير. إنها مع والدها في تشارلستون. لم تحب الأمر لكنها تتقبل الأمر بروح رياضية. أشتاق إليها". إنها تشعر بالوحدة من دونها، ويعرف جاك ذلك.

"إذا استلم مكتب التحقيقات الفدرالي القضية، فسيكون باستطاعتك إعادتها". لكن ألكسا هزّت رأسها.

"لا أريدها أن تعود إلى هنا قبل أن تنتهي القضية، مهما كلف الأمر. الرجل مجنون. لا يزال بوسعه تعذيبها بسبب ما قمت به لغاية الآن، وأظن أنه سيفعل ذلك إن استطاع. أظن أنه سيتوقف عن ذلك حين تتم إدانته ويعود إلى السجن. عندئذ، ينتهي كل شيء، وهو يعرف ذلك. لكنه الآن الملك". لم يعارضها جاك الرأي. إذ يسعى كانتن إلى لفت الانتباه. رآه جاك مرات عدة في الآونة الأخيرة، ويبدو كانتن أكثر جرأة في كل مرة. إنه مفعم بالحماسة وزادت براعة محامية الدفاع العمياء وإعجابها به الأمر سوءاً. ظن أنه بوسعه السخرية من العالم أجمع، لكن هذا ليس صحيحاً. وهو يتوهم ذلك. إنه يعاني من جنون العظمة إلى أقصى الحدود. لا شيء يطاله، أو هكذا يظن، إلى أن تتم إدانته.

قال جاك بصراحة: "أظن أنك ذكية بإبقائها هناك".

تنهدت ألكسا مجدداً. "أتمنى ذلك. ولكي أكون صريحة، أخشى عليها من الوقوع في غرام المكان، مثلما فعلت أنا. الجنوب فاتن جداً، وخصوصاً في مدينة جميلة مثل تشارلستون. الأشخاص ودودون وساحرون. كل شيء جميل. إنه عالم مختلف، وحياة مختلفة. الأمر صحيح حين يقولون إن الجنوب فاتن. أحببته حين عشت هناك، ثم انقلب الأمر عليّ، وتبين أن كل الحنان واللّطف هراء. فهم ملتزمون، ويفضلون وجود كونفدرالي سيئ بينهم على وجود شمالي جيد. خاب ظني بكلّ شخص موجود هناك". ولا تزال تشعر بالمرارة من ذلك. وستبقى هكذا دوماً.

اقترح جاك: "لا يمكنهم أن يكونوا جميعاً هكذا".

"ربما لا. لكن هذا ما حصل معي. لا تزال سافاناه في مرحلة شهر العسل. إنها تكتشف كل جماله. أمّا الأمور السيئة فستأتي لاحقاً".

"يبدو لي هذا مثل الزواج". قهقه جاك فيما نظر إليها. "لست واثقاً من أن الأمور مختلفة هنا".

"الجنوب مكان مميز. إنه من قرن آخر. كان مكاناً رائعاً للعيش فيه حين كنت هناك. لا أريد سافاناه أن تبقى هناك، أو أن ترغب في ذلك.

أتمنى أن أعيدها قبل أن تعلق. آمل أن تسدي لي زوجة أبيها الشريرة هذه الخدمة. والدها متزوج من ساقطة حقيقية".

"يبدو أنه يستحق ذلك". أومأت ألكسا برأسها موافقة على ما قاله، وبعد ذلك رفعت الملفات الهائلة المتعلقة بقضية كانتن، وعادا إلى العمل. بقيا هناك حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر، وتناولا الشطائر أمام مكتبها. ثم عاد جاك إلى مكتبه، وبقيت ألكسا في مكتبها حتى منتصف الليل مجدداً.

لم تخبر سافاناه أمها أنها ذاهبة لزيارة جدتها في عطلة نهاية الأسبوع، فهي لا تريد إغضابها. وكانت تعرف أن ألكسا لديها ما يكفي من الهموم بسبب القضية. ولم يخبر طوم لويزا بالأمر كذلك، فهذا ليس هذا من شأنها.

أوصل سافاناه إلى هناك بعد ظهر يوم الأحد. وتفاجأ لدى رؤيته أمه جالسة في مكتبها، بدلاً من الجلوس على المصطبة. وكانت هناك صينية شاي على الطاولة. دخلت سافاناه وراءه، وذهلت حين رأت كيف بدت الغرفة رثة. تذكرتها بغموض. كان المنزل جميلاً في وقت من الأوقات، لكن ثمة جو عجائزي فيه. فهو مثل جدتها، إذ شهد أياماً أفضل من قبل، وهو الآن يخبو.

كانت والدة طوم جالسة على كرسي كبير منتظرة. وكان شعرها ممشطاً إلى الخلف في كعكة. راقبتهما معاً بعينيها الحادتين، ولاحظت فوراً أن ابنها يريد حماية سافاناه، وأنه متعلق بها، ولم يعجبها الأمر. لقد حاولت محو سافاناه وألكسا من حياتهم. وأحست أن مشاعره تجاه سافاناه فيها خيانة للويزا. إلا أنها لم تخبر لويزا عن لقائهما أيضاً. إنهم جميعاً متواطئون، ويشعرون بالذنب. انزعجت أمه من ذلك أيضاً.

"مرحباً جدتي". قالت سافاناه بتهذيب، ومدّت لها يدها، لكن المرأة العجوز لم تصافحها.

فقالت العجوز: "أعاني من التهاب في المفاصل". كان ذلك صحيحاً، ولكن ليس إلى درجة ألاّ يسمح لها بالمصافحة. فهي تصافح دوماً رجل الدين حين يأتي لزيارتها. وكانت تفضل لو تناديها سافاناه الآن السيدة

بومونت، لكنها لم تقل ذلك. قالت لسافاناه مباشرة: "عرفت أنك باقية هنا حتى شهر حزيران/يونيو". فيما جاءت خادمتها العجوز لصبّ الشاي لهم.

قالت سافاناه بهدوء، وهي تجلس بعناية على كرسي ضيق قرب جدتها: "ربما". بدا كل شيء في الغرفة هشاً ومليئاً بالغبار، وأملت سافاناه ألا تعطس. "في شهر أيار/مايو ربما، إذا انتهت قضية أمي بسرعة أكبر. لكنها قضية كبيرة وستستغرق بعض الوقت".

قالت جدتها بنبرة بدا من خلالها أنها غير موافقة: "لم تكن أمك محامية حين عرفتها". وأومأت سافاناه برأسها. يصعب عدم الشعور بالرهبة أمام هذه المرأة العجوز ذات القسمات الحادة. إنها كبيرة في السن، وإنما قاسية مثل المسامير.

"ذهبت إلى كلية الحقوق بعد" - أوشكت أن تقول كلمة *الطلاق* ثم منعت نفسها فطرياً - "بعدما عدنا إلى نيويورك. جدتي الأخرى محامية أيضاً".

"أعرف". أومأت أوجيني بومونت برأسها. "التقيتها. كانت امرأة لطيفة جداً". أرادت الاعتراف بذلك، ولكن لا شيء عن ألكسا، بداعي الإخلاص للويزا.

قالت سافاناه بتهذيب وهي لا تزال تحمل كوب الشاي: "شكراً". ارتدت تنورة رمادية وكنزة بيضاء، وبدت أنيقة ومرتبة ورزينة. كان طوم فخوراً بها، لأنها أرادت المجيء إلى هنا، وتحلت بشجاعة كافية لفعل ذلك. فأمه ليست بالأم السهلة.

صرخت جدتها: "هل تريدين أن تكوني محامية أنت أيضاً؟". لاحظ طوم أنها تبحث على عيب فيها، لكنها لم تجد أي شيء لغاية الآن. إنها فتاة شمالية بامتياز، وتفتقد إلى نعومة الجنوب، لكنها مهذبة وحسنة التربية، وأحبت أوجيني ذلك.

"لا. فأنا أفضل أن أكون صحافية، لكنني لست واثقة من خياراتي بعد. تقدمت للتو بطلباتي إلى الجامعات، ولست مضطرة للإعلان عن

التخصص قبل سنتين". سألتها جدتها عن الجامعات التي تقدمت بطلبات إليها، وتأثرت باللائحة، فقد كانت كلها جامعات من الطراز الأول، بما في ذلك ديوك.

اعترفت أوجيني: "لا بد من أنك طالبة جيدة لتتقدّمي إلى مثل هذه الجامعات. في أيامي، لم تكن النساء الشابات يذهبن إلى الجامعات. كنّ يتزوجن وينجبن الأطفال. لكن الأمر مختلف الآن. ذهب أحد حفيديّ إلى جامعة فيرجينيا مثل والده، أما الثاني فقد ذهب إلى ديوك". قالت ذلك كما لو أن سافاناه لا تعرفهما.

قالت سافاناه بعفوية: "جامعة فيرجينيا ممتازة". لكنها لم تتقدم بطلب إليها. لم تشجعها أمها، وقالت إنه سيتم نبذها إذا لم تكن جنوبية. عرفت سافاناه أن هذا يعزى إلى الحكم المسبق لأمها على الجنوب، لكنها قررت عدم التقدم بطلب على كل حال. ابتسمت لجدتها بلطف، وأخذت منها كوب الشاي الفارغ ووضعته جانباً، ثم قدمت إليها طبق الحلويات؛ إذ كانت الخادمة قد عادت إلى المطبخ. أخذت أوجيني إحدى قطع الحلويات وتناولتها وهي تنظر إلى حفيدتها. "تبدين مثل أمك". تصعب المعرفة إذا كان ما قالته جدّتها إطراء أو إهانة بالطريقة التي تحدّثت بها، فهي ربما تذمها. لم تكن أوجيني تريد أن يتم تذكيرها بألكسا، أو كيف كانت تستلطفها في البداية؛ إلى أن عادت لويزا إلى المنزل، وانتقل وفاؤها مجدداً إلى كنتها الأولى، وليس الثانية. رأت سافاناه أنه من الأفضل عدم الإجابة. سألتها جدتها: "هل تعرفين ما هو اتحاد الكونفدرالية للفتيات؟". فأومأت سافاناه برأسها، فلقد سمعت عنه، بالرغم من أنه بدا سخيفاً قليلاً بالنسبة إليها، ولكنها لم تقل ذلك. "أنا الرئيسة العامة. أعطوني هذا اللقب لأن جدي كان جنرالاً في الجيش الكونفدرالي". قالت ذلك بفخر كبير بحيث ابتسمت لها سافاناه. فبالرغم من كل قساوتها، إلاّ أنها كانت ضعيفة وهشّة نوعاً ما. إنها امرأة عجوز جداً، تجاوزها قطار الحياة. وهي وحيدة الآن في منزل مليء بالغبار، وفخورة بجيش خسر حرباً قبل مئة وخمسين عاماً تقريباً،

مثل الجنود اليابانيين الذين اختبأوا في الكهوف ولم يعرفوا أن الحرب انتهت قبل أعوام.

نظرت أوجيني إلى ابنها حينها وأومأت برأسها، ففهم الإشارة. إنها متعبة، وقد حان وقت الرحيل. فوقف وأخبر سافاناه أنه يجدر بهما الذهاب.

قالت بتهذيب فيما وقفت هي الأخرى: "شكراً لك على السماح لي بزيارتك جدتي".

"هل تذهبين إلى المدرسة هنا؟". كانت أوجيني فضولية حيالها. إنها فتاة ذكية، وعند التمعن فيها عن كثب، فهي تشبه والدها أيضاً وليس ألكسا فقط. في النهاية، ثمة جينات جنوبية فيها.

"نعم. بدأت هذا الأسبوع".

"هل أحببتها؟".

"لغاية الآن. الجميع لطفاء، وتشارلستون جميلة. أخذني أبي في جولة يوم الاثنين قبل أن أبدأ المدرسة".

"أتمنى أن تستمتعي بإقامتك هنا". قالت أوجيني بتهذيب، مفهمة إياها أنها لن تراها مجدداً. إنه اللقاء والوداع في اجتماع واحد.

"شكراً لك". ابتسمت لها سافاناه بحنان، ثم غادرا.

كانت سافاناه هادئة في طريق العودة إلى المنزل، وهي تفكر في جدتها. كانت صغيرة جداً وعجوزاً جداً وليست التنين الذي توقعته. لم يكن الأمر صعباً، بل كان سهلاً.

كانت لويزا في انتظارهما حين وصلا إلى المنزل. وكالعادة، تجاهلت سافاناه، ونظرت مباشرة إلى زوجها.

"عرفت للتو أنك ذهبت لرؤية أمك، وأخذتها معك". كانت تتحدث عن سافاناه من دون أن تلفظ اسمها أبداً.

"صحيح. فعلت هذا. فلقد رأيت أنه يجدر بسافاناه رؤيتها. ففي النهاية، إنها جدتها. هل اتصلت بك؟". تفاجأ، لكن أمه ربما شعرت بالحاجة إلى الاعتراف إلى لويزا.

"رآك أحــدهم وأنت ذاهب إلى هناك". تملك لويزا جواسيس في كل مكان، وتعرف كل ما يقوم به. "لماذا لم تخبرني؟".

قــال بــصراحة: "لم أشأ إزعاجك". في هذه الأثناء تركتهما سافاناه بهدوء، وذهبت إلى غرفتها.

فاتهمته زوجته: "إنّ اصطحابها إلى هناك بمثابة صفعة على وجهي، وأنت تعرف ذلك".

"تملك سافاناه الحق في رؤيتها".

ذكّــرته لويزا: "لا تملك حقوقاً هنا. هذا منزلي، وهؤلاء هم أولادنا. ليــست واحدة منا، ولن تكون أبداً. من السيئ بما فيه الكفاية أنك أحضرتها إلـــى هـــنا. لا حاجة إلى أن تذلّني أكثر بالتباهي بها، أو بأخذها إلى أمك لشرب الشاي".

"أنا آسف لأنك تشعرين بهذه الطريقة. ليست العدو، لويزا. إنها طفلة؛ طفلتي. وجودها هنا لن يؤذيك أو يضعف مكانتك". لم تجبه، وإنما وجهت إليه نظرة غاضبة، وتركت الغرفة.

لم يتم التطرق إلى الموضوع مرة أخرى إلى أن زار أمه مجدداً بعد يومين. وكان قد قرر عدم ذكر سافاناه مجدداً، إلا إذا فعلت هي ذلك. وفي نهايـــة زيارته، تطرقت أمه إلى الموضوع. أذهلته حين قالت إنّ لويزا قد اتصلت بها وكانت غاضبة جداً من زيارة سافاناه. ولكن ذلك لم يفاجئه.

قالت أمه بهدوء: "قالت إنها تفضل ألا أراها مجدداً. فكرت في الأمر، وقـــررت أنني أريد رؤيتها. فهي تبدو شابة لطيفة جداً. وكان نبلاً منها أن تأتـــي لزيارتي". تأثر بقرار أمه، وتقييمها لسافاناه؛ إنها تستلطفها. "طلبت من زوجتك ألا تتدخل في شؤوني". إنها المرة الأولى منذ أعوام التي تقف فيها مع شخص ما ضد لويزا. "لا سبب يمنعني من رؤيتها مجدداً إذا أردت ذلك، ولن يخبرني أحد بما يجب عليّ فعله". ابتسم طوم لها فيما قالت ذلك.

"لم يفعل أحد ذلك أمي. لديّ ثقة تامّة في أنك قادرة على الوقوف في وجه كل من يحاول. وأنا مسرور لأنك أحببت سافاناه".

"إنها ذكية ومهذبة، وتشبهك كثيراً". لم يتحداها، لكن الحقيقة هي أنها تشبه أمها أكثر، وكلاهما يعرفان ذلك. إنها أكثر شجاعة منه. لقد بـــاع نفسه للويزا قبل أعوام، وسمح لها ولأمه بالتأثير فيه وحثه على خيانة شخص أحبه، وحتى بالتخلي عن ابنته. لا يملك شيئاً للافتخار به، وهـــو لـــيس فخوراً بنفسه أصلاً. "لقد فعلت ما يجدر بك فعله، وفعلت الـــشيء الـــصحيح". قالت له ذلك كما لو أنها تقرأ أفكاره، مثلما تفعل غالباً. إنها تفعل ذلك أفضل من أي شخص آخر، وتستخدم الأمر ضده أحياناً، ولكن ليس هذه المرة.

قال بهدوء: "لا، لم أفعل".

"بـــدا أنه الشيء الصحيح في ذلك الوقت". تساءل إذا كانت هي أيضاً نادمة، لكنه لم يسألها.

قال بصراحة: "عانتا من جراء غبائي وضعفي. ما من شيء صحيح في ذلك". وكانت لويزا الفائزة بالرغم من أنها لا تستحق ذلك. كل الآخرين خسروا، بمن فيهم هو. وقد سمح بحصول ذلك.

"ربمـــا ســـيفيدك وجودها الآن هنا". ثم أضافت مع ابتسامة شريرة: "سيحصل هذا إذا لم تجعل لويزا حياتك بائسة. فهي ليست مسرورة بوجود الفتاة هنا". فضحك طوم مما قالته.

"لا، ليست مسرورة. وهي تجعل حياة سافاناه بائسة أيضاً".

"تـــبدو وكأنها تستطيع تحمل الأمر. كيف حالها مع دايزي؟". وكانت تـــشعر بالفضول حيالها؛ إذ إن رؤيتها لها جعلتها تشعر بالرغبة في معرفة المزيد من المعلومات عنها.

"علاقتهما رائعة. دايزي تحبها". فأومأت أمه برأسها.

"أحـــضرها لرؤيتي مجدداً. تستحق أن تعلم المزيد عن تاريخنا. ثمة أمـــور فـــي حياتها أكثر من تينك المرأتين المحاميتين في نيويورك. عليها التعرف إلى عائلتنا أيضاً". هذه إشارة قبول واضحة تشير إلى رغبتها في مـــشاركة ذلـــك مـــع سافاناه، وشعر طوم بالذهول حين فكر في الأمر في

طريق عودته إلى المنزل. وحين أخبر سافاناه تلك الليلة أن جدتها تريد رؤيتها مجدداً بدت مسرورة.

"أنا أيضاً أحببتها. ربما تستطيع إخباري عن اتحاد الكونفدرالية للفتيات في المرة المقبلة، وعن الجنرالات في عائلتها".

فقال وهو يعانق سافاناه بشدّة: "هذا هو بالضبط ما تريد فعله".

تلك الليلة، عاد مجدداً إلى غرفة نومه مع لويزا. كانت لا تزال غاضبة منه، ولكنها غرفة نومه أيضاً، وهذا منزله. وهو لا ينوي النوم على الأريكة في مكتبه إلى الأبد لأن ابنته جاءت للزيارة. وكان قد اصطحب دايزي وسافاناه لحضور فيلم في تلك الليلة. دعا لويزا ولكنها لم تشأ الذهاب. وأمضى وقتاً رائعاً مع ابنتيه.

حين استلقى على السرير بعد عودتهم، أدارت لويزا ظهرها له، ولكنها لم تنتقل إلى إحدى غرف الضيوف مثلما ظن أنها ستفعل. إنها لا تتحدث معه، لكنه استعاد مكانته وحياته. شعر أنه رجل مجدداً؛ للمرة الأولى منذ عشرة أعوام. لم تعد لويزا تتحكم فيه، ولم تعد تملكه. أراد إطلاق صيحة نصر، لكنه استدار بدلاً من ذلك ونام.

الفصل الحادي عشر

كان الأسبوع الذي تلا زيارة سافاناه لجدتها أسبوعاً جنونياً آخر بالنسبة إلى ألكسا. فلقد تراجع مكتب التحقيقات الفدرالي عن استلام القضية، بعد إصرار كبير من جو ماكارثي، لكنهم كانوا لا يزالون يترصدون لهم لتولي القضية فور حصول أي خطأ. لم يحصل أي شيء لغاية الآن. ولكن، توجب على ألكسا توخي الحذر باستمرار. وصلهم مؤخراً خبر عن وجود رابط بين كانتن وجريمة أخرى، وهذه المرة في ولاية لم يعتقدوا أنه كان فيها. وتبين فعلاً أنه لم يكن هناك، ولم تتطابق الأدلة الجنائية. أرادت ألكسا توخي الحذر الشديد لعدم إلصاق التهم به عشوائياً، ولرؤية ما ينطبق عليه. عليها التأكد تماماً من أن الجرائم التي جرى اتهامه بها هي بالفعل جرائم ارتكبها هو بنفسه، ومن أنّ الأدلة كلها متطابقة من دون أدنى شك. فهي لا تريد خسارة هذه القضية، أو محاولة إدانته بجرائم لم يرتكبها. تريد أن تكون واثقة تماماً، وبشكل مطلق، بأنها على المسار الصحيح في كل قضية، وتعتقد أنها تفعل ذلك. لذا، من دون وجود دليل حاسم وأكيد من وكالات تطبيق القانون الأخرى في الولايات الأخرى، لن تضيف قضاياهم إلى قضيتها. دقتها الشديدة لغاية الآن هي التي أقنعت مدير مكتب التحقيقات الفدرالي السماح لها الاحتفاظ بالقضية. فهو لا يظن أنه بوسع أحد إنجاز المهمة بصورة أفضل، وأكّد له جو أن هذا صحيح. إلا أن كل ذلك فرض ضغطاً إضافياً على ألكسا كي لا ترتكب أي هفوة. بدت مرهقة وكانت كذلك فعلاً. المحاكمة بعد عشرة أسابيع. واستمرّ كانتن في شغل الصحافة بشأن المحكمة. رفضت ألكسا إصدار أي

تعليق؛ الأمر الذي أعجب مكتب التحقيقات الفدرالي أيضاً، وشكرتهم على مساعدتهم في كل فرصة، ونوّهت بهم عند الضرورة، وشعرت بالامتنان لفريق التحقيق الهائل لديهم والذي ساعدها في تعزيز قضيتها كثيراً.

وجدت ضحية أخرى في بنسيلفانيا، وتم نبش الجثة من القبر، بالرغم من رفض عائلة الضحية ذلك. وتوجب عليهم إقناعهم، فسافر جاك لرؤيتهم، وتوسّل إليهم ليتعاونوا معهم، فقبلوا في النهاية وسط الدموع. وأكدت الأدلة التي حصلوا عليها تورّط كانتن، مما رفع عدد ضحاياه إلى ثماني عشرة ضحية، وأحست ألكسا في قرارة نفسها أنهم عثروا على كل الضحايا. لا تعرف لماذا، لكنهم مشطوا كل ولاية كان فيها منذ مغادرته السجن، وتحققوا من كل جريمة أو تهمة اغتصاب أو شخص مفقود. لم تعد هناك أمور غامضة. ولقد كانت طالبة الطب ذات الاثنين وعشرين عاماً في بنسيلفانيا الضحية الأخيرة. ثماني عشرة امرأة شابة جميلة، متن جميعاً بسببه. لا يمكن تصديق ذلك، خصوصاً من قبل أهل الفتيات، لكنه حصل. شعرت ألكسا بالامتنان كل يوم لأنها أرسلت سافاناه بعيداً. إذ لم تصلها أي رسائل منذ أن غادرت. وقررت اصطحاب سافاناه في رحلة إلى أوروبا في فصل الصيف، خلال فترة إجازتها، وبعد ذلك ستغادر سافاناه إلى الجامعة، وسيصعب أكثر إيجاد وقت للحصول على إجازة. لقد سلبها كانتن الأشهر الأخيرة التي كانت ستمضيها مع ابنتها، لكنها في أمان، ولقد فعل أموراً أسوأ بالأخريات وسلبهنّ حياتهن. وتحطم قلب ألكسا تقريباً في كل مرة تحدثت فيها إلى أهالي الضحايا.

طوال ذلك الوقت، كانت محامية الدفاع العام تصرّ على أنهم مخطئون، في الأدلة، والضحايا، وتطابقات الدي أن أيه، وبثلاثة تقارير نفسية تؤكد الآن أنه مريض اجتماعي. شعرت ألكسا بالأسف عليها، لأنها واقعة تماماً تحت سيطرته، وكان يمكن أن تكون ضحية أخرى لو التقيا وهو خارج السجن. إنه مريض اجتماعي حقيقي، وكان في كل مرة يرى فيها ألكسا، ولا يحصل هذا غالباً، يعرّيها بعينيه، فقط ليعلمها أنه قادر، وليخبرها أنها ليست

قويّة فيما هو كذلك. إنه رجل مذهل، وناعم مثل الحرير. أرادت ألكسا الفوز بهذه القضية، أكثر من أي قضية أخرى استلمتها قبلاً.

كانوا يستجوبونه مجدداً بعد الظهر بشأن آخر ضحية من بنسيلفانيا. وكالعادة، تبختر في الغرفة. إنه يمارس الرياضة، لأنه لا يملك شيئاً أفضل للقيام به، وبرزت عضلاته الكبيرة من تحت بذلة السجن، فيما كان يراقب جميع من في الغرفة بعينيه الباردتين. هذه المرة، قررت ألكسا عدم الاختباء وراء المرآة في غرفة المراقبة، وجلست بين رجال الشرطة أمام الطاولة قبالته في الغرفة الصغيرة. فاحت رائحة عرق الرجال بقوة في الهواء. لم تكن رائحة عطرة، لكن ألكسا لم تكترث. وكانت جودي دوانينغ حاضرة أيضاً، ووجهت إليه ابتسامة تعاطف. وكما لو أنه يبتسم نصف ابتسامة، نظر لوك إلى الآخرين وهو يريد أن يظهر لهم ما يستطيع فعله. لقد قلبها تماماً رأساً على عقب. كان هناك رجلان من مكتب التحقيقات الفدرالي أيضاً في الغرفة؛ سام لورانس وواحد جديد لم تتعرف إليه بعد، بالإضافة إلى فريق التحقيق الأصلي بقيادة جاك، وتشارلي ماكافوي وبيل نيلي. كانت الغرفة مكتظة، وبدأ الاستجواب.

سألوه عن الضحية التي زعم أنه لا يعرف شيئاً عنها، فأظهروا له صورتها. يبدو أنه تم أخذها إلى شارع مظلم قرب شقتها، فيما كانت عائدة في وقت متأخر من مكتبة كلية الطب. ومثل الأخريات، تم اغتصابها وخنقها. وتم العثور على جثتها في حفرة في الحديقة العامة. لم يتم العثور عليها إلا بعد أربعة أشهر، وكانت الجثة متحللة كثيراً حينها، وكان لوك في المدينة عندما حصل ذلك. هزّ لوك كتفه عندما نظر إلى صورة الفتاة حين كانت حية، ورماها على المكتب. وعلقت عيناه بعيني ألكسا، واستمر بالنظر إليها لوقت طويل. قد تكون مخطئة، لكنها أحست هذه المرة أنه يقول بصمت: "انتبهي، يمكن أن تكوني أنت... أو ابنتك". لم تطرف عيناها، ولا عيناه. فلقد أصبح الأمر الآن ثأراً شخصياً بينهما. وهو لن يهزمها أو يخدعها.

"من أين تستمرون أيها الرجال في إحضار هؤلاء النساء؟ كنت سأبلى لو قمت باغتصابهن جميعاً". لم يعلّق التحري الرئيس المسؤول عن الاستجواب على كلامه، ولاحظت ألكسا أن تشارلي ماكافوي تحرك في مقعده. كان لا يزال يعمل على القضية وينجز عملاً جيداً. لقد استلم قضية أخته وعدة قضايا أخرى، ويعمل ساعات طويلة خارج الدوام. بدا متعباً مثل الجميع. وحده المدعى عليه بدا مرتاحاً، وبأبهى حلة، وذا معنويات جيدة وشكل رائع. إنه محور الانتباه، لا بل إنه النجم. نظر مرات عدة إلى محاميته، التي ابتسمت له تشجيعاً فيما استمرّ الاستجواب.

طلبت ألكسا إخضاعه لفحص طبي إضافي لمعرفة إذا كان جسمه يقذف السائل المنوي، أو إذا كان السائل يبقى عالقاً في مكان ما، مثلما يحصل أحياناً مع الرجال الذين يعانون من مشاكل وخيمة في الكلى ويتناولون الأدوية لأعوام طويلة. لم يكن هناك أي دليل على أنه هكذا، ورفض الخضوع للتحاليل، علماً أنه يملك الحق في ذلك، وعرض عليهم القيام بالتحليل أمام عيونهم.

سئم الجميع من الأمر ومنه، فيما ضعف الاستجواب. كان غير نادم أو قلق على الإطلاق، وزعم أنه لا علاقة له أبداً بأي ضحية. فهو لم يغتصب أو يقتل أياً من أولئك النساء، وبدا ضجراً. خلال الاستجواب قال إن النساء اللواتي التقاهنّ في أيوا كنّ كلبات أو ساقطات رخيصات. لاحظت ألكسا أن تشارلي توتر عند سماع هذا التعليق، فجلست بالقرب منه طالبة عدم إظهار أي رد فعل. ولسبب ما، ربما لإدراكه أن إحدى الضحايا هي أخت تشارلي ولرغبته في إيلامه، قال إنه لم يقارب أي فتاة في أيوا، أو في معظم الولايات التي زارها.

كان تشارلي متعباً بعد أن بقي مستيقظاً طوال الليل، وبعد أن اجتمع بأهل عدة ضحايا وحاول الحصول على المزيد من المعلومات منهم. فلقد مضى على وفاة أخته عام كامل هذا الأسبوع، ولا يزال أهله محطمين؛ تماماً مثله. إلا أن كانتن لم يستسلم، بل استمر في التحدث عن *الكلبات*

والساقطات والرخيصات وما يفعله ولا يفعله بهنّ لو أتيحت له الفرصة. وقبل أن يتمكن أي منهم من الإمساك به، قفز تشارلي عن كرسيه مثل البرق، وطار تقريباً فوق الطاولة، وأمسك بكانتن من حنجرته، وكانت بنيته أفضل من بنية لوك. أمسك به تشارلي بقبضة خانقة، واستجاب كانتن بالمثل. كان الرجلان يخنقان بعضهما بعضاً فعلياً، فيما توجه كل شرطي في الغرفة وحتى ألكسا نحوهما لإبعادهما عن بعض.

ضغط أحد على جرس الإنذار، وسادت الفوضى في الغرفة، فيما صرخ الأشخاص وتدافعوا واستحال عليهم تقريباً إبعاد تشارلي عنه، إلى أن نجح أخيراً رجلان في إبعادهما. كان جاك واقفاً هناك وهو يتعرق بكثرة، وقد تمزّق قميصه خلال محاولاته فصل الرجلين. لم يقل أي كلمة للوك وإنما صرخ في وجه التحري، الذي كان يختنق ويبصق على الأرض. أعيد تقييد لوك بالأغلال وتم سحبه بعيداً وهو يدمدم.

"ما الذي كنت تفكر فيه بالله عليك؟ هل فقدت صوابك؟ أنت مطرود من القضية. الآن!".

"سأتقدم بدعوى!". صرخ لوك عبر الباب فيما كان يتم إغلاقه، من دون أن يتسنى له الوقت لإلقاء نظرات فاتنة على محاميته، أو تهديد ألكسا أو أي شخص آخر. لقد كان تصرفاً أحمق من قبل تشارلي، وربما سيكلفه الوقف من العمل لمدة سنة بسبب اعتدائه على مشتبه به، لكنه كان حتماً بحاجة إلى الاستراحة، وغضب جاك من نفسه لعدم إبعاده تشارلي عن القضية منذ البداية. تحدّث جاك بهدوء إلى سام لورانس والعميل الآخر من مكتب التحقيقات الفدرالي، الذي نجح شخصياً في إبعاد تشارلي عن لوك. شرح لهما جاك مجدداً مسألة أخته، فأومأ برأسيهما، وأخيراً ضحك أحدهما.

"اسمع، استرخ. كنت أودّ فعل ذلك بنفسي، لكنني لم أملك الشجاعة. لديّ ثلاث أخوات، وهذا الرجل حقير". إلا أنهم مسؤولون أيضاً عن حمايته وعدم قتله بأنفسهم. قال سام: "لن أقدم تقريراً، تصرف بعفوية. يمكنكم فعل

مـــا تريدونه". عرف جاك أنه يجب عليه تقديم تقرير على كل حال. وبعد نــصف ساعة، أخبر تشارلي في مكتبه أنه سيتم إيقافه من العمل لمدة سنة وإرساله إلى منزله. لقد أنجز عملاً رائعاً حتى الآن، لكن الضغط كبير جداً بالنسبة إليه، فلقد قتل كانتن أخته التوأم. اعتذر تشارلي كثيراً من جاك قبل أن يغادر، وقال إنه سيعود إلى أيوا هذه الليلة، لكنه ينوي وعائلته حضور المحاكمة.

بدا جاك أكثر إرهاقاً حين جاء إلى مكتب ألكسا بعدما غادر تشارلي.

"اللعــنة. هذا ما كنا نحتاج إليه. الحمد لله أن رجلي مكتب التحقيقات الفدرالـــي كانا لطيفين. سيقتلني ماكارثي حين يسمع بالأمر. كان يجدر بي إبعـــاد تـــشارلي عن القضية ما إن عرفنا أن أخته هي إحدى الضحايا. لا أعرف ما الذي كنت أفكر فيه. لا بد من أنني كنت فاقداً صوابي".

فطمأنـــته ألكـــسا: "أنـــت إنسان مثل أي شخص آخر". ولكنها كانت متوتـــرة. فقد كان خطأ كبيراً وغبياً من قبل تشارلي أن يفقد السيطرة على نفسه. "ترهقنا هذه القضية جميعاً". لقد أثرت في حياة الجميع، بما في ذلك حياتها.

جلسا معاً لمدة ساعة، وتناولا ألواح الشوكولاتة. وليلهيها، سألها عن سافاناه، واعترفت له مرة أخرى بمخاوفها وشاركته إياها.

"ذهبت لرؤية جدتها هناك. بدأت تستقر، وهذا يقلقني كثيراً. لا أريدها أن تغـــرم بتشارلستون وتقرر العيش هناك". إنّ الأمر مقلق كثيراً بالنسبة إليها، لكنّ البديل؛ أي إعادتها إلى نيويورك، أسوأ. والفكرة غير مطروحة قبل انتهاء المحاكمة.

"أنـــا لا أملك أولاداً. ولكن، يبدو لي أن الأولاد يفعلون ما يريدونه. وفـــي العادة، يكون ذلك عكس ما يريده أهلهم بالضبط. لا أظن أنه ستكون لديك سيطرة كبيرة على قرارها. لكن، حتى لو كانت تشارلستون جميلة إلاّ أنهـــا ليست نيويورك. إنها معتادة على عالم أكبر، وستذهب إلى الجامعة". إنه محق، وقد طمأنها ما قاله. وتحدّثا بعد ذلك عن القضية مجدداً. ستذهب

إلـــى تشارلستون خلال عطلة نهاية الأسبوع هذه. فهي تتحرق شوقاً لرؤية ســـافاناه، لكنها تخشى من كل الذكريات التي قد تستيقظ لديها، فبعضها مر والآخر حلو.

فـــي الـــنهاية، لم تحصل مشكلة كبيرة حول تصرف تشارلي في غـــرفة الاســـتجواب. فلقد وافق كل من النائب العام ومكتب التحقيقات الفدرالي على اقتراح جاك بتوقيفه مدّة سنة عن العمل، علماً أن تشارلي كان قد توقف عن العمل وغادر خلال النهار. فثمة ظروف مخففة، لأن أخـــته الـــتوأم واحدة من الضحايا. وعند إبعاده عن القضية، لن تتكرر المسألة مجدداً، بالرغم من أن الانفجار كان وشيكاً. لا يعرف أحد ماذا كان يمكن أن يحصل لو لم يتمكن الرجال الآخرون من إبعاد تشارلي. كـــان ذلـــك سيحلّ المشكلة من دون ريب، ولكنه سيولّد مشاكل أخرى أسوأ له. فما كان أحد ليأسف على موت لوك، باستثناء جودي دوانينغ، التي تصفها ألكسا بالحمقاء.

يوم الجمعة، كان يتوجّب على ألكسا أن تكون في المطار عند الساعة الخامـــسة مـــن بعـــد الظهر. ولكنها تأخرت في مكتبها وهي تضع بعض الملفات في كيس لتقرأها على متن الطائرة خلال رحلتي الذهاب والإياب. أمـــا ما تبقى من الوقت فستخصصه لسافاناه ولكل ما خططت له. وبالكاد وصلت إلى المطار في الوقت المحدد، وتحدثت إلى أمها من سيارة الأجرة. بدت فوضوية، وشعرت فعلاً بأنها كذلك. وكانت غير مستعدة أبداً لمواجهة عالمهـــا القـــديم. أخبـــرت أمها عن تشارلي ماكافوي في وقت سابق من الأسبوع، فقالت موريال إن الابتعاد سيفيدها، لأن القضية تلعب بعواطفهم. ولـــم تكـــن ألكسا واثقة من ذلك. فباستثناء رغبتها في رؤية سافاناه، كانت مذعورة من الباقي.

"ممّ أنت خائفة؟". سألتها موريال من حيث تجلس في مكتبها، بعد أن أنهت عملها للتو. كان يوماً جيداً بالنسبة إليها. فحياتها ليست مليئة بالدراما مـــثل حـــياة ابنـــتها. لا يمكنها العيش بهذه الطريقة، أو العمل بجهد مثلها،

بالرغم من أنها فعلت ذلك في شبابها. لقد ولّت تلك الأيام بالنسبة إليها. إنها مشغولة، لكن حياتها لا تسير بسرعة البرق. أما حياة ألكسا فكذلك. استاءت موريال من القضية التي تتولاها ابنتها، ومن كل التوتر الذي تعيشه.

قالت ألكسا بصراحة: "لا أعرف ماما. أظن أنني خائفة من أن تبقى سافاناه هناك، وأن يصبح طوم فجأة لطيفاً جداً، وتكون تشارلستون فاتنة جداً، وأن يأسرها كل ذلك الجمال والفتنة الجنوبيين. لقد وقعت في الفخ قبلها. فلماذا لا يحصل الشيء نفسه معها هي الأخرى؟ ماذا لو لم ترغب في العودة إلى المنزل أو العيش في نيويورك مجدداً؟".

"قد تحب ما تراه هناك، وترغب في العودة للزيارة، لكنني سأتفاجأ كثيراً إذا قررت العيش بعيدة عنك، في الوقت الحاضر على كل حال. وهي تتطلع حالياً إلى الذهاب إلى الجامعة، وليس إلى الجنوب أو اكتشاف جذورها. عليها أن تتعرف إلى ذلك الجانب من حياة والدها، وأظن أنه من الجيد لها أن تراه. فلطالما اعتقدت أن هذا سيلغي أي فضول أو اعتقادات ربما تكون قد تكونت لديها. لكن سافاناه ستذهب إلى الجامعة، وهذا كل ما تهتم به الآن. لقد خرجتِ أنت من الجامعة، وأغرمت برجل أكبر منك. هذه حياة لا تستطيع سافاناه تخيلها ولا تريدها. ليس لوقت طويل. إذا سألتني، أظن أنها ستقول لك الشيء نفسه. كانت فضولية حيال ذلك، ولكن ليس أكثر من هذا. والتواجد هناك مدّة ثلاثة أشهر سيجيب عن كل أسئلتها".

"ليتني كنت واثقة إلى هذا الحد". شعرت ألكسا بالقليل من الارتياح لدى سماعها كلمات أمها، بالرغم من أنها منطقية.

"هل أنت واثقة من أنك قلقة على سافاناه وليس على نفسك؟". عرفت ألكسا فوراً أن أمها قد وضعت اصبعها على الجرح، وعرفت كم هي منزعجة. فهي دوماً تصيب موقع الألم تماماً.

قالت ألكسا بصراحة: "نعم، ربما". وحاولت أن تتخيل الجزء الذي تخشاه أكثر. "كنت سعيدة هناك. أحببت طوم كثيراً، وكذلك أحببت ابنيه.

وثقت به تماماً، وظننت أننا سنبقى معاً إلى الأبد. والآن، بعد انتهاء كل ذلك، وزواجه من امرأة أخرى، وعيشه في ذلك المنزل نفسه، يصعب عليّ نوعاً ما استيعاب ذلك". وقد كرهته بسبب ذلك طوال سنوات. لقد سرق كل أحلامها، ودمّر كل ثقتها به. لم تتمكن قطّ من التعافي من ذلك الجرح منذ ذلك الحين، مع أي شخص. لقد دمّرها تماماً. "كنت أفضل عدم الذهاب أبداً إلى هناك مجدداً".

"تضطر أحياناً إلى مواجهة الأمور التي تؤلمنا كثيراً. ربما لن يشفى جرحك إلا حين تفعلين ذلك. فأنت لم تشفي بعد". وكانتا كلتاهما تعرفان أن هذا صحيح. "لا يمكنك المضي قدماً إلا بعد دفن الماضي، وكل ذلك الألم والخوف اللذين لا يزالان موجودين داخلك. ربما سيفيدك ذلك". فكرت ألكسا في الأمر فيما توقفت سيارة الأجرة أمام المطار، وأخبرت أمها أنه عليها الذهاب. لكنها عرفت أنها محقة، إذ لا يزال ألمها حياً؛ وهو لم يتضاءل قطّ. ولم تختفِ مشاعر خيبة الأمل والخيانة خلال الأعوام العشرة الماضية. لا، بل أصبحت الأمور أكثر سوءاً. لا يوجد رجل في حياتها الآن، ولا تريد واحداً لأنها لا تستطيع أن تسامح الرجل الذي آلمها كثيراً، أو أن تنساه. ولم تغفر أيضاً لوالدة طوم، أو لزوجته التي ألحت عليه للتخلي عنها بكل طريقة ممكنة. كانت مؤامرة كبيرة ضدها، لأنها ليست واحدة منهم، بالرغم من أنه يصعب تصديق ذلك الآن. يبدو الأمر جنوناً، لكنه صحيح. لقد ربحت لويزا بفضل الجغرافيا والتقاليد، وكما حصل مع آشلي في فيلم *ذهب مع الريح*، كان طوم ضعيفاً. لم تستطع مسامحته على ذلك حتى الآن. فلقد سمّمتها السنوات العشر وكأنها مادة إشعاعية ابتلعتها قبل أعوام، ولا تزال تجري في عروقها، بعد أن أحرقت أحشاءها. لا تريد أن تكون سافاناه قريبة من أولئك الأشخاص، لكنها لا تملك خياراً آخر أيضاً.

عبرت ألكسا جهاز الأمن، وبالكاد وصلت إلى طائرتها في الوقت المناسب. لم تشأ تفويت الرحلة وتخييب أمل سافاناه. أقلعت الطائرة عند السادسة والنصف وحطت بعد الثامنة. انكمش قلبها حين رأت المطار.

وكانت قد أخبرت سافاناه أنها ستتصل بها حين تصل لتلاقيها في الفندق، إذ لم تكن تريدها أن تنتظرها بمفردها. أحضرت حقيبتها، واستقلت سيارة أجرة، وأعطت السائق اسم الفندق.

كانت الرحلة إلى المدينة مألوفة ووجيزة. تألم قلبها حين رأت الجسور، وأبراج دور العبادة التي أحبتها. قاموا بتصوير سافاناه في واحدة من دور العبادة تلك. المدينة مليئة بالذكريات بالنسبة إليها، مثل الخوخة الناضجة جداً والجاهزة للانفجار. توجب عليها إخراج تلك الذكريات من عقلها. وقبل أن تصل إلى الفندق، اتصلت بسافاناه، التي كانت تنتظر اتصالها في غرفتها. عندئذ، كانت الساعة تشير إلى التاسعة تقريباً. أرادت سافاناه القيادة بنفسها إلى هناك، لكن والدها قال إنه سيوصلها. فلقد عرف أن أمها لن ترغب في جعلها تقود بمفردها في المدينة. أبلغته سافاناه حين تلقت الاتصال، ونزلت السلالم مسرعة وهي تحمل حقيبتها الصغيرة. وكانت قد ودّعت دايزي بعد الظهر لأنّ هذه الأخيرة ستمضي الليلة عند صديقتها، أما لويزا فستخرج للعب البريدج تلك الليلة. فيما اختار طوم البقاء في المنزل. فقد كانت علاقته بلويزا متوترة جداً، وكانا مضطرين إلى النوم في الغرفة نفسها.

قال طوم بعفوية في طريقهما إلى ونتورث مانشون: "لا بد من أنك متحمسة لرؤية أمك". وكانت ألكسا قد حجزت في أفضل فندق في المدينة، والذي تمّ تشييده أساساً ليكون بمثابة منزل. لا يزال أحد أجمل القصور الفيكتورية في المدينة، مع كل وسائل الراحة والرفاهية الموجودة فيه، وغرفه الجميلة والأنيقة، وأسقفه المكسوة بزجاج تيفاني، وتحفه الفنية القديمة، ومنتجعه الصحي. عرفت ألكسا أن سافاناه ستحبه وأنهما ستستطيعان الاسترخاء فيه. إنه في قلب المدينة، وتحيط به متاجر ومطاعم، ويطل على مشاهد مذهلة في تشارلستون التاريخية. تأمل ألكسا أن تستمتعا، أما سافاناه فلم تكن تكترث إذا كانت ستقيم في فندق متواضع، فكلّ ما كانت تريده هو رؤية أمها. وهي بالكاد تستطيع الانتظار.

"نعم أنا متحمسة لرؤيتها". أجابت سافاناه مع ابتسامة عريضة وعينين راقصتين. "إنها أفضل صديقة لي. أشتاق إليها كثيراً".

"أعرف ذلك". قال طوم متمنياً لو أنه يستطيع ملء الفراغ نوعاً ما. لكن، بالرغم من استمتاعها بتمضية الوقت مع والدها، فلقد فات الأوان كثيراً على ذلك. عرف أنه بسببه هو، أصبحا يعرفان بعضهما مؤخراً، ولكنهما ليسا صديقين. وأمل في تمتين علاقتهما خلال وجودها هنا. لكن، على عكس مخاوف أمها، لم تكن فترة الأشهر الثلاثة بالنسبة إليه طويلة كفاية. وليست حتماً طويلة كفاية للتعويض عن عشر سنوات.

لحق طوم بسافاناه إلى ونتورث مانشون وهو يحمل حقيبتها. لم تحضر معها الكثير من الأغراض، وقالت إنها تستطيع ارتداء ملابس أمها. قفزت سافاناه في ردهة الفندق مثل جرو صغير، وما إن فعلت ذلك حتى رأت أمها تقف أمام مكتب الاستقبال، فأسرعت لتكون بين أحضانها. تعانقت الاثنتان بقوة كبيرة، وتشبثتا ببعضهما بشدة بحيث بدتا مثل جسد واحد ذي رأسين، فيما وقف طوم بهدوء من دون أن تلاحظه أي منهما. مررت ألكسا يديها فوق شعر سافاناه ووجهها وذراعيها، كما لو أنها تتوق إليها بشدة. ولاحظ طوم أنهما تشعران فعلاً هكذا، فيما تشبثت سافاناه بأمها مثل الطفلة. مضت خمس دقائق كاملة قبل أن تتذكرا أنه موجود معهما. وشعر بحزن داخلي، وهو يراقبهما ويدرك أنه هو من أنشأ الرابط القوي بينهما، بالتخلي عنهما معاً. شعر أنه منبوذ، وعرف أنه لا يملك الحق في أكثر من ذلك. لقد كان يملك كل شيء ذات مرة، ولكنه خانهما، وهو يعيش الآن في الرماد الذي بقي منهما. كانت ألكسا وسافاناه مثل أشعة الشمس المشرقة من بين قضبان السجن الذي يعيش فيه. إنه سجن شيّده بنفسه، بسبب الضعف والخوف.

قال وهو يبتسم لهما: "حسناً، تبدوان سعيدتين برؤية بعضكما بعضاً". لم يظهر أي شيء من حزنه. بدا سعيداً لأجلهما، وشعر في الواقع بالغيرة مما تتشاركاه. كل شيء فيهما كان مثل الذهب الصافي. تشنجت ألكسا فوراً

عند رؤيته. فلقد نسيت أنه موجود، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سافاناه. حاولت ألكسا أن تكون مهذبة، وشعرت بامتنان كبير لأنه يهتم بابنتهما. لكنه يبقى طوم؛ الشخص الذي تكرهه والذي آلمها أكثر من أي كان. راقبته حين عانق سافاناه وقبّلها، وتمنى لهما عطلة نهاية أسبوع ممتعة. بدا صريحاً، لكن ألكسا قالت لنفسها إنه لا يمكن الوثوق به، وألقت اللوم بذلك على الجنوب، مثلما تفعل دوماً، وهي لا تزال مقتنعة أن كل جنوبي منافق وكاذب، فهو ينتظر خيانة حبيب أو صديق. لقد فات الأوان لإقناعها بغير ذلك. بالنسبة إليها، كانوا جنساً من البشر تشمئز منه.

قال طوم لألكسا برفق: "كانت متشوّقة فعلاً للقائك". إذ لم يعرف ما الذي يجدر به قوله عدا ذلك. كان كل شيء فيها متشنجاً جداً، إلا أنها حين تنظر إلى ابنتها تصبح مرتاحة ومسترخية؛ مثل الليل والنهار.

قالت ألكسا: "وأنا أيضاً. شكراً على إبقائها هنا معك. أنا واثقة من أن الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليك". وكانت قد عرفت من سافاناه كل شيء عن شجاراته مع لويزا، ولكنها لم تقل ذلك.

قال ببساطة: "إنها ابنتنا. وأنا مسرور لأنني استطعت التخفيف عنك قليلاً. كيف تسير الأمور في القضية؟". لم تشأ فعلاً التحدث عن الأمر معه، ولكن يصعب تفادي الإجابة عن سؤاله نظراً إلى حسن لياقته وسحره الجنوبي. وبالرغم من معرفتها ما قام به، إلا أنه يبقى رجلاً وسيماً وساحراً.

قالت بتهذيب: "هناك الكثير من العمل. لكننا نلنا منه. سأصاب بالذهول إذا لم تتم إدانته".

"أنا واثق من أنك ستربحين القضية". قال لها ذلك، ثم أعطى الحاجب حقيبة سافاناه، وقال لابنته: "استمتعي بعطلة نهاية الأسبوع، سأصطحبك يوم الأحد. اتصلي بي حين تصبحين جاهزة، أو إذا احتجت إلى أي شيء قبل ذلك". ابتسم لهما معاً ثم خرج مسرعاً من ردهة الفندق بساقيه الطويلتين والنحيلتين. كان رجلاً وسيماً ولا شكّ في ذلك

أبداً. حتى إنّ ألكسا لا تستطيع إنكار الحقيقة. ولم تؤذِ جيناته سافاناه على الإطلاق.

حجزت ألكسا أفضل جناح في الفندق، ونظرت سافاناه حولها بحماسة وتعجب فيما انتقلت من غرفة الجلوس إلى غرفة النوم ذهاباً وإياباً. ثمة سرير رباعي الأعمدة مثل ذلك الموجود في منزل *الألف سنديانة*، وكانت الغرفة مزينة بالأصفر الداكن مع وجود مفروشات داكنة والكثير من زجاجيات تيفاني. إنه قصر كلاسيكي قديم، وبالكاد استطاعت سافاناه الانتظار لرؤية المنتجع الصحي. حجزتا موعداً للتدليك، وللعناية باليدين والقدمين بعد ظهر اليوم التالي. أرادت ألكسا أن تحصلا على عطلة نهاية أسبوع فخمة تماماً.

طلبتا شيئاً لتناوله في الغرفة، لأن سافاناه كان قد سبق لها أن تناولت الطعام، وأرادت ألكسا الاكتفاء بوجبة خفيفة. بعد ذلك، أفرغت ألكسا الأشياء القليلة التي أحضرتها معها من نيويورك، وقميصين جديدين وكنزة اشترتها لها، وأحبتها سافاناه وقالت إنها تستطيع ارتداءها عند ذهابها إلى المدرسة. تحدثتا عن المدرسة، والأشخاص الذين التقتهم هناك، وعن لقائها بجدتها الجنوبية، وتحدثتا عن والدة ألكسا. تناولتا كل المواضيع الممكنة، وتعانقتا باستمرار، وقبّلتا بعضهما غالباً، ومازحتا بعضهما، وأخبرتها سافاناه عن قصة *فليباركها الله* التي يبدو أن الجنوبيين يقولونها قبل أو بعد أي تعليق مرير، وانفجرت ألكسا في الضحك وقالت إن هذا صحيح. استمتعتا برفقة بعضهما، وذهبتا أخيراً إلى السرير الرباعي الأعمدة عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل. طوّقت كل منهما الأخرى، ونامتا مثل جروين صغيرين، وكانتا سعيدتين للمرة الأولى منذ أسابيع.

ما إن استيقظتا في الصباح، حتى تحدّثتا عن كل شيء. أرادت ألكسا اصطحابها إلى بعض المتاجر التي تذكرها، إذا كانت لا تزال موجودة، وإلى مطعمها المفضل لتناول الغداء، وكان لدى سافاناه لائحة بالعديد من الأماكن أيضاً. كان لديهما ما يكفي للبقاء مشغولتين مدة أسبوع. وعند

الساعة العاشرة والنصف كانتا تتجولان في شوارع تشارلستون في يوم مشمس ورائع. شعرت ألكسا بغصة في قلبها عندما رأت الأماكن المألوفة بالنسبة إليها، ولكن حاولت ألاّ تسمح لذلك بإزعاجها. فعطلة نهاية الأسبوع هذه هي لسافاناه وليست لخيبة الأمل التي شعرت بها هنا.

ذهبتا إلى متجر مليء بكنزات الكاشمير، معظمها ذات ألوان فاتحة. فاشترت ألكسا كنزة وردية، وكانتا كلتاهما تضحكان حين غادرتا المتجر، واتسعت عينا سافاناه حين رأت صديقتها من المدرسة. كانت جوليان مع أمها التي أشرق وجهها ما إن رأت ألكسا، كما لو أنها رأت صديقتها المفضلة هي أيضاً. لقد كانت هكذا يوماً ما، لكنها خانتها مثلما فعل طوم. إنها المرة الأولى التي تراها فيها ألكسا منذ عشرة أعوام.

"أوه، يا الله، ألكسا! عزيزتي كيف حالك؟ لا تعرفين عدد المرات التي فكرت فيها بك... أنا مشتاقة إليك كثيراً، وسافاناه رائعة فعلاً. فليباركها الله، تبدو تماماً مثلك". تبادلت سافاناه وألكسا نظرة سريعة عند سماع كلماتها الأخيرة وحاولتا عدم الانفجار في الضحك. لكن ألكسا انزعجت من نفاقها وتظاهرها بصداقة لا تزال موجودة، وقلق حاولت الادعاء أنه كان راكداً فيما مات في الواقع قبل أعوام عدة على يديها. "لكم من الوقت ستبقين هنا؟".

"فقط حتى الغد. جئت لتمضية عطلة نهاية الأسبوع".

"يا الله، يجب علينا أن نلتقي في المرة التالية التي تأتين فيها إلى هنا. اتصلي بي قبل أن تأتي. يمكننا تناول الغداء مع الفتاتين". لا تحلمي، قالت ألكسا لنفسها فيما ابتسمت لها. "نحن سعداء جداً لأن سافاناه تزور والدها. الفتاتان صديقتان". أومأت ألكسا برأسها ولم تقل أي شيء، فيما ابتسامة زائفة مرتسمة على وجهها. تعرف سافاناه هذه الطلة، وهي مخصصة للأشخاص الذين تكرههم أمها كثيراً أو تشمئز منهم. وعرفت أن والدة جوليان واحدة منهم. اسمها ميشيل، ويناديها الناس شيلي. "ماذا تفعلين في نيويورك الآن؟ هل تزوجت مجدداً؟". أرادت ألكسا صفعها على وجهها

عندما طرحت عليها هذا السؤال، فهذا الأمر ليس من شأنها. أياً كان ما تدّعيه، فهما لم تعودا صديقتين، ولن تكونا كذلك أبداً مجدداً.

فقالت ألكسا بهدوء: "أنا محامية في مكتب النائب العام". ولم تجب عن السؤال المتعلق بالزواج. وشكت في أن شيلي تعرف الإجابة على كلّ حال من الفتاتين. لطالما كانت ثرثارة، وتحب الأقاويل، وتحاول الحصول على كل المعلومات الممكنة من أي كان.

"فليباركك الله، هذه مهنة مهمة، خصوصاً بالنسبة إلى النساء. أنت مشهورة هنا". شكرتها ألكسا وقالت إنه يجدر بهما الذهاب. وعدت الفتاتان بعضهما بالاتصال في الليلة التالية، وأسرعت ألكسا وسافاناه إلى المتجر التالي المذكور على لائحتهما. وحين أصبحتا بعيدتين، استدارت ألكسا نحو ابنتها وهي تنظر إليها نظرة قلقة.

"سمعت مرتين عبارة *فليباركك الله* إحداهما موجهة إليك، والأخرى إليّ. انتبهي. إنها تكرهنا!". حذرتها ألكسا ثم انفجرتا ضاحكتين.

"لاحظت ذلك أيضاً. لا تتفق جوليان مع أمها أيضاً. تقول إنها ساقطة حقيقية".

"نعم، أقول إنها محقة!".

"أمي، تخلصي من كرهك للجنوب. صادفت فقط حظاً سيئاً هنا". لم تكن سافاناه تكفّ عن توبيخها من أجل ذلك، وعرف جزء من ألكسا أنها محقة. أما الجزء الآخر منها فكان يكره الجنوب كثيراً.

فكان كل ما أجابت به ألكسا قبل أن تتوقفا أمام متجر لشراء مستحضرات التجميل: "نعم، نعم". إنهما تمضيان عطلة نهاية أسبوع مرفهة جداً، مثلما كانتا تفعلان في نيويورك حين تملكان الوقت، علماً أن الوقت غير كافٍ غالباً بالنسبة إلى ألكسا. تعيش سافاناه حياة اجتماعية منهمكة أكثر منها، وكانت أمها واثقة من أنها ستفعل ذلك في تشارلستون أيضاً قريباً.

كان التدليك في المنتجع الصحي في *ونتورث مانشون* رائعاً. وقامتا بتقليم أظفارهما، ثم عادتا إلى جناحهما وهما تضعان القطن بين أصابع

أقدامهما. حجزت ألكسا في مطعم سيركا 1886 لتناول العشاء. إنه في قسم الحافلات التابع للفندق، ولم تزره ألكسا قطّ من قبل. وكانتا قد توقفتا في أماكنها المفضلة القديمة خلال النهار. ومثلما ظنت قبلاً، شعرت بالحلاوة والمرارة لتواجدها هنا. لقد عاشت هنا كزوجة شابة وأم جديدة، وتغيرت حياتها تماماً منذ ذلك الحين. لم تصادفا وجوهاً مألوفة سوى جوليان وشيلي، لكن ألكسا ذهلت وتأثرت حين اتصل بها ترايفيس. اعتذر على عدم اتصاله بها طوال فترة طويلة. وقال إنه يودّ رؤيتها في المرة المقبلة، لكنه مشغول في مباراة كرة المضرب في النادي في هذه العطلة. وحرص على القول إن سافاناه فتاة مذهلة، وإنه مسرور للتحدث إلى ألكسا. كان مهذباً كثيراً مثل والده، ولكنها أملت في أن يكون أكثر صراحة. ذكر لها أنه سيتزوج في شهر حزيران/يونيو وأنه يريد أن تكون سافاناه موجودة.

أخبرتها سافاناه أنها أحبت سكارلت فعلاً، وأن ترايفيس كان لطيفاً جداً معها. لم تلتقِ هنري بعد، ولكن يفترض أن يأتي إلى المنزل قريباً في عطلة نهاية أسبوع. إنه يعيش في نيو أورليانز ويعمل هناك مع وكيل فني، وهذا كل ما تعرفه عنه.

كان عشاؤهما تلك الليلة أفضل مما اعتقدتا. ارتدتا فستانين تم شراؤهما بعد الظهر. وحين عادتا إلى غرفة الفندق، كانتا سعيدتين ومرهقتين. أمّا الجزء السيئ الوحيد في الأمسية فهو إدراكهما أن ألكسا ستغادر في اليوم التالي. ولم تكن أي منهما تريد التفكير في المسألة الآن.

قررتا الذهاب إلى دار العبادة في صباح اليوم التالي قبل الذهاب لتناول الغداء في مقهى *بايكر*.

وفي الصباح، ذهبتا إلى دار عبادة الصالح اسطفان الأسقفية، حيث قالت ألكسا لسافاناه إنه جرى تنصيرها فيها، وجلستا على مقعد. كان الاحتفال الديني جدياً وتقليدياً، استمعتا خلاله إلى موسيقى جميلة تعزف على الأرغن، وفي أثناء خروجهما، كانت ألكسا وسافاناه تمسكان بيدي بعضهما وهما تشعران بالراحة. وكانتا قد صافحتا للتو رجل الدين خارج

دار العبادة حين ركض أحد فجأة باتجاه سافاناه، وطوّق خصرها بذراعيه، وكاد يوقعها أرضاً. حاولت استعادة توازنها، واستدارت لترى من يكون، فوجدت نفسها تنظر إلى وجه دايزي التي بدت مسرورة كثيراً.

"ماذا تفعلين هنا؟". سألتها سافاناه، وهي لا تزال مذهولة، وعرّفت دايزي إلى أمها، التي بدت متفاجئة أيضاً وإنما ابتسمت لدايزي بحنان. إنها فتاة ظريفة جداً، ومفتونة بسافاناه بوضوح. لم تملك ألكسا الوقت الكافي للتفكير في ما ينبغي أن تعنيه هذه الفتاة بالنسبة إليها. فهي مجرد فتاة صغيرة صاحبة ابتسامة عملاقة.

"نأتي أنا وأمي إلى هنا كل أحد تقريباً". شرحت دايزي لسافاناه، ثم استدارت نحو ألكسا باهتمام قائلة: "تقول سافاناه إنك ستضعين رجلاً سيئاً جداً جداً في السجن".

قالت ألكسا وهي تبتسم لها: "أحاول. لهذا السبب، سافاناه موجودة هنا كي لا يؤذيها".

قالت دايزي وهي تبدو جادة: "أعرف. أخبرتني كل شيء عن ذلك، وعنك". وابتسمت مجدداً ابتسامة عريضة لألكسا.

قالت ألكسا بحنان، متجاهلة تماماً من تكون ومن تخص: "أخبرتني عنك أيضاً". كان من المستحيل مقاومة دايزي فكلّ ما فيها يشعر المرء بالسعادة. أشرق وجهها حين سمعت ما قالته لها ألكسا للتو، وبدت مسرورة جداً.

"حقاً؟". سألت دايزي بسعادة. "أنا أحبها فعلاً فعلاً". قالت ذلك وهي تضع ذراعيها حول خصر أختها مجدداً، فيما اخترق سمعهن صوت مثل الرمح.

"دايزي! أبعدي يديك عن سافاناه فوراً!". عرفت سافاناه من المتحدّث قبل أن تستدير للنظر إليها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ألكسا. "ليست هذه طريقة للتصرف في دار عبادة". وكانت لويزا تحدّق إليهنّ جميعاً بنظرة سامة. فقالت ألكسا لنفسها: وليست هذه طريقة للتصرّف في دار العبادة أيضاً.

"انتهى الاحتفال الديني ماما. وهنا يستطيع الجميع أن يكونوا ودودين". أصرّت دايزي لسبب وجيه. يبدو أن لويزا لم تأتِ إلى دار العبادة لهذا السبب، وحتماً ليس للقاء هاتين المرأتين. تجاهلت لويزا سافاناه وألكسا تماماً كما لو أنهما غير موجودتين، فيما وبّخت ابنتها. وقررت سافاناه أن تحاول الدفاع عن دايزي.

"لويزا، أحب تعريفك إلى أمي، ألكسا هاملتون". قالت سافاناه بتهذيب، وهي تتشدق تقريباً في كلامها. فنظرت إليها لويزا بغضب، كما لو أن سافاناه قد قامت للتو بتعريتها من ملابسها أمام دار العبادة أو أمسكت بها من شعرها المصفف حديثاً.

"التقينا قبل أعوام عدة". قالت لويزا هذه العبارة وأسنانها مطبقة، فيما راقبتها ابنتها بنظرة استسلام، متسائلة لماذا تتصرف أمها دوماً بحقارة. ليست شخصاً سعيداً، وتكون غاضبة معظم الوقت. قالت لويزا تلك الكلمات، ثم نظرت بغضب إلى ألكسا.

"سررت بلقائك مجدداً لويزا". قالت ألكسا وهي تكذب. أرادت أن تضيف عبارة *فليباركك الله* لكنها لم تجرؤ. لم تستطع هي أو سافاناه، أو حتى دايزي، الحفاظ على الهدوء. "شكراً لكم على سماحكم بإقامة سافاناه معكم. أقدّر ذلك فعلاً، وأعرف أنها تقدر الأمر هي أيضاً".

"على الإطلاق". قالت لويزا ذلك، وأمسكت بدايزي من الجهة الخلفية لعنقها بقبضة قوية، وسحبتها باتجاه سيارتهما من دون أن تتفوّه بكلمة أخرى. نظرت دايزي إلى الخلف بابتسامة متألمة ولوّحت لهما، وشعرت المرأتان بالأسف عليها. إنها الضحية في كل ذلك، مثلما كانت سافاناه قبل أعوام، ولا تستحق أي منهما هذا.

"يا لها من ساقطة". تمتمت ألكسا، وهي تراقب لويزا التي كانت تصرخ في وجه دايزي وهي تغلق باب السيارة بقوة وتنطلق بعيداً. "فليباركها الله". أضافت وضحكت سافاناه بصوت عالٍ.

أكدت سافاناه: "نعم، صحيح. لكنني مسرورة للقائك دايزي. إنها فتاة لطيفة جداً".

"لا شك في أن والدك نال ما يستحقه معها". قالت ألكسا ذلك ثم ابتعدتا عن دار العبادة.

"يبدو تعيساً جداً في معظم الأوقات، أو ربما لأنها غاضبة كثيراً من وجودي هنا. بالكاد تفوها بكلمتين لبعضهما منذ وجودي هنا، إلا حين يتشاجران".

"تبدو حياة ممتعة". كانت ألكسا مصدومة من اللقاء، وأصبحت عاجزة تقريباً عن الكلام لدى رؤيتها نظرة لويزا المليئة بالكراهية. إنها أسوأ مما تخيلت ألكسا؛ أسوأ بكثير.

تناولتا غداء لذيذاً في مقهى بايكر، وهو أحد المقاهي المفضلة عند ألكسا. قالت إنهم كانوا يأتون كثيراً إلى هنا حين كانت حاملاً بسافاناه. إنه أحد المطاعم القديمة التقليدية في تشارلستون، مع حديقة جميلة، وكان اليوم مشمساً وجميلاً. بعد ذلك، ذهبتا إلى الشاطئ، وعبرتا عدداً من الجسور الجميلة، ثم عادتا أخيراً إلى الفندق في وقت متأخر من بعد الظهر. لم ترغبا في الاعتراف بذلك، لكن عطلة نهاية الأسبوع شارفت على الانتهاء، وهذا ما جعلهما حزينتين جداً.

سألتها سافاناه وهي تبدو قلقة: "برأيك، متى يمكنك العودة ماما؟".

"لا أعرف. بعد أسبوع... أو اثنين... لكنني أمضيت وقتاً رائعاً معك حبيبتي. وقد أغرم مجدداً بتشارلستون، وأنا هنا معك. لكن، لا تفعلي مثلي. أريدك أن تعودي إلى المنزل بسرعة!".

"لا تقلقي ماما. لن أبقى هنا. الزيارة ممتعة، لكنني سأعود إلى نيويورك بأسرع ما يمكن. أودّ العودة الآن إلى المنزل إذا كنت تسمحين لي". لكنهما عرفتا كلتاهما أن هذه فكرة سيئة.

"لا تدعي الشريرة تنال منك". قالت ألكسا ذلك فيما ضحكت سافاناه على الوصف. "فليباركها الله، طبعاً".

وضبّت ألكسا حقيبتها، وأخذت معها كل الأغراض باستثناء تلك التي أحضرتها لسافاناه أو التي رغبت ابنتها في الاحتفاظ بها. يجب عليها الذهاب إلى المطار عند السادسة والنصف للسفر على متن رحلة الساعة الثامنة. عرضت عليها سافاناه الذهاب إلى المطار معها، لكن أمها لم ترغب في ذلك. فمن الأفضل بالنسبة إلى سافاناه أن تودعا بعضهما في الفندق، وأن تعود إلى المنزل مع طوم، بدلاً من الوقوف في المطار بمفردها حين تغادر أمها.

اتصلت سافاناه بوالدها مباشرة قبل أن تغادرا الغرفة وتنزلا إلى الأسفل لدفع الفاتورة. ارتاحت لأن أمها ستعود قريباً، وعرفت أنه عند بدء المحاكمة في شهر أيار/مايو، لن يكون هذا الأمر ممكناً. ولكن، على الأقل في شهري آذار/مارس ونيسان/أبريل، سوف تحاول ألكسا المجيء مرة كل أسبوعين، أو أكثر إذا استطاعت. لقد وعدتها بذلك، وهي تفي دوماً بوعدها.

وما إن دفعت ألكسا الفاتورة حتى دخل طوم ردهة الفندق. جاء من النادي وكان يرتدي سروالاً رياضياً قصيراً فأبعدت ألكسا عينيها عنه. فهي لا تريد أن ترى كم يبدو وسيماً، أو كم أن ساقيه جميلتان. لم تعد هذه مشكلتها، لكنها تعرف أن شيئاً فيه سيحرك دوماً مشاعرها. لكن لا شيء أكثر من ذلك.

"أراهن على أنكما أمضيتما عطلة نهاية أسبوع رائعة". قال وهو يبتسم لهما ابتسامة عريضة، ثم تعكّر وجهه قليلاً وهو يقول: "سمعت أنكما صادفتما لويزا ودايزي في دار العبادة". لامته زوجته كثيراً على ذلك، كما لو أنه خطط للأمر بنفسه. قالت له لويزا إنه يجدر به تحذير سافاناه من عدم الذهاب إلى أي مكان قرب دار العبادة الذي يقصدونه، فعلق بسخرية على تسامحها، وتخيل كم كان الأمر مزعجاً بالنسبة إلى ألكسا. وبدلاً من الشعور بالندم، أو الشعور بالأسف عليها، بدت لويزا وكأنها تحتاج إلى معاقبتها أكثر وسحقها تماماً. نظر طوم إلى ألكسا الآن كما لو أنه يعتذر عن ما حصل مع زوجته.

"لا بأس". قالت ألكسا فجأة، ثم حولت انتباهها إلى سافاناه لتوديعها. كانتا كلتاهما تكبحان دموعهما حين صعدت ألكسا إلى سيارة الأجرة للذهاب إلى المطار. وقفت سافاناه على الرصيف ولوّحت إلى أن اختفت أمها، ثم صعدت إلى سيارة والدها وتوجها إلى جبل بلازانت. كانت تشعر بالغرابة أحياناً لأن لديها والداً، وهي ليست معتادة على ذلك قطّ. أخبرته عن عطلة نهاية الأسبوع، وعن كل الأشياء التي فعلتاها.

أفرغت محتويات حقيبتها حين وصلا إلى المنزل، والأشياء الجديدة التي اشترتها لها أمها. دخلت دايزي الغرفة مسرعة وتحدثت إليها، واتصلت بها جوليان وفتاتان أخريان، ثم جاء ترايفيس وسكارلت لتناول العشاء. أحضرت سكارلت بعض المجلات لسافاناه، وأحضر ترايفيس صورة فوتوغرافية قديمة لها حين كان عمرها ثلاثة أعوام. حين هبطت الطائرة بألكسا في نيويورك، كانت سافاناه قد عادت إلى روتينها الجديد، وبطريقة غريبة، شعرت وكأنها في منزلها.

تلك الليلة، قالت دايزي لسافاناه إن أمها جميلة فعلاً وتبدو لطيفة، واعتذرت منها لأن أمها كانت حقيرة جداً.

"أظن أن أمي تغار من أمك". قالت دايزي بحكمة الأولاد الصغار.

"ربما". اعترفت سافاناه، ثم انفجرتا في الضحك فيما قالتا في الوقت نفسه: "فليباركها الله".

الفصل الثاني عشر

في اليوم الأول بعد عودتها من عطلة نهاية الأسبوع في تشارلستون، كانت ألكسا مشغولة مع عدد لامتناهٍ من رجال الشرطة والمحققين. بدأت الأمور كلها تنتظم في القضية، وقد حصلت على أدلة كافية لإغراق جودي دوانينغ. هناك الكثير من الأدلة الجنائية، والكثير من التقارير التي يمكن مراجعتها، بحيث شعرت محامية الدفاع العام بارتباك تام. أخذت ألكسا استراحة عند الغداء، وهذا أمر نادر بالنسبة إليها هذه الأيام، وذهبت إلى محكمة العائلات لرؤية أمها وتناول الغداء معها في مكتبها. بدت ألكسا في مزاج جيد.

"كيف كانت؟". سألتها أمها. وكانتا تتناولان سلطة من المطعم الموجود في الشارع نفسه.

قالت لها ألكسا: "أفضل مما اعتقدت. سافاناه بحالة جيدة. وصادفنا لويزا في أثناء خروجنا من دار العبادة. وكانت ساقطة حقيقية. لكن، باستثناء ذلك، كان كل شيء رائعاً. تشارلستون جميلة كما في السابق، أمضيت وسافاناه وقتاً رائعاً مع بعضنا. صادفت صديقة قديمة هناك، تخلت عني حين طلقني طوم، وكانت حقيرة فعلاً. لكن، في الإجمال، كان كل شيء جيداً".

"أخبرتك. هذا مثير لها، ومن المفيد بالنسبة إليها أن تكتشف الجانب الآخر من عائلتها. إنها فتاة ذكية، سوف تعرف ماذا تختار. لن يستطيع أحد خداعها. يبدو وكأن طوم قد اشترى لنفسه بطاقة ذات اتجاه واحد إلى الجحيم مع لويزا. لماذا يبقى معها؟".

"ربما للسبب نفسه الذي دفعه إلى العودة إليها". قالت ألكسا بذكاء. "لأنه جبان. حين تركني، فعل ما طلبت إليه أمه ولويزا فعله، وهي تمسك الآن بحنجرته". أو أسوأ.

"كيف يبدو؟". سألت موريال باهتمام، وضحكت ابنتها. كانت معنوياتها جيدة. لقد أفادتها كثيراً رؤية سافاناه.

"إنه وسيم وضعيف. أظن أنني لم ألاحظ ذلك من قبل قطّ. لا يزال أجمل رجل في العالم، لكنني أعرف حقيقته الآن، ومن يكون. أظن أنني سأعتبره دوماً فاتناً، لكنني أحمد الله لأنني لم أعد مغرمة به. هذا شيء مهمّ على الأقل". بدت أكثر حرية وأقل غضباً مما كانت عليه طوال أعوام. ليست متوترة جداً، على الرغم من الضغوط التي تواجهها في قضية كانتن. إنها تعمل عن كثب مع مكتب التحقيقات الفدرالي، الذي لم يعد يهدد الآن بسحب القضية منها كل خمس دقائق، وباتت تستمتع بالعمل مع أفراده. لا توجد إناث في القضية، ولم تمانع كونها المرأة الوحيدة في عالم من الرجال. أحبت ذلك. وكان العمل ممتعاً مع وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي.

فيما عادت ألكسا إلى العمل، كانت سافاناه مشغولة في المدرسة في تشارلستون. أضافت صف اللغة الصينية إلى صف اللّغة الفرنسية، وكانت تستمتع بتعلم اللغة. لم تكن تحتاج إليها للتخرج، وبالتالي لا يوجد ضغط عليها. وتعرّفت إلى الكثير من الأصدقاء في المدرسة. كانت تلتقي جوليان على الغداء كل يوم تقريباً.

ذهبت إلى كل مباريات كرة الطائرة وكرة القدم، وشجعت فرقهم. وسمحوا لها بالانضمام إلى فريق السباحة بعد انسحاب واحدة منه بسبب مشاكل في أذنيها.

وفي عطلة نهاية الأسبوع التي تلت مجيء أمها، طلب كابتن فريق كرة القدم من سافاناه الخروج في موعد معها. وكاد يغمى على جوليان حين سمعت ذلك، إذ كان قد انفصل للتو عن أجمل فتاة في المدرسة.

وحين أخبرت سافاناه جوليان بذلك، سألتها هذه الأخيرة وهي منقطعة الأنفاس: "هل ستخرجين معه".

"ربما. ليس لدي شيء آخر لفعله". وبدت عادية جداً.

اصطحبها لمشاهدة فيلم سينمائي ليلة الجمعة، وبعد ذلك، توقفا أمام مقهى. كان اسمه تورنر آشبي، وهو متحدّر من سلالة جنرال يحمل الاسم نفسه، حسبما أبلغها في أثناء تناول البرغر وشرب العصير.

"يبدو أن الجميع هنا مرتبطون بجنرال ما". علّقت سافاناه. كانت ترتدي كنزة أمها الوردية وسروال جينز، وتنتعل حذاء ذا كعب عال. كانت تبدو مختلفة عن الفتيات في تشارلستون حين ترتدي ثيابها الأنيقة. تملك ذوق نيويورك وكانت تضع ما يكفي من مستحضرات التجميل، ولكن ليس كثيراً. بدا مفتوناً بها.

شرح لها: "هذا مهم كثيراً هنا".

"أعرف. جدتي هي الرئيسة العامة لاتحاد الفتيات في الكونفدرالية. إنها الرئيسة العامة لأنها متحدرة من عائلة جنرال أيضاً". ابتسمت سافاناه ابتسامة عريضة. إنها لا تسخر منهم، لكنها تجد الأمر مضحكاً. إنه شاب وسيم ذو شعر داكن وعينين خضراوين، وهو الولد البكر بين أربعة صبيان. "إلى أيّ جامعة تفكر أن تذهب؟". سألته باهتمام حقيقي. لاحظت أن معظم الأشخاص الذين تحدثت إليهم تقدموا بطلبات إلى جامعات جنوبية.

"أفكر في الذهاب إلى جامعة جورجيا للتكنولوجيا، أو ربما إلى جامعة تكساس. تقدمت بطلب إلى ديوك وجامعة فيرجينيا، لكنني لا أظن أن علاماتي جيدة بما فيه الكفاية لقبولي فيها. ماذا عنك أنت؟".

"أودّ فعلاً الذهاب إلى برنستون. إنها قريبة من منزلي، وهذا جميل، وأحببت الجامعة. أحببت براون أيضاً. أظن أن هارفارد ستكون جدية جداً، وربما لن يتم قبولي هناك. أحببت ستانفورد، لكن أمي لا تريدني أن أكون بعيدة إلى هذا الحد". ذكرت كل لائحتها.

"هذه لائحة بأهم الجامعات الشمالية". قال وهو يبدو متأثراً. إنها ذكية وإنما غير متعجرفة، وأجمل فتاة رآها في حياته.

أعادها إلى منزلها بكل احترام عند الساعة العاشرة والنصف. واستمتعت برفقته وبالفيلم السينمائي الذي شاهداه، وقالت له إنها ستراه في المدرسة.

في صباح اليوم التالي، اتصلت بها جوليان عند انبلاج الفجر لتسألها عن سير الأمور.

"كان الأمر ممتعاً". قالت سافاناه ذلك وهي تقهقه، وبدت أصغر من عمرها، وأشبه بدايزي نوعاً ما.

"فقط؟ خرجت مع أجمل شاب في المدرسة وكان الأمر ممتعاً؟ هل قبّلك؟". أرادت جوليان كل التفاصيل. تعلمت ذلك من أمها. تبادل الأقاويل مهنتهما.

"طبعاً لا. فنحن لا نعرف بعضنا. بالإضافة إلى ذلك، من السخافة التورط مع أي كان الآن. سوف نغادر إلى الجامعة وأنا هنا لأشهر قليلة فقط". إنها عملية. لا تتطلع إلى الرومنسية، وإنما فقط إلى الصداقة، ما جعلها أكثر جاذبية. فهي لا تشعر باليأس مثل بعض الفتيات في المدرسة اللواتي يبحثن دوماً عن أحباب.

"ما من شيء سخيف في الخروج مع تورنر آشبي. هل تعرفين أن والده يملك آبار نفط في كل بيلوكسي؟ تقول أمي إنه أحد أغنى الرجال في الولاية، وهو ظريف جداً، وهو كابتن فريق كرة القدم أيضاً. ماذا تريدين أكثر من ذلك؟". كانت سافاناه مدركة تماماً أن لعب كرة القدم لن يوصله إلى مراتب مهمة في الحياة، إذ إنّ هناك حاجة إلى أكثر من ذلك. وهي لا تهتم بآبار نفط والده أيضاً. "هل طلب الخروج معك مجدداً؟".

"لا. لا تكوني سخيفة. خرجت معه فقط الليلة الماضية". كانت مرتاحة جداً حيال الموضوع.

"سيفعل ذلك. يحب الشباب دوماً الفتيات مثلك اللواتي لا يكترثن بهم".

"لم أقل ذلك. استلطفته. لكن لن يجنّ جنوني مثلك حيال الموضوع". قالت ممازحة.

"أراهــن علــى أنــه سيطلب الخروج معك في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة". قالت جوليان وهي تبدو متفائلة.

"أتمنـــى ألا يفعل. أظن أن أمي آتية. قالت إنها ستحاول، لكنها قد لا تنجح في المجيء إلا في عطلة نهاية الأسبوع التالية".

أصـــدرت جوليان صوت اشمئزاز. "مع من تفضلين الخروج أكثر؟ تورنر آشبي أو أمك؟".

أجابت سافاناه من دون تردد: "أمي".

"أنــت مريضة". وعدتها جوليان بالاتصال بها مجدداً في وقت لاحق من النهار لمعرفة ما إذا كان تورنر قد اتصل بها.

كانت دايزي العضو التالي في فريق الاستجواب.

"مــن كــان الشاب الذي جاء لاصطحابك في الليلة الفائتة؟". سألتها بعفوية في أثناء تناول الفطائر في المطبخ.

"مجرد شاب من المدرسة".

"فقــط؟". ســألت دايــزي وهي تبدو خائبة الأمل. "هل هو مغرم بك؟".

"لا". أجابت سافاناه وهي تبتسم. "إنه بالكاد يعرفني".

"هل أنت مغرمة به؟".

"لا. لا أعرفه أنا أيضاً". قالت وهي واثقة من نفسها.

"إذاً لماذا خرجت معه إذا كنت غير مغرمة به؟". سألت دايزي وهي تبدو مشمئزة.

"لأنـــنا أردنا تناول العشاء معاً ومشاهدة فيلم سينمائي. وتصورت أنه يمكننـــي فعل ذلك معه لأنه طلب مني ذلك". أومأت دايزي برأسها لأن ما قالـــته ســـافاناه كان منطقياً لكنها وجدت الأمر غير رومنسي. وفيما كانتا تتحدثان دخل والدهما، وهو يرتدي ثياباً رياضيّة.

"هـــل الشاب الذي رأيتك تخرجين معه ليلة البارحة من آل آشبي؟". سأل باهتمام، وبدا جلياً أن حياتها العاطفية هي حديث الموسم.

"نعم".

"هل هو شاب لطيف؟".

"أظن ذلك. يبدو هكذا". اعترفت سافاناه.

"أنـــا ألعب كرة المضرب مع والده. واجهوا بعض الأوقات الصعبة، فلقـــد توفـــيت زوجته في العام الماضي. صدمها سائق ثمل على الطريق الـــسريع 526، علـــى مسافة خمسة أميال من المنزل. لا بد من أن الأمر صعب على الأولاد".

"لـــم يقـــل أي شيء عن ذلك. تحدثنا فقط عن المدرسة". أومأ طوم برأسه، وأخبرها أن هنري سيأتي من نيو أورليانز بعد ظهر اليوم.

"إنـــه يـــتوق لرؤيتك. سيكون في المنزل الليلة عند العشاء. وسيأتي ترايفيس وسكارلت أيضاً. سوف تجتمع كل العائلة". قال وهو يبدو سعيداً، فـــيما دخلـــت لويـــزا إلى المطبخ وتجاهلته. قالت إنها ستذهب إلى النادي الرياضـــي لتمـــضية يوم صحي مخصص للنساء فقط. فقال لها طوم إنه سيحضر هنري من المطار، وقالت لويزا إنها ستكون في المنزل في وقت متأخـــر مـــن بعد الظهر. تركت المنزل بعد خمس دقائق، وحين أصبحتا بمفـــردهما مجـــدداً، عرضـــت سافاناه على دايزي اصطحابها إلى حوض الأســـماك؛ الأمـــر الذي بدا ممتعاً لهما معاً. وكان حوض الأسماك يعرف بحوض أسماك كارولينا الجنوبية، ويقال إنه جيد جداً.

تـــركت ودايزي المنزل عند الساعة الحادية عشرة، وتجولتا في كل حـــوض الأسماك، وتناولتا الغداء هناك وعادتا عند الساعة الثالثة من بعد الظهر. فقالت لهما تالولاه إن والدهما قد غادر للتو لإحضار هنري، ولذلك لعبـــتا معـــاً بألعاب عدة، وبعد الخامسة عصراً بقليل، دخل طوم وهنري. نـــزلت دايـــزي الـــسلالم بسرعة لإلقاء التحية على أخيها. إنه أصغر من ترايفيس بسنة واحدة، وهو شاب وسيم ذو بنية رياضية قوية. لقد لعب كرة

القدم في الجامعة، وذهب إلى جامعة ديوك بدلاً من جامعة فيرجينيا. عرفت سافاناه أنه يدرس التاريخ، ويريد في النهاية أن يعلّم. لم يكن مهتماً بالأعمال مثل أخيه البكر أو والده، وهو يعمل في معرض فني مهم في نيو أورليانز، وفي متحف. إنه مهتم بمساعدة رجال الدين أيضاً.

بعدما عانق هنري أخته الصغرى بقوة، نظر إلى السلالم ورأى سافاناه تبتسم له. لم تكن تبدو مختلفة عما كانت عليه عندما كانت فتاة صغيرة – مثلما قال لها ترايفيس قبلاً – وإنما فقط أكبر حجماً.

"أنا سعيد جداً برؤيتك". قال هنري بنعومة وهو يصعد السلالم إلى حيث كانت واقفة وعانقها بشدة. "أنا مسرور جداً لوجودك هنا. أخبرني ترايفيس ودايزي كل شيء عنك. جئت إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع هذه لأراك". وصدقته حين قال ذلك. نزلا السلالم مع بعضهما وتوجها إلى غرفة الجلوس. لحسن الحظ، لم تعد لويزا بعد إلى المنزل، وإلا كانت ستعارض اهتمامه بسافاناه. إلا أن هنري لم يكن يبالي، فهو لم يتفق مع أمه قطّ.

جلسا وتحدثا لبعض الوقت، وطرح أسئلة محددة، حول ما تحبه، وما تفعله، وحول الموسيقى المفضلة لديها، وكتبها وأفلامها المفضلة، وأسماء أصدقائها. أراد أن يعرف كل شيء عنها، وارتسم الحزن في عينيه حين سألها عن أمها.

"لم أكن أحب الكتابة حين كنت صغيراً، ولذلك لم أراسلها. لكنني فكرت دوماً فيها، وفيك. لقد فعلت أمك شيئاً مميزاً جداً لي حين كانت متزوجة من بابا". قال بحزن، كما لو أنه على وشك البوح بسرّ مهم. "كنت أعاني من صعوبة في القراءة، وقد علّمتني أمك طوال كل تلك السنوات. كنت أكره معلمتي، فتولت هي المهمة. أظن أنها تلقت دروساً لمعرفة كيفية فعل ذلك. على أي حال، وبفضلها هي، نجحت في المدرسة. لن أنسى ذلك أبداً. كانت المرأة الأكثر لطفاً وصبراً التي عرفتها في حياتي، وكلها حب وحنان". كان طوم يقف قرب الباب وسمع

هنري وهو يقول ذلك، فابتعد وهو متألم. ولم ينتبه هنري أو سافاناه إلى وجوده هناك قبل أن يختفي.

قالت سافاناه بصراحة: "لم تخبرني بذلك قطّ. هذا جيد جداً، فلقد تم قبولك في ديوك".

أكّد لها: "إنها جامعة جيدة".

تابعا الحديث، وأخيراً عادت لويزا إلى المنزل بعد انتهاء يومها الصحي. جاءت لتقبّل ابنها، ثم صعدت بسرعة إلى الأعلى لتبديل ملابسها. لم تسعد حين رأته يتحدث إلى سافاناه، لكنها لم تعلّق، ووجدت زوجها حزيناً في غرفتهما. لقد نسي كيف اهتمت ألكسا بهنري طوال كل تلك السنوات، وكم كانت حنوناً معه. وشعر بالحزن عندما تذكر ذلك.

سألته لويزا بعد أن لاحظت كم هو حزين: "ما خطبك؟".

"لا شيء. أفكر فقط. كيف كان يومك الصحي؟".

"كان ممتعاً جداً، شكراً". قالت بجفاف. فهي لم تكن تنوي التودد إليه مجدداً قبل أن تعود سافاناه إلى نيويورك. إنها تنوي معاقبته طوال الوقت، لتلقينه درساً. أرادت أن تصله الرسالة بوضوح وبصوت عالٍ كي لا يحضرها مرة أخرى. لن تتساهل حيال وجود ابنة ألكسا في منزلها. لكن ما بيدها حيلة لغاية الآن.

تلك الليلة، كان الجو خلال العشاء مرحاً وعفوياً بفضل هنري. فلقد أخبر نكاتاً مضحكة، وأجرى إيماءات هستيرية ومازح الجميع، بما في ذلك أمه. أما ترايفيس فكان أكثر تحفظاً، بالرغم من أنه شخص لطيف أيضاً. أحبت سكارلت أخ زوجها المستقبلي، ومازحها أيضاً من دون رحمة، بشأن حجم الزفاف. قالت سكارلت إن إخوتها الأصغر سناً يفعلون الشيء نفسه. هنري في الرابعة والعشرين ويبدو شاباً، لكن ثمة شيء أكثر تكلفاً فيه. تساءلت سافاناه إذا كان العيش في مدينة أخرى قد مكّنه من التعرّف إلى العالم. بعكس ترايفيس الذي لا يزال يعيش في

الـــشرنقة العائلية في تشارلستون. وحتى والدهم فعل ذلك طوال حياته. وحـــده هنـــري ترك المنزل فعلياً، بالرغم من أنه اختار مدينة جنوبية أخرى. إلا أن نيو أورليانز أكبر وأكثر تكلفاً من تشارلستون، وبدا أنه يمضي الكثير من الوقت في لندن ونيويورك. وهو يعرف جميع الأماكن المفضلة عند سافاناه في نيويورك.

نظـــراً لتـــسلم هنري دفة معظم الحديث، كان الجميع في مزاج جيد، حتـــى أمه. سألته في نهاية العشاء عن تلك الفتاة الظريفة التي خرج معها في الصيف السابق، فوجه إليها نظرة غريبة.

"إنها بخير ماما. عقدت خطوبتها للتو".

"أوه أنا آسفة". قالت ذلك بنبرة متعاطفة معه، وضحك.

"لا داعـــي لذلك". تحدث هنري كثيراً عن شخص اسمه جيف يعيش معه في الغرفة نفسها. يبدو أنه من كارولينا الجنوبية، وقاما برحلات عدة في الآونة الأخيرة. لم تسأله لويزا عنه.

عـــندما أنهـــوا العشاء، كان الجميع متألماً من كثرة الضحك، وبعدما عـــادوا إلى غرفة الجلوس، لعب هنري الورق مع الفتاتين. كانوا ما زالوا يلعبون الورق حين تمنى لهم طوم ولويزا ليلة سعيدة وصعدا إلى الأعلى. غـــادر تـــرايفيس وســـكارلت حيـــنها، لأنه ستقام حفلة فطور على شرف سكارلت في اليوم التالي. قالت إنها كانت تودّ دعوة سافاناه، لكنها ستضجر كثيـــراً. وكان ترايفيس قد أخبرها سابقاً أنه من الأفضل عدم دعوة سافاناه وإلا ســـتموت أمـــه، ولذلك لم تفعل. وبالرغم من أنها شعرت بالامتعاض حيال ذلك، إلا أنها نفذت ما قاله ترايفيس.

كانـــت لويـــزا تودّ إبقاء هنري بعيداً عن سافاناه أيضاً، ولكن لا توجد طريقة جلية لإقصائها عن السهرة، وعرفت أن هنري سيعارض وسيتهمها بالفظاظة. فهو لا يتردد أبداً في مواجهتها، وفي القول لها إنه لا يحـــب سلوكها؛ إذ إنه لا يخاف منها. وقد أخبرته دايزي مسبقاً عبر الهاتف أن أمهم مريعة معها، ولذلك حرص على التصرف مع سافاناه

خلال العشاء بلطف شديد. وحين قال لها إنه جاء خصيصاً لرؤيتها كان ذلك صحيحاً.

نامـــت دايـــزي فـــي أثناء لعب الورق، فحملها هنري برفق إلى سريرها في الأعلى، فيما ذهبت سافاناه إلى غرفتها. طرق هنري على باب غرفتها ليرى إذا كانت تستطيع استقباله. كانت ترتدي ثوب نومها، وتنظف أسنانها حين دخل. توجه مباشرة إلى الحمام للثرثرة معها، مثل أخ حقيقي.

"أحـــب أن تكون لدي أخت أخرى، أستطيع التحدث إليها فعلاً". قال وهو يبتسم لها في مرآة الحمام. "لقد غبت فترة طويلة جداً".

جلسا في غرفتها وتحدثا أكثر. قال إنه يريد الانتقال إلى نيويورك أو لندن بعد سنوات قليلة، حين يحسم ما إذا كان يريد العمل في معرض فني أو متحف أو مدرسة. لكن العمل في المجال الفني هو حلمه.

"ألا تـــريد العودة إلى هنا؟". بدت متفاجئة. كان يبدو بالنسبة إليها أن الأشـــخاص فـــي الجنوب يحبون البقاء قرب منازلهم والتشبث بجذورهم، حسبما رأته لغاية الآن.

"هذا صغير جداً بالنسبة إليّ. إنها مدينة صغيرة جداً. وبما أنني رجل ذو سلوك غير سويّ فهذا يجعل الأمر معقداً جداً بالنسبة إليّ هنا". فنظرت إليه بدهشة.

"حقاً؟". لم تتصور ذلك، فلقد سألته أمه عن فتاة خرج معها في العام الماضي.

"كنت أخرج مع جيف. أخبرت أهلي بأنني كذلك حين كنت في الثامنة عشرة. لم يتحمس بابا، ولكن لا مشكلة لديه. وتتصرف أمي وكأنها نسيت أو لا تعـــرف، مهمـــا حاولت تذكيرها؛ مثل سؤالها عن تلك الفتاة في أثناء تـــناول العـــشاء. تعرف أنني لا أخرج مع النساء. عرفت حالتي بعد سنة تقـــريباً مـــن رحيل أمك، حين كان عمري خمسة عشر عاماً. وفي عمر السادسة عشرة، أصبحت واثقاً من ذلك. لا يفترض أن تكون القصة كبيرة،

لكنها كذلك بالنسبة إلى بعض الأشخاص؛ وأمي واحدة منهم. سوف تستمر في سؤالي عن النساء اللواتي أخرج معهن إلى أن يصبح عمري مئة عام. ربما تأمل في أن *أشفى*. فكوني ما أنا عليه لم يكن ببساطة من ضمن خطتها. أظن أنها ارتاحت لأنني لا أعيش في تشارلستون. سيكون الأمر محرجاً كثيراً بالنسبة إليها، وصعباً جداً عليّ. ما زالت تكذب على صديقاتها".

"كم هذا غريب". قالت سافاناه وهي تبدو مرتبكة. "وما الفرق بالنسبة إليها؟".

"ليس هذا *طبيعيًا* – مثلما تقول – أو *صحيحًا*. لكنه كذلك بالنسبة إليّ".

"هذا أنت". قالت سافاناه وهي تبتسم له. "لا يفترض أن تكون المسألة مهمة. هل تعرف دايزي بذلك؟". سألت وهي تشعر بالفضول.

"سوف يقتلونني إذا أخبرتها، لكنها ستعرف في يوم ما. لا أظن أن ترايفيس متحمس كثيراً للأمر أيضاً. إنه يشبههم أكثر مما يشبهني. إنه ولد محدود التفكير يريد فعل كل ما بوسعه لجعلهم سعداء وراضين عنه. أنا كنت سأنتحر إذا تزوجت سكارلت. لكنها مناسبة له، إنها فتاة جنوبية لطيفة".

"تبدو مثل أهل الشمال". مازحته سافاناه.

"أنا كذلك ربما في قلبي. هناك الكثير من النفاق هنا وأنا لا أحب ذلك، أو ربما كانت المدينة صغيرة. أكره رؤية الأشخاص الذين يخفون حقيقة تفكيرهم ومشاعرهم، لمجرد التصرف بتهذيب. هناك الكثير من هذا هنا. يكون كل شيء جيداً في حال وجود اثنين من جنرالات الكونفدرالية في العائلة، ولكن ليس ولداً كهنري، على الأقل ليس في هذه العائلة. يتحملون الأمر، لكنهم لا يحبونه. ومن يعلم، ربما كان كل أولئك الجنرالات مثلي". ضحكا معاً، ثم أصبح جدياً مجدداً. "ما كانت أمك لتهتم بالأمر. إنها أكثر النساء حناناً من بين اللواتي عرفتهن. لم أكن أعرف

حالتي حين كانت هنا، لكنني تساءلت بعد ذلك إذا كانت قد عرفت قبلي. إنها ذكية جداً".

أومأت سافاناه برأسها، وهي فخورة بأمها.

"هل أمك بخير؟". سألها وأومأت سافاناه برأسها. "لقد تألمت كثيراً من ماما وبابا. فهمت أنها لم تتزوج مجدداً حسبما قال ترايفيس في ذلك اليوم. فلقد سألته".

قالت سافاناه: "لا، لم تتزوج. لكنها في التاسعة والثلاثين فقط. إلا أنها لا تزال غاضبة جداً من والدك، أو متألمة حسبما أظن". قالت بصراحة.

قال بصراحة هو أيضاً: "لديها الحق في الشعور بذلك. لقد أفسدت أمي حياتها فعلاً، وتخلى والدي عنها. أظن أن علاقتهما كانت خسيسة منذ ذلك الحين، لكن بابا حافظ عليها، وأمي تسيطر عليه. تخلت عنا جميعاً حين تركت بابا، ونسي الجميع ما فعلته. هكذا هي الأمور". بدا غير موافق على ذلك.

اعترفت سافاناه: "لاحظت ذلك. إنها غاضبة جداً مني".

"هذا مؤسف جداً. كان يجدر به إحضارك إلى هنا قبل أعوام عدة. أشعر بالمرارة لأنني لم أتمكن قطّ من الوصول إليك أو إلى أمك. أنا سمحت بذلك أيضاً. كان عمري أربعة عشر عاماً حينها، وكرهت ما فعلوه. ثم، لا أعرف كيف، جاءت الثانوية والجامعة والحياة. لم أفعل قطّ أي شيء حيال ذلك. لكنني مسرور لأنك هنا. أتمنى أنّ أتمكّن من رؤية أمك أيضاً في يوم من هذه الأيام. هناك الكثير من الأمور التي أريد إخبارها بها".

"ستحاول أن تزورني مرة كل أسبوعين. أمضينا وقتاً رائعاً في عطلة نهاية الأسبوع الماضية. لم تكن تريد العودة إلى هنا، لكنها فعلت".

"لا بد من أن الأمر قاسٍ عليها". فأومأت سافاناه برأسها. كانا يفكران في ألكسا، ثم نهض هنري أخيراً وعانقها وذهب إلى غرفته. تلك الليلة،

نامت دايزي في سريرها. واستلقت سافاناه تحت الأغطية وهي تفكر في ما أخبرها إياه هنري. فهي لم ترَ أنّ ما أخبرها إياه يحدث فرقاً بالنسبة إليها. لكنها من نيويورك وليست من تشارلستون، والأمور مختلفة هنا.

الفصل الثالث عشر

ومثلما توقعت جوليان، طلب تورنر آشبي الخروج مع سافاناه مرة أخرى. ذهبا لتناول العشاء في مطعم يقدم ثمار البحر، وتحدثا أكثر عن أمور شخصية. أخبرها عن خسارته أمه في العام الماضي. قال إنهم يبلون حسناً، لكن الأمر كان صعباً على والده وإخوته الأصغر سناً. تلألأت الدموع في عينيه حين قال ذلك، بحيث بدا جلياً أن الأمر كان صعباً عليه أيضاً، لكنه لم يقل ذلك. فهو لا يريد أن يبدو ضعيفاً أمامها. قال تورنر إنه مسرور بالذهاب إلى الجامعة، لأن التواجد في المنزل محزن جداً من دونها. وأخبرته سافاناه عن الترعرع من دون والد. وافقا على أنه من الجيد بالنسبة إليها التعرف إليه الآن، بالرغم من صعوبة التعاطي مع زوجة أبيها الشريرة. أخبرته سافاناه عن الأمر وكان مصدوماً، بالرغم من أنه لم يستلطفها قطّ، ولطالما اعتقد أنها متعجرفة. وها هو الآن يعرف أنها فظة أيضاً وقاسية.

كان تورنر شخصاً لطيفاً ومهذباً ومحترماً، وعاملها باللباقة التي يشتهر بها أهل الجنوب. قال إنه يستمتع فعلاً بصحبتها، ويريد رؤيتها بتواتر أكبر، لكنها قالت إن أمها ستأتي لزيارتها في عطلة نهاية الأسبوع القادمة. سألها إذا كانت تمانع أن يمرّ إلى المنزل في وقت ما، وقالت إنه لا بأس في ذلك. كان الأمر أشبه ما يكون بمغازلة قديمة الطراز بدلاً من مواعدة بين تلميذين في الثانوية. لكنّه قبّلها في نهاية الموعد الثاني، الأمر الذي أعجب سافاناه كثيراً. إنهما يمضيان وقتاً ممتعاً مع بعضهما، ووعدته بأن تعرّفه إلى أمها حين تأتي إلى المدينة.

أخبرت سافاناه ألكسا عن كل ذلك، فبدأت تشعر بالتوتر مجدداً. ماذا لو وقعت سافاناه في الحب؟ ماذا لو تزوجا وبقيت في تشارلستون؟ وحين نقلت مخاوفها إلى أمها ضحكت عليها هذه المرة.

"عمرها سبعة عشر عاماً فقط. لن تذهب إلى أي مكان. إنهما يستمتعان فقط". أدركت ألكسا أن هذا صحيح وهدأت.

كانت أعصابها متوترة جداً هذه الأيام. فالمحاكمة بعد سبعة أسابيع، وهناك ألف تفصيل في عقلها. لم يظهر المزيد من الضحايا، وهي تحضّر لقضيّتها بدقة لامتناهية.

في اليوم الذي تلا خروج سافاناه مع تورنر آشبي، ذهبت بمفردها لرؤية جدتها. كان لديها وقت فراغ بعد الظهر، وفكرت في أن الأمر سيكون ممتعاً، رغم أنها تساءلت إذا كان يجب الاتصال بها أولاً. وجدتها بمفردها على المصطبة، نائمة على الكرسي الهزاز وهي تحمل كتاباً في يدها. فتحت أوجيني عينيها ما إن سمعت خطوات على المصطبة، وتفاجأت لدى رؤيتها سافاناه تنظر إليها، وهي مرتدية كنزة صفراء وسروال جينز.

"ماذا تفعلين هنا؟". سألتها جدتها وهي مذهولة لرؤيتها في منزلها.

"ظننت أنك قد ترغبين في زيارة، ولذلك جئت". قالت سافاناه بحذر، فيما قطبت جدتها حاجبيها.

"كان يجدر بك الاتصال أولاً. لا نحب الأساليب الشمالية هنا. الجنوبيون مهذبون". وبختها.

"أنا آسفة". بدت سافاناه متأسفة فوراً ومجروحة المشاعر نوعاً ما. "سوف أعود مرة أخرى بعد أن أتصل أولاً". همّت بالمغادرة لكن جدتها أشارت بصرامة إلى كرسيّ.

"لا. أنتِ هنا الآن. اجلسي. لماذا جئت؟". كانت فضولية حيالها، وبدت سافاناه خائفة. جدتها مرعبة، حتى لو كانت سيدة عجوزاً.

"رأيت أنه من اللطيف أن أقوم بزيارة. أحب سماع كل القصص عن الحرب، والجنرالات، والمعارك. لا نتعلم الكثير عن ذلك في نيويورك".

هذا صحيح، لكنها جاءت تحديداً لتكون لطيفة مع امرأة عجوز، لكنها لا تستطيع قول ذلك لها.

"ماذا تودّين أن تعرفي؟". ابتسمت جدتها واحتارت من طلبها هذا. في النهاية، ثمة دم جنوبي في عروقها.

"أخبريني عن عائلتك. فهذا جزء من تاريخي أيضاً".

"نعم، صحيح". اعترفت أوجيني، وأحبت فكرة مشاركة ذلك مع هذه الفتاة الشابة. إنها أفضل طريقة ليتم تذكر الأسلاف ونقل التاريخ، عبر إخبار القصص من جيل إلى آخر.

بدأت بجد جدها، حين جاء من فرنسا، وسردت أخبار أجيال عدة، وزيجات، وجنرالات، حين جاءوا إلى تشارلستون، ومقدار الأراضي التي امتلكوها، وعدد العبيد لديهم. لم تعتذر عن ذلك، بل قالت إن ذلك كان ضرورياً لزراعة الأرض، وإنّ عدد العبيد الموجودين عند المرء كان يعتبر جزءاً من الثروة في تلك الأيام. جفلت سافاناه عند سماعها ذلك. إنها فكرة جديدة بالنسبة إليها، ولم تحبها.

وصلتا في النهاية إلى الحرب الأهلية، وأشرقت عينا أوجيني. كانت تعرف التاريخ جيّداً، وتعرف التفاصيل عن كل معركة أساسية في الجنوب، وكل المعارك التي جرت في تشارلستون وحولها، ومن ربحها ومن خسرها. أضافت قصصاً شخصية عن أشخاص تزوجوا، ثم ترملوا، ثم تزوجوا مجدداً. كانت موسوعة حيّة للحرب الأهلية وتاريخ تشارلستون، وذهلت سافاناه وهي تصغي إليها. تملك جدتها ذاكرة جيدة للتواريخ والتفاصيل، وتحدثت طوال ساعات. لم يستمع إليها أحد من قبل بمثل هذا الانتباه طوال هذه المدة. كان قد حلّ موعد العشاء حين توقفت. استعادت حيويتها بتذكر كل تفصيل وبمشاركته مع سافاناه. ووعدتها بمشاركتها بعض الكتب أيضاً. أحبت سافاناه ذلك، وأحبت فكرة كونها على صلة ببعض أولئك الأشخاص. إنه جزء مختلف تماماً من حياتها، وتاريخ لم تعرف عنه أي شيء قطّ، وما كانت لتعرفه لو لم يكن محفوراً في ذاكرة جدتها.

شكرتها سافاناه كثيراً قبل أن تغادر، وساعدتها على الدخول إلى الردهة الصغيرة حيث تحب الجلوس ليلاً، وتركتها مع إحدى خادمتيها العجوزين وقبّلت وجنتها.

"إنه دم كارولينا الجنوبية ذاك الذي يجري في عروقك، ولا تنسي ذلك! ليس هناك دم شمالي في داخلك!". ذكّرت سافاناه.

"نعم جدتي". قالت سافاناه وهي تبتسم لها. لقد أمضت بعد ظهر رائع، وكانت لا تزال تفكر في الأمر حين عادت إلى منزل *الألف سنديانة*.

سألتها دايزي عن سبب تأخرها، فقالت سافاناه بهدوء إنها ذهبت لرؤية جدتهما.

"بمفردك؟". بدت دايزي متفاجئة فيما أومأت سافاناه برأسها. "الجو مضجر جداً هناك!". تكره دايزي الذهاب لرؤيتها، إذ لا يوجد شيء بإمكانها فعله هناك، وجدتها عجوز جداً. وهي تكره كل أمور *الجنرالات* التي تتحدث عنها جدتها.

قالت سافاناه: "لا، ليس مضجراً. تعرف كل شيء عن كل شيء وعن كل شخص في الجنوب. تعلمت الكثير". كشّرت دايزي استجابة على ذلك. إذ لم تكن تستطيع التفكير في طريقة أسوأ لتمضية فترة بعد الظهر. عندما حاولت جدتها إخبارها عن جذورها، لم تشأ أن تعرف. كانت تفضل البقاء في المنزل ومشاهدة التلفاز. أما سافاناه، الأكبر منها بسبع سنوات، فقد امتصت المعلومات مثل الإسفنجة.

تلك الليلة، ذهب والدا دايزي إلى حفلة عشاء مع بعضهما لأول مرة، ولذلك لم يتسنَّ الوقت لسافاناه لتخبر والدها عن زيارتها لجدتها. إلا أن أمه أخبرته في اليوم التالي حين مرّ لرؤيتها بعد الغداء.

"إنها فتاة جيدة جداً". قالت أوجيني وهي تنظر إليه. لم يعرف عمن تتكلم، وظنّ أنها الخادمة التي تتحدث عنها عادة بهذه الطريقة. وهي تقول أيضاً عن الموظفين الذكور إنهم *صبيان*، الأمر الذي يبدو فظاً. لكن، هذه هي طريقتها.

"من؟". قال طوم وبدا أنه لم يفهم.

"ابنتك". وشاهد في عينيها بريقاً لم يرَه منذ فترة.

"دايزي؟".

"سافاناه! جاءت إلى هنا لتلقي درس في التاريخ، عن الجنوب. إنها تصغي بانتباه وتتذكر كل شيء. إنه الدم الجنوبي ذاك الذي يجري في تلك العروق الشابة. أرادت أن تعرف كل شيء عن عائلتنا، وأكثر. إنها فتاة مميزة جداً".

"أعرف ذلك. هل جاءت إلى هنا بمفردها؟". قال وهو يبدو مذهولاً.

صرخت أمه في وجهه: "طبعاً. هل تعتقد أن زوجتك قد أحضرتها إلى هنا؟ سوف تدفعني لويزا إلى الجنون إذا لم تتوقف عن التذمر من تلك الفتاة". بدت أمه مستاءة من ذلك وهزّت رأسها، مما فاجأه أيضاً.

"هل اتصلت بك لهذا الشأن؟". بدا طوم منزعجاً. كان يعرف أن لويزا قد اتصلت بها مرة واحدة بشأن سافاناه، ولكن ليس أكثر من ذلك.

"كل ليلة تقريباً. تريدني أن أستعمل نفوذي عليك لإعادتها. ليس هذا عدلاً إذا كانت حياتها في خطر، وهذا ما تقوله أنت، وربما هو صحيح. فلماذا ستكذب بشأن ذلك!".

"لم أكذب. هناك بعض الرسائل المزعجة التي تم إرسالها إلى سافاناه، ويفترض أن تكون من رجل قتل ثماني عشرة امرأة. إنه قيد الاحتجاز، لكنه يملك أصدقاء في الخارج كانوا يوصلون هذه الرسائل إلى شقتهما. هذا إذا كان هو مرسِل الرسائل. وإذا لم يكن هو، فسيكون شخصاً آخر سيئاً أيضاً. أظن أن ألكسا محقة في رغبتها في إبعادها عن نيويورك".

"وأنا أيضاً. لا داعي للمجازفة بتلك الفتاة، أو حتى إخافتها. قتل ثماني عشرة امرأة. يا الله. كم هذا مريع... بماذا كانت ألكسا تفكر حين استلمت قضية كهذه؟". بدت منتقدة وهي تقول ذلك.

قال طوم بهدوء: "إنها مساعدة النائب العام. ليس لديها خيار. عليها أن تقبل بما يوكل إليها. هذه مهمتها".

"هذا نبل منها، لكنه أمر خطير جداً بالنسبة إلى امرأة". قالت أمه ذلك بنبرة أكثر لطافة. شعر طوم بالسرور لأن أمه تدافع عنها وعن سافاناه، بعدما طلبت منه في البداية محوهما من حياته. كم ينسى الناس بسرعة خياناتهم وجرائمهم. "على كل حال، تريد لويزا أن تكون سافاناه خارج المدينة، وتتوقع مني فعل ذلك، وأن أطلب إليك إعادتها. لقد حصلت على ما أرادته قبل عشرة أعوام. نالت منك، وأنجبت دايزي، واستعادت ولديها. وهي لا تحتاج إلى إيذاء سافاناه الآن لتثبت تفوقها عليها أو على أمها. لقد فعلنا جميعنا ذلك قبل عشرة أعوام. طلبت من لويزا أن تتوقف عن التكلم في هذا الموضوع معي. لم تكن مسرورة". تخيل طوم ذلك. لقد كانت حماتها حليفتها الأساسية وشريكتها في الجرم طوال كل تلك السنوات.

سألها بصراحة: "هل أنت نادمة على ذلك، أمي؟". لم يجرؤ قطّ على سؤالها من قبل. ترددت قبل أن تجيب، وهي تجلس على كرسيها الهزاز وقد غطّت ساقيها بشال، وبدت عجوزاً وضعيفة جداً. عرف أنها أقل هشاشة مما تبدو، وقوية مثل الحديد في إرادتها وآرائها.

"أحياناً. يرتبط ذلك بالطريقة التي تغيرت بها حياة ألكسا. إذا كانت سعيدة، فسأفترض أنه كان صحيحاً. لا أعرف". قالت وهي تبدو حزينة. "لم أشأ أن تكون دايزي طفلة غير شرعية، وفرضت عليّ لويزا الكثير من الضغط حينها، لكنني كنت أصغر سناً". لقد وقع في الفخ الذي نصبته له لويزا وأمه. لقد أغرته لويزا وحملت منه في الليلة نفسها، بالرغم من أنه كان يغازلها سراً لأسابيع عدة وذهب إليها بنفسه. لم يسامح لويزا قطّ لأنها تركته من أجل شخص آخر، بل تألم طوال كل تلك السنوات. أحب ألكسا، لكن لويزا كانت أكثر قوة وجاذبية، وجنوبية أكثر. كانت ألكسا لطيفة ومنفتحة وساذجة وحنوناً، ووثقت به تماماً. ما زال يشعر بالقرف حين يفكر في ذلك. "هل هي سعيدة؟". سألته أمه حينها، فتنهد.

"لا أظن ذلك. لم أرَ قطّ مثل تينك العينين الحزينتين. إنها وحيدة مع سافاناه، ولا يوجد شخص آخر في حياتها. إنها أم رائعة".

"حسناً، لا يمكنك العودة إليها الآن وترك لويزا لأن ألكسا بمفردها". بدت مذعورة من الفكرة.

"لا أظن أنها تريدني، وهي محقة". قال بحزن. لقد خطرت الفكرة في باله.

"هذا صحيح". قالت أمه، فشعر بالصدمة. "إذا كنت تحبها، إذاً ما كان يجدر بك تركها لأجل لويزا، مهما قلت أنا. لقد عدت إليها فوراً مثل الحمل الوديع، وأرسلت ألكسا إلى نيويورك". أومأ برأسه. هذا صحيح. أراد عودة لويزا، لإثبات نفسه، لكنه أحب ألكسا. ما لم يكن يريده هو الحياة التي يعيشها الآن، مع امرأة يكرهها، وتكرهه هي أكثر. لقد نال أضعاف ما يستحقه، وهو يعرف ذلك. "أريد فقط أن تتوقف لويزا عن الاتصال بي بشأن سافاناه. إذ يجب عليها أن تكون محترمة معها. إنّها تدين بذلك لألكسا التي اهتمت بولدي لويزا".

"قلت لها ذلك. ولكنها لا تريد سماعه".

"قالت لي إن سافاناه فتاة مزعجة. إنها ليست مزعجة، بل إنها فتاة رائعة. جاءت إلى هنا من تلقاء نفسها لرؤيتي. وقالت إنها ستأتي لزيارتي مجدداً. أتمنى أن تفعل ذلك".

"أنا واثق من ذلك". قال بلطف. سافاناه هي من هذا النوع من الفتيات، فهي تحب زيارة السيدات العجائز والبقاء بصحبتهن، إذ إنّها تملك قلباً حنوناً. ويعرف والدها وجدتها ذلك، وكذلك دايزي وأخواها. وحدها لويزا من لا يبالي بذلك فهي لا تملك قلباً على الإطلاق. لقد احتالت عليه لاسترداده، وهي تعذبه منذ ذلك الحين.

"أنا مسرورة لأن شخصاً ما في هذه العائلة يرغب في معرفة تاريخنا. لويزا غير مهتمة به إذ لديها تاريخها الخاصّ بها. فثمّة جنرالات في عائلتها بقدر ما يوجد في عائلتنا". قالت أوجيني ذلك وهي تبدو مستاءة، وكبح طوم نفسه كي لا يضحك. تأخذ أمه هذه الأمور على محمل الجد، ولطالما فعلت ذلك. حتى إنه واجه بعض المشاكل في ذلك أحياناً. هناك

الكثير من الجنرالات ليتم إحصاؤهم. والسماع عن المعارك والشجاعة الكونفدرالية والانتصارات أضجره طوال حياته. فهو لا يحب التاريخ، أما أمه فبلى.

ترك طوم أمه بعد ذلك، وشكر سافاناه لاحقاً على زيارتها لجدتها، وقال لها إنها أحبت الأمر وتأمل في أن تعود سافاناه لزيارتها سريعاً. سمعت لويزا الخبر، وصرخت في وجههما قائلة إنه لا يجدر بسافاناه إزعاجها لأنها ضعيفة وعجوز جداً. فغضب منها طوم على الفور وقال لها إنه يرغب في أن تزور سافاناه والدته. عندها، استاءت لويزا ولم تتفوه بأي كلمة أخرى. وحين تحدثت إلى حماتها بعد ظهر ذلك اليوم، قالت لها الشيء نفسه. فلقد تغيرت التيارات، ولم تحب لويزا ذلك على الإطلاق.

أخبرت سافاناه أمها عن الزيارة، وعن درس التاريخ، وعن هنري وصديقه جيف. إنها تطلعها على آخر الأخبار المحلية في اتصالاتهما اليومية.

قالت أمها إنها لم تتفاجأ بشأن هنري، فهو لم يهتم بالفتيات مطلقاً منذ بلوغه، بالرغم من أنه لم يكن صغيراً حينها، فقد كان في الرابعة عشرة من عمره. خطر الأمر في بالها مرة أو مرتين، لكنها لم تجرؤ على طرحه على طوم. كان منغلقاً جداً حول الموضوع، وقالت سافاناه إنه لا يزال كذلك، لا بل جميعهم كذلك. وقالت إن لويزا تدعي أن هنري ليس كما يُصرّح. وقالت ألكسا إنها تأمل في أن يكون سعيداً، وترغب في رؤيته في يوم من الأيام، وإنها سوف تذهب إلى *ونتورث مانشون* في عطلة نهاية الأسبوع لتقيما معاً مجدداً، وأنها حجزت الجناح الكبير.

"هل سألتقي ذلك الشاب؟". سألتها عن تورنر، فابتسمت سافاناه ابتسامة عريضة.

"ربما. سنرى. إذا لم يكن مشغولاً. لديه مباراة في عطلة نهاية الأسبوع".

"يمكننا الذهاب لحضور المباراة ربما. إذا كنت لا تخجلين مني".

"تعرفين أنني لا أخجل منك. أنا فعلاً فعلاً فخورة بك أمي وتعرفين ذلك".

"أنا فخورة بك أيضاً حبيبتي". طمأنتها أمها. وبعدما أنهتا الاتصال، عادت ألكسا للعمل مع سام وجاك جونز، فيما ذهبت سافاناه للقاء تورنر والتنزه معه قبل العشاء، وتبادلا الكثير من القبلات.

رأتها دايزي تعود بعد ذلك. دخلت إلى المنزل سراً قبل العشاء، وكانت دايزي في طريق عودتها من المطبخ حاملة وجبة خفيفة.

"إذاً؟".

"ماذا؟". سألت سافاناه ببراءة.

"لا تسخري مني. رأيتك تذهبين معه. هل هو ظريف؟ هل قبّلك؟".

قررت سافاناه أن تكون صريحة مع أختها الصغيرة. أحبت تلك الفكرة؛ فكرة أن تكون لديها أخت. وكذلك دايزي.

"إنه ظريف. ولقد قبّلني".

"أوه. كم هذا مقرف". قالت دايزي وهي تصعد السلالم بسرعة. ثم انحنت فوق الدرابزون لطرح سؤال آخر. "هل هو حبيبك؟".

"لا، إنه مجرد شاب أستلطفه". هزّت سافاناه رأسها وابتسمت.

قالت دايزي: "مؤسف جداً". ودخلت غرفتها مسرعة وهي تضحك.

الفصل الرابع عشر

حين جاءت ألكسا هذه المرة إلى تشارلستون لرؤية سافاناه في عطلة نهاية الأسبوع، بدا كل شيء مألوفاً ومريحاً بالنسبة إليها. لم تختبر صدمة الدخول مجدداً إلى عالم عرفته مسبقاً وأحبته وخسرته. وفي المرة التالية، بدا *ونتورث مانشون* مثل المنزل بالنسبة إليهما، حتى إن ألكسا نجحت في التعامل مع طوم بلطف حين رأته عندما أوصل سافاناه. لقد استرخت ألكسا، ولاحظ ذلك. جعله ذلك يتحلى بشجاعة كافية ليسألها إذا كانت تودّ أن تتناول الغداء معه. ولكنها لم تكن تريد ذلك، إذ إنها لا تريد تفويت دقيقة واحدة مع سافاناه، لكنها لا تريد أن تكون فظة معه أيضاً. لقد ساعدها بطريقة مهمة في قضية سافاناه، لا بل إنه جازف بتعرّضه لغضب لويزا الشديد. ترددت ألكسا قبل أن تجيب، لكن حين رأت عيني سافاناه تتوسلانها، أومأت أخيراً برأسها ووافقت على تناول الغداء معه.

"لكن ليس لوقت طويل. أريد تمضية الوقت مع سافاناه. فأنا هنا من أجلها".

"طبعاً".

أحست ألكسا أنه يريد عقد الصلح معها وعدم طعنها في الظهر أو القلب. ليست مستعدة لذلك بعد، لكنها تقبل أن يصبحا صديقين عاديين يوماً ما، وليس أن يكونا صديقين حميمين. ربما يحصل ذلك في زفاف سافاناه يوماً أو في حفل تخرجها من الجامعة. افترضت أنه يملك الهدف نفسه في رأسه. لقد استمرت الحرب الباردة بينهما لوقت طويل جداً. وبدأت تتجاوزها في النهاية.

اقترح لقاءها في مطعم المغنوليا في اليوم التالي، وقالت سافاناه إنها ستذهب إلى مباراة تورنر في كرة القدم فيما يتناولان الغداء. بدا الجميع سعداء، بالرغم من أن ألكسا كانت ستشعر بسعادة أكبر لو تناولت الغداء مع ابنتها، لكنها وافقت، وشكرتها سافاناه حين صعدتا إلى جناحهما. كان الجناح جميلاً أيضاً هذه المرة، والأزهار فيه أكثر. احتست كل منهما كأساً من الشراب للاحتفال بعطلة نهاية الأسبوع. وكانت حبات الفراولة المغطاة بالشوكولاتة لذيذة مع الشراب. شربت كل منهما كأساً واحدة فقط. لا تحب ألكسا أن تشرب سافاناه، لكن لا بأس إن حصل ذلك بين الحين والآخر في مناسبة احتفالية، وهي لا تشرب كثيراً أيضاً. شعرت بالتوتر حيال الغداء مع طوم في اليوم التالي. ففي النهاية، هما ليسا صديقين، على الأقل ليس في الوقت الحاضر.

"حسناً، أخبريني عن ذلك الشاب الذي فُتِنْتِ به. متى سألتقيه؟ ما رأيك بلقائه بعد انتهاء مباراة كرة القدم؟ يمكننا شرب القهوة معاً أو ما شابه".

ترددت سافاناه ثم أومأت برأسها، وهي تبدو محرجة. "إنه لطيف ماما. ليس الأمر جدياً أو ما شابه. إنه كابتن فريق كرة القدم ويأمل في الذهاب إلى جامعة جورجيا للتكنولوجيا".

"شاب جنوبي لطيف". قالت أمها مع ابتسامة عريضة، لكنها لم تكن ساخرة، وإنما فقط مسرورة. بالكاد يذهب الجنوبيون إلى الجامعات الشمالية. لاحظت ذلك حين عاشت هنا أيضاً.

"يملك ثلاثة إخوة أصغر سناً منه، ولقد فقد أمه في العام الماضي".

قالت ألكسا بنعومة: "أنا آسفة. هل هو لطيف معك؟ هذا كل ما أهتم به. شرطي الوحيد أن يعاملك جيداً. كم مرة ترينه؟". لقد أضاعت المسار في فوضى حياتها في الوقت الحاضر، وهي تستعد للمحاكمة.

طمأنتها سافاناه: "إنه لطيف معي. أراه كل يوم في المدرسة، ونتناول أحياناً الغداء في الكافتيريا، ونخرج مع بعضنا مرتين في الأسبوع، لتناول العشاء أو للذهاب إلى السينما".

"حسناً، كوني مستعدة في حال حصل شيء ما. ينجرف الناس وراء عـواطفهم أحـياناً. هذا ما أذكره". ابتسمت ألكسا بحزن. ليس لديها الوقت علـى كلّ حال. فهي بالكاد تملك الوقت للذهاب إلى الحمام أو النوم لأنها تعمل بكدّ على المحاكمة القادمة.

تلـك اللـيلة، تناولـتا العـشاء فـي مطعم صغير وحميم وأكلتا السلطعون الطازج. كان العشاء متأخراً، وعادتا إلى الفندق سيراً على الأقـدام وهما تتأبطان ذراعي بعضهما، وتشعران بالقرب من بعضهما أكثـر من أي وقت مضى. وفي الفندق، طلبتا فيلماً سينمائياً، وهو أحد الأفـلام المفـضلة لديهما، وبعدما انتهى، خلدتا إلى النوم في السرير العمـلاق المـريح، واسـتيقظتا في الصباح وهما تشعران بالاسترخاء والراحة.

بعـد الفطـور، تسوقتا قليلاً مثلما فعلتا في المرة السابقة، ثم ذهبت سـافاناه إلى مباراة كرة القدم، وذهبت ألكسا إلى مطعم المغنوليا للقاء طوم على الغداء. كان في انتظارها حين وصلت إلى هناك وبدا متوتراً. وكذلك هي.

جلـسا إلى طاولة هادئة في الخلف، وكانا ينظران إلى قائمتي الطعام حين وضعت ألكسا قائمتها ونظرت إليه.

"آسـفة لقول ذلك، لكن هذا غريب. أريد فقط قول ذلك بصوت عالٍ. قد تشعر أنت بالشيء نفسه ربما".

"نعـم". أراد الـضحك، إذ لديها دوماً طريقتها المميّزة لقول الحقيقة. تقـول الأمـور كمـا هي وترفض إخفاءها أو تمويهها. ليس لذلك علاقة بالأسـلوب الجنوبـي، لكـنه أحـب ذلك فيها دوماً، فليس هناك رياء أو مـراوغات. لم تتغير قطّ. لا، بل أصبحت أكثر جمالاً الآن، بعد أحد عشر عاماً. لقد أصبحت أكثر نضجاً.

"لمـاذا نـشعر بهذه الغرابة؟". سأل طوم وهو ينظر إليها. ولم تكن لويزا تعرف مطلقاً أنه معها.

نظرت إليه ألكسا. "هل تمزح؟ لقد تركتني. أمضيت السنوات العشر الماضية وأنا أكرهك. كيف أتناول الغداء معك؟ وابنتنا تعيش معك! هذا كله جنون".

"ربمـا لا. لديك كل الحق في كرهي. ولطف منك أن تتناولي الغداء معي. ولكن، لطالما كنت متسامحة وحنوناً".

"لا تتكل على ذلك". قالت ذلك بصراحة، فضحك مجدداً. "لماذا تشعر أنت بالغرابة؟ هل تكرهني أيضاً؟".

قال بحزن: "ليس لديّ مبرر لكرهك. أنا نادم فقط على ما حصل".

"لـم يحـصل. أنت فعلته بمساعدة لويزا، وأمك. اتخذتا القرار نيابة عنك، للتخلص مني والعودة إليها، وأنت فعلت ما أرادتاه. وأظن أنك أردت ذلك أنت أيضاً". بدت حزينة حين قالت ذلك، وكذلك هو.

هزّ رأسه حينها. "لم يكن الأمر بهذه البساطة. لم أكن أعرف ماذا أريـد. أردت اسـترداد كبريائي لأن لويزا تركتني، لكنني كنت مغرماً بك".

"إذاً لقـد ارتكـبت حماقـة كبيرة طوم". أفادها قول ذلك إذ شعرت بالتحسن ما إن تفوّهت بما تفكر فيه.

"نعـم، صحيح. أوافقك الرأي تماماً. وإذا كان هناك من عزاء، فهو أننـي نادم على الأمر منذ ذلك الحين". لم تكن تريده أن يتطرق إلى هذا. فهي لا تريد أن تعرف. طلبا الغداء حينها، وطلب كلاهما فطائر السلطعون وحـساء الكـركند. لطالما كانت هذه وجبتهما المفضلة. بعض الأمور لا تتغير. قالت ألكسا لنفسها إن الشيء الوحيد الذي لا يزال مشتركاً بينهما هو الطعام.

تحـدثا عن أمور أخرى حينها؛ عن سافاناه، ومحاكمتها، ومصرفه، وتـرايفيس وهنري. ذكرت ألكسا أن سافاناه أخبرتها أنها استلطفت هنري كثيـراً. وهـي لا تظن أن أسلوب عيشه مسبب للصدمة وتوقعت أن يكون طوم منطقياً حيال ذلك، لكنها لاحظت فوراً أنه بدا متألماً.

"أنا آسفة. هل أنت منزعج من ذلك؟". يصعب تصديق ذلك في هذه الأيام، لكنها تعرف أن طوم متحفظ وقديم الطراز.

"أحياناً. أظن أن هذه هي طريقته. لكنها ليست حياة أردتها لأحد ابنيّ. لكن، في النهاية، أريده فقط أن يكون سعيداً. تنكر أمه الأمر، ما يزيد الأمر صعوبة على هنري".

"هذا غباء منها". قالت ألكسا بفظاظة، ثم جفلت. "آسفة. أشعر فقط بالأسف على هنري إذا كان لا يستطيع التصرف على طبيعته معكما. هل ترايفيس موافق على الأمر؟ إنه متحفظ بقدرك أنت". تعرفهم جميعاً جيداً، رغم أنها لم ترهم منذ عشرة أعوام، وتركت الصبيين في سنوات المراهقة. بدا غريباً جداً بالنسبة إليها أن تجلس إلى طاولة واحدة مع طوم، وأن تتحدث إليه كما لو أنهما صديقان قديمان، بدلاً من أن تكون المرأة التي أحبته، وكانت زوجته، والتي تركها من أجل امرأة أخرى. الحياة فعلاً غريبة.

"أظن أن ترايفيس يحاول أن يكون متفهماً للأمر، لكنك محقة لأنه متزمت جداً. لم يعد الصبيان قريبين من بعضهما بعد أن كبرا. إنهما مختلفان جداً".

قالت ألكسا بهدوء: "لطالما كانا هكذا. هذا مؤسف جداً إذا لم يكونا قريبين من بعضهما. كانا قريبين في الماضي". شعر طوم بالإحراج لأنه لم يدعم ابنه. إنه شيء إضافي ليشعر بالذنب حياله، مثل العديد من الأشياء الأخرى. هناك الكثير من الأمور على لائحته للتحسر عليها، وألكسا في طليعة تلك اللائحة.

"كنت أقصد فعلاً ما قلته منذ قليل". قال ذلك فيما كان يشرب القهوة، ويتناول فطيرة الدراق، أما هي فلم تفعل ذلك. العادات القديمة نفسها مجدداً. مرّت لحظات تذكرت خلالها كيف كانت زوجته، وكيف كان ذلك، وكم أحبت علاقتهما آنذاك، خصوصاً حين كانت سافاناه صغيرة، وكيف بقيت مغرمة به حتى النهاية.

"عمّ تتحدث؟". قالت ألكسا فيما تناولت الحلوى التي ذابت في فمها. وكانت قد نسيت ما قاله لها. تطرقا إلى الكثير من المواضيع، بما في ذلك الحديث عن ابنتهما، التي اعترف أنها رائعة وأثنى عليها كثيراً؛ الأمر الذي تستحقه.

"كنت أقصد ذلك حين قلت إنني نادم على كل يوم تركتك فيه". بدا حزيناً ومكتئباً حين قال ذلك، فقست عيناها.

"أنا آسفة لسماع ذلك طوم. يصعب العيش هكذا".

"نعم، صحيح". شعر بالأسى على نفسه، وأصبحت عينا ألكسا باردتين.

"وكذلك هو الأمر عندما يتخلى عنك زوجك الذي تحبينه وتثقين به، من أجل امرأة أخرى تركته في السابق، وعادت إليه لأن الأمر أصبح ملائماً لها. سيكون جيداً لو فكّرت في هذا". أومأ برأسه، ولاحظ مجدداً كم كانت ألكسا متألمة، وغير مسامحة. ارتفعت جدرانها مجدداً ما إن تطرق إلى الموضوع.

"لا أقترح عليك أن تعودي إليّ". شرح لها.

"جيد، لأنني لن أفعل ذلك ولو بعد مئة عام". أرادت أن يكون ذلك واضحاً تماماً، خصوصاً إذا حاولا أن يصبحا صديقين. أرادت حدوداً واضحة معه، من دون أي تشويش له أو لها. لا يزال رجلاً جذاباً جداً، وقد أحبته. ولكنها لا تريد أن يكون هذا خطراً بالنسبة إليها. وسيكون خطراً إذا وقعت في غرامه مجدداً. لقد أثبت لها قبلاً، وبطريقة واضحة تماماً، أنه رجل لا يلتزم بكلمته. لا تستطيع أن تثق به مجدداً أبداً، مهما أحبته، أو مهما كان وسيماً وساحراً.

"أردت فقط أن تعرفي كم أنا آسف".

"وأنا أيضاً. فأنا لم أثق مطلقاً بأي رجل آخر منذ ذلك الحين، وربما لن أفعل ذلك أبداً". كانت تلومه بالكامل على ذلك.

"هذا مريع". قال بحزن وهو يشعر بالذنب مجدداً وبدا كئيباً.

"ربما، لكنها الحقيقة. بالنسبة إليّ على كلّ حال. لا أثق أبداً بأنّ هناك رجـلاً آخر لن يفعل بي الشيء نفسه. ظننت أننا كنا سنبقى متزوجين إلى الأبد".

"وأنــا أيضاً. ثم عادت لويزا وأفسدت كل شيء، لكلينا معاً". أومأت ألكـسا برأسها، إذ لم تكن تريد العودة إلى موضوع زواجهما. "اعلمي فقط أنني نادم، ولم أعرف يوماً سعيداً منذ ذلك الحين. إنها إنسانة مقيتة".

"لماذا لا تطلقها إذاً؟ ليس من أجلي، بل من أجلك".

"لا أريد عيش تلك التجربة مجدداً. كاد طلاقنا يقتلني".

"هــذا مـضحك. وأنا أيضاً". قالت ألكسا بمرارة، ثم ضحكت قائلة: "آســفة. أظــن أننــي ما زلت متضايقة كثيراً. تقول أمي إنه عليّ تخطي المــسألة، لكن يصعب فعل ذلك. بقيت منزعجة كثيراً بعد خمس سنوات، ومــتألمة كثيراً، وممتعضة كثيراً. أظن أن المسألة تستغرق أكثر من ذلك. بالنـسبة إلــيّ علــى كلّ حال. أنا أشفى ببطء. كسرت ذراعي ذات مرة، واحتاجت إلى ستة أشهر لتشفى بدلاً من ستة أسابيع".

قال وهو على وشك البكاء: "أعرف. كنت معك".

"أوه". نظــرت إلــى طــبقها لدقــيقة ثم نظرت إليه. "اسمع، فلنكن صريحين. أنا واثقة بأنني ما زلت أحبك بطريقة ما. ولو لم أكن أحبك، ما كــنت لأكرهك هكذا. لا أظن أنني أكرهك في الوقت الحاضر، حتى إنني لــست متضايقة. تناولنا غداء لذيذاً وقد استمتعت به. لدينا ابنة جميلة، وقد أحببــتك مــن كل قلبي؛ ربما سأحبك دوماً في مكان سري في قلبي؛ ربما حتــى يفرّقنا الموت فعلاً. لا أتمنى ذلك، لكن هذا قد يكون صحيحاً. أكره فكرة أنك تركتني من أجل لويزا وتخليت عنا. لكن هذا ما فعلته.

أنــت تفعــل شيئاً جيداً لسافاناه، وأقدّر ذلك، فعلاً. لست بحاجة إلى القلــق عليها في الوقت الحاضر لأنها معك، ويعني ذلك الكثير. إنه عبء كبير نزل عن كتفيّ. ولا تزال الرجل الأكثر وسامة الذي عرفته، والأكثر سحراً. أحببت العيش هنا معك، وأحببت الجنوب، إلى أن كرهت ذلك أيضاً

لأنك جنوبي. ربما نستطيع أن نكون صديقين الآن. لكنني لا أريد أن يتوهم أي مــنا أنــنا نــستطيع إرجاع علاقتنا إلى ما كانت عليه مجدداً. لن أفعل بلويزا ما فعلته بي، أو ما فعلته أنت. لن أسرقك منها. لا أريد أن أغرم بك مجدداً. أظن أن الأمر سيكون مميتاً لي عندها، خصوصاً إذا آذيتني مجدداً. لا أريد أبداً المجازفة بذلك مرة أخرى، سواء أكنت آسفاً أم لا. لا أستطيع، ولا أملك الشجاعة. لقد احتجت إلى أكثر من عشر سنوات للوصول إلى ما أنــا عليه الآن؛ لنسيانك. وأريد الاستمرار في ذلك. ربما نستطيع الآن أن نكــون صديقين، لكن هذا كل ما يمكن أن نكونه، وكل ما أريده منك. وإذا جعلــتك لويزا تعيساً، طلّقها. لكن حتى لو فعلت ذلك، فإنّ كل ما أريده هو أن أكــون صديقتك. نحن والدا سافاناه، ولذلك من الجيد أن نكون متمدنين. لكننــي لا أريــدك أن تــتأمل بأي شيء أكثر من ذلك". لقد كانت واضحة وعادلة تماماً معه. لطالما كانت هكذا، وهذا أحد ملايين الأشياء التي أحبها فيها ونسيها، أو حاول ذلك.

"فهمــت الأمر ألكسا. أنا آسف لأنني تطرقت إلى الموضوع. أردتك فقــط أن تعرفي أنني ما زلت مغرماً بك وأنني آسف". سماع ذلك أصابها بالجــنون مجدداً. ليس أمراً عادلاً أن يقول لها إنه ما زال مغرماً بها. ليس الآن، بعــد عشر سنوات، بعد كل ما عاشته، وبعد كل الألم والحزن اللذين شــعرت بهما، والدموع التي ذرفتها حزناً عليه. نظرت إليه والغضب في عينيها.

"لا تقــل لي ذلك أبداً مجدداً. إنها خدمة ذاتية. أنت آسف الآن، لكن أين كنت خلال الأعوام العشرة الماضية؟ مع لويزا. إذا لم تقل ذلك مجدداً، يمكننا أن نكون صديقين. اتفقنا؟".

أومأ برأسه بحزن، وعرف كم هو محظوظ لأنها تقبل بذلك. "اتفقنا. أنا آسف".

"جــيد. اذهب الآن إلى زوجتك أو افعل ما تريده. سألاقي سافاناه في مباراة كرة القدم". أومأ برأسه، وهو مضطرب قليلاً، لا بل كثيراً، مما قالته.

أمـــل نـــوعاً ما، ولو بطريقة حمقاء، أن يتمكن من استردادها. فكر في ذلك حـــين رآها في نيويورك، لكنه لم يعرف كيف يفعل ذلك. وأمل في أن تشعر هـــي بالشيء نفسه أيضاً. لكنها لن تعود إليه، فلقد آلمها كثيراً لتعود إليه. قد تسامحه، لكنها لن تسترده أبداً مجدداً. إنه لا يشك أبداً في ذلك، وكذلك هي.

مشيا إلى الخارج بعدما دفع الفاتورة، وابتسمت له. "شكراً لك. أشعر بالتحسن". لقد احتاجت إلى عشر سنوات لتقول له هذه الأمور، وأتيحت لها الفرصة أخيراً. عرفت أن تلك كانت هدية. أمّا هو فلم يشعر بالتحسن، وقد لاحظت ذلك، لكن هذه لم تعد مشكلتها.

تـــركته خارج المطعم وذهبت إلى مباراة كرة القدم، ووجدت سافاناه تغـــادر المـــدرّج المكـــشوف. كان هناك شاب طويل ووسيم ينتظرها في الملعـــب، وشـــبان آخرون يغادرون المدرّج أيضاً. كانت سافاناه تبتسم له بسعادة، فتألم قلب ألكسا لرؤية ذلك. قالت لنفسها إنه إذا آلمها هذا الشاب، فـــسوف تقتله. ليس فعلياً، لكنها تريد ذلك. ما زالت مضطربة مما قاله لها طـــوم في أثناء الغداء. لو سمحت له، فربما كان سيتخلى عن لويزا ويعود إلـــيها، أو يقيم علاقة غرامية معها ويحطّم قلبها مجدداً. إذا سمحت له أمه أصـــلاً بفعـــل ذلـــك، أو إذا كان يملك الشجاعة، وهي تعرف أن هذا غير ممكن. لكن لويزا وأمه تملكان الشجاعة. لم يكن عدلاً منه أن يقول لها إنه مـــا زال يحـــبها، لكنه قال على الأقل إنه آسف، وبدا أنه يقصد ذلك فعلاً. ربما كان ذلك كافياً. شعرت براحة لم تشعر بها طوال أعوام.

عـــرّفتها سافاناه إلى تورنر حين توجهت ألكسا إلى الملعب ووصلت إليهما.

"تورنر، هذه ماما".

"مـــرحباً". قالـــت ألكسا وهي تبتسم ابتسامة عريضة. بدا شاباً لطيفاً وفتيًّا جداً. وفيما نظرت إليه، تذكرت أنه فقد أمه وشعرت بالأسف عليه.

"ســـررت بلقائك سيدتي. سمعت الكثير من الأمور الرائعة عنك من سافاناه". كان جنوبياً جداً ومهذباً جداً، وإنما بدا صريحاً.

"ســـمعت الكثيـــر مـــن الأمـــور الجيّدة عنك أنت أيضاً. كيف كانت المباراة؟".

"ربحـــنا". قال وهو يبتسم وبدا مسروراً، فيما ابتسمت سافاناه له ومن ثم لأمها.

"ســـجل تورنر نقاط الفوز؛ نقطتين". قالت بفخر، فيما نظرت إليهما أمها معاً وشعرت أن عمرها ألف سنة، لكنها كانت سعيدة من أجلهما.

اصطحبتهما إلى مطعمهما المفضل لتناول البرغر والعصير. تحدثوا بعفوية لمدة ساعة، ثم عادت سافاناه وأمها إلى الفندق لتقليم أظفارهما. إنه تـــرف تستمتعان به هما الاثنتان. أخبرت ألكسا ابنتها أنها استلطفت تورنر كثيراً، وبدت سافاناه مسرورة.

حين عادتا إلى الغرفة بعد الانتهاء من تقليم أظفارهما، أخبرت ألكسا سافاناه بما حصل في أثناء الغداء. فهي لم تكن تخفي عنها أي شيء. إنهما صـــديقتان حميمتان فضلاً عن كونهما أمًّا وابنتها، بالرغم من إدراك ألكسا دوماً دورها الأساسي، أي أنّها الأم.

"سألني والدك بطريقة غير مباشرة اليوم إذا كان من الممكن أن أعود إليه. قال إنه ما زال يحبني وهو نادم على ما فعله".

"ماذا قلتِ له؟". سألت سافاناه باهتمام، وهي تراقب عيني أمها. بدت سعيدة، أكثر سعادة مما كانت منذ وقت طويل.

"طلبت منه ألا يقول لي ذلك أبداً مجدداً. يكفي أن نبقى صديقين. فهذا الأمـــر يعتبـــر إنجازاً عظيماً بعد كل ما حصل. لا أستطيع أبداً الوثوق به مجدداً. لن أثق به أبداً. ولا أريد العودة إلى ذلك مجدداً".

"ماذا قال؟".

قالت ألكسا بصراحة: "أظن أنه كان مصدوماً".

"هل كان منزعجاً؟".

"لا أظن ذلك. ربما كان حزيناً. لم يكن عادلاً حين طلب مني ذلك، أو حين ذكر الموضوع. لقد مضى وقت طويل جداً، وقد آلمني كثيراً". أومأت

سافاناه برأسها. كانت توافق أمها الرأي. عرفت كم تألمت أمها، أو تستطيع تخمين ذلك.

"أفهم ماما. أظن أنك فعلت الشيء الصحيح". إذ إنّ سافاناه تذكر أن أمها كانت تبكي لساعات كل يوم، طوال سنوات. كان وقتاً مريعاً. لا يمكنه العودة الآن لأنه يشعر بالضجر ولم يحب الخيار الذي اتخذه. كان يجدر به أن يفكر في ألكسا وفي ما فعله بها. قالت سافاناه بحكمة: "لا أظن أنه سيترك لويزا على كلّ حال. إنها تتحكم به، وهو يسمح لها بذلك".

قالت ألكسا بهدوء: "لطالما فعل ذلك، حتى عندما كان متزوجاً مني. في النهاية، إنهما يستحقان بعضهما". أومأت سافاناه برأسها، بالرغم من أنها شعرت بالأسف على والدها أيضاً. لويزا إنسانة مريعة، لكنه اتخذ هذا الخيار، مرتين.

أمضتا أمسية رائعة، وتحدثتا حتى وقت متأخر من الليل. اتصل تورنر بسافاناه، ودعته ألكسا لتناول غداء خفيف معهما في اليوم التالي. واتصل ترايفيس بهما في الصباح. أراد رؤية ألكسا، ومرّ هو وسكارلت لرؤيتها بعد ذهابهما إلى دار العبادة. شعرت سافاناه وألكسا بالكثير من الكسل، ولم ترغبا في الذهاب إلى دار العبادة هذه المرة، ولم ترغبا في مصادفة لويزا مجدداً. شعرتا بالسرور لأنهما لم تذهبا عندما أخبرهما ترايفيس أنهما ذهبا إلى دار العبادة مع أمه.

جلس مع ألكسا في غرفة الجلوس، وتحدثا عن الأوقات الماضية، وعن حياته الآن. واعتذر منها على عدم الكتابة إليها، وقالت إنها تفهم ذلك. كان صغيراً، ومنعته أمه. عرفت ألكسا ذلك، بالرغم من أنه لم يقل هذا بداعي الوفاء لأمه. كان مهذباً ولطيفاً مثلما كان في صغره، وكان فخوراً جداً حين عرّفها إلى سكارلت. بدت فتاة لطيفة، وتمنت لهما ألكسا أن يسعدا مع بعضهما. تحدثا عن الزفاف لبضع دقائق، وكيف أن تنظيم كل شيء يسبب التوتر، ثم غادرا. إذ كانا سيذهبان لتناول الغداء في منزل أهل سكارلت لإعداد لائحة بالمدعوين إلى الزفاف.

مرّ ما تبقى من اليوم بسرعة، ثم حان وقت مغادرة ألكسا مجدداً. التقاهما طوم في ردهة الفندق، مثلما فعل مسبقاً، إذ كان قد جاء لاصطحاب سافاناه. شكرته ألكسا مجدداً على الغداء الذي تناولاه معاً في اليوم السابق. لقد استوعب تماماً ما قالته له، ونظر إلى عينيها بحزن.

"شكراً على قبولك تناول الغداء معي". أدرك الآن كم كان هذا تنازلاً من قبلها، وكم كانت شجاعة لأنها فعلت ذلك. يفهم الآن أكثر من أي وقت مضى كم آلمها. لقد ركز على ألمه الخاص وخسارته الخاصة طوال أحد عشر عاماً تقريباً، ولم يفهم قطّ عمق ألمها، لكنه الآن يفهم. لقد خسرها إلى الأبد؛ حين أراد استعادتها. بالنسبة إليها، لقد فات الأوان كثيراً، ومهما أحبته، فهو رجل لا تستطيع الوثوق به مجدداً. بدا الأمر مريعاً بالنسبة إلى طوم. لقد مات الأمل لديه في اليوم السابق. وبالنسبة إلى ألكسا، مات قبل عشر سنوات.

قبّلت سافاناه أمها قبلة الوداع مجدداً، وعادت إلى المنزل مع والدها، بعد أن وعدتها أمها بالعودة بعد أسبوعين. يمرّ الوقت بسرعة، وباتت سافاناه معتادة على الأمر الآن. بطريقة ما، تشعر وكأنها في منزلها، وبطريقة أخرى تشعر أنها غريبة. هذا ما قالت ألكسا إنها شعرت به حين عاشت هنا، لأنّ المرء مهما أحبّ المكان، فإذا لم يكن مولوداً في الجنوب، فلن يتمكن أبداً من أن يكون واحداً منهم. والآن، بدأت سافاناه تفهم ذلك أيضاً. فالسّكان ما زالوا يتحدثون عن الجنوبيين وأهل الشمال، وما زال علم الكونفدرالية محفوراً في قلوبهم، وسيظلّ كذلك إلى الأبد، وسيرفرف فوق العديد من المنازل.

لاحظت أن والدها بدا غير سعيد في طريق عودتهما إلى المنزل، فنظرت إليه بقلق.

"هل أنت بخير، بابا؟". أومأ برأسه وابتسم لها، لكن عينيه كانتا حزينتين. شكت في أن ما قالته له أمها في اليوم السابق أثّر فيه بعمق، إلا أن سافاناه لا تلومها أبداً.

حين وصلا إلى المنزل، كانت لويزا في انتظاره. كانت ترتدي بذلة شانيل سوداء، وتضع الكثير من مستحضرات التجميل، وتتزيّن بالكثير من المجوهرات. وبخته على تأخره. إذ إنهما سيذهبان لتناول العشاء مع أصدقاء لهما. هذه هي حياته الآن؛ في السرّاء والضرّاء. فهذه حياته وهذه هي المرأة التي اختارها. أمّا المرأة الوحيدة التي أحبها فعلاً وأحبته فقد رحلت.

الفصل الخامس عشر

إنها بداية شهر نيسان/أبريل، وكان هناك شهر واحد فقط قبل بدء المحاكمة. لا يزال الطقس بارداً في نيويورك، وتساقط الثلج طوال الأسبوع بعد عودة ألكسا من عطلتها مع سافاناه. إنه الربيع في تشارلستون، وبدأت الأزهار تتفتح في كل مكان، إذ تنتشر هناك نباتات أزالية وكروم وستارية وبراعم كرز. الحديقة في منزل *الألف سنديانة* تنبض بالحيوية، ويعمل فيها عدد من البستانيين كل يوم.

ثمة تناقض كبير بين كل شيء في المدينتين، وبين الحياة في كل منهما. في نيويورك، الطقس بارد جداً، والثلج يتساقط، والطبيعة جرداء ورمادية، وألكسا تستعد لمحاكمة رجل قتل ثماني عشرة امرأة شابة. الطقس بارد ومظلم بقدر المهمة التي تقوم بها.

أما في تشارلستون، فكل شيء يزهر، وكان الطقس دافئاً. وتورنر وسافاناه يقعان في الغرام. مازحتها دايزي بشأن ذلك باستمرار، وغارت منها كل الفتيات في المدرسة. دعاها تورنر إلى حفلة تخرج الصف النهائي. وسمح لها والدها بدعوته إلى العشاء في المنزل. لم تكن لويزا مرحبة، لكنها لم تكن على الأقل فظة جداً معه لأن آل بومونت أصدقاء لوالده.

ولعل أفضل جانب لتواجد سافاناه في تشارلستون، عدا عن لقائها دايزي، ومواعدتها تورنر آشبي، وتطوير علاقتها مع جدتها، هو أنه أتيحت لها فرصة القيام بأشياء مع والدها ما كانت لتفعلها قطّ لولا ذلك.

أخذها في نزهات طويلة، وأراها الأماكن التي لعب فيها حين كان ولداً، واصطحبها إلى الأماكن المشهورة خارج المدينة: درايتون هال،

وماغنوليا، وميدلتون بلايس، وبون هال. اكتشفا تلك الأماكن مع بعضهما، وقاما بنزهات على الشاطئ قرب جبل بلازانت. أمضيا ساعات في التحدث والتعرف إلى بعضهما. الآن، أصبح لديها والد حقيقي، وليس مجرد صورة كرتونية تظهر في نيويورك مرتين سنوياً، من دون أن يدخلها في حياته الحقيقية. وأصبح واثقاً الآن، تماماً مثلها هي، أنه لن يخرجها أبداً من حياته مجدداً. فهو يريد سافاناه في حياته.

اصطحب الفتاتين إلى حوض الأسماك، ولعب كرة المضرب معهما. أخذ سافاناه إلى النادي الريفي وعرّفها إلى الجميع. وكلما فعل المزيد من ذلك، كانت لويزا تشعر أنه يخونها، لكن طوم لم يعد يهتم. إذ إن إقامة سافاناه في تشارلستون، ورد فعل لويزا تجاه ذلك، قاما بتوسيع الهوة التي كانت موجودة أصلاً بينهما قبل وصول سافاناه. فهما الآن بالكاد يتحدثان إلى بعضهما، وكانت لويزا دوماً إما خارج البيت، أو تتشاجر معه، أو في السرير مع منشفة رطبة على رأسها. لم تستطع تحمل الأمر، ولم تحاول. لم توجه أي كلمة لطيفة إلى سافاناه، أو تتصرف تصرفاً واحداً لطيفاً معها منذ وصولها. اعتذر منها والدها على ذلك، لكنه لم يستطع إجبار زوجته على حسن التصرف. إنها حرب أهلية مفتوحة.

أصيبت جدتها بالإنفلونزا، وذهبت سافاناه لزيارتها مرات عدة فبقيت معها واهتمّت بها. قرأت كل الكتب التي أعطتها إيّاها جدتها، وكانت تتعلم الكثير عن الحرب الأهلية.

كانت سافاناه جالسة مع جدتها بعد ظهر أحد الأيام على المصطبة حين جاءت لويزا من دون إنذار مسبق. بدت غاضبة لحظة رأت سافاناه هناك، وطلبت منها الذهاب إلى المنزل. همّت سافاناه بالنهوض لأنها لا تريد أن تسبّب مشكلة.

فقالت لها جدتها بقساوة: "اجلسي". ثم نظرت إلى كنّتها قائلة: "لن تذهب إلى أي مكان لويزا. لماذا لا تحاولين الاسترخاء؟ لن تؤذيك. إنها

مجرد فتاة. لا تريد أي شيء منك. وأمها لا تريده أيضاً". لقد أبلغها ابنها بما قالته له ألكسا في أثناء الغداء. لم تتفاجأ أمه، واحترمتها لقولها ذلك. أخبرت طوم أن ألكسا محقة، وتملك على الأقل كبرياء واحتراماً للذات. إنها واثقة بأنها ربما كانت تحبه، لكنها لا تريد رجلاً سبق له أن آذاها بقسوة، وانتظر عشر سنوات ليعود، عندما أصبح الأمر ملائماً له. أصيب طوم بالصدمة مما قالته أمه.

"لا أعرف عما تتحدثين". قالت لويزا غاضبة، فيما نظرت إليها أوجيني بعينين ضيقتين.

"بلى، تعرفين. تخشين أن يفعل طوم معك الشيء نفسه الذي فعله مع ألكسا. لن يفعل ذلك. لن تسمح له. لقد نلت منه. ولا علاقة لسافاناه بذلك. إنها عالقة هنا. لذا، لا داعي أبداً لمعاقبتها".

بدت لويزا غاضبة جداً: "لم أعاقبها. هل قالت لك ذلك؟". ونظرت بقساوة إلى سافاناه، فهزّت حماتها رأسها.

"لا، طوم من أخبرني. قال إنك كنت حقيرة وفظة معها منذ وصولها". لا تحاول أوجيني المراوغة، سواء أكانت جنوبية أم لا. وهي تدير الدفة. شعرت سافاناه بالخزي عند الاستماع إلى حديثهما. فهي لا تريد أن تدافع عن زوجة أبيها، لكنها لا تريد أيضاً مواجهتها أو إدانتها. إنها خصم مريع، وقد كانت سيئة بما فيه الكفاية من دون ذلك أصلاً. "أظن أنه يجدر بك التراجع وإجراء تعديل، والاستمتاع قليلاً. لقد نلت منه. لن يذهب إلى أي مكان".

"وكيف تعرفين ذلك؟".

"ليس من هذا النوع من الرجال". فهي تعرف ابنها، فضلاً عن أنه لا يملك الشجاعة. "لقد أجبرته على الزواج بك، وأنا دفعته إلى القيام بذلك. وهو من دون مساعدتنا لا يتحرك. ولا تعتبر ابنة السبعة عشر عاماً خطراً عليك. كل ما تفعله هنا هو انتظار أمها لتنتهي محاكمتها لتتمكن من العودة إلى المنزل".

"لماذا تمضي هذا الكم من الوقت معك؟". بدت لويزا مشككة، وشكت في وجود مؤامرة بينهما. هذا ما كانت ستفعله هي، ولكن ليس سافاناه. هذا آخر ما يخطر في بال سافاناه.

"لأنها فتاة لطيفة". قالت جدتها بحنان. فلقد أصبحت مولعة بها خلال وقت قصير، وهي ممتنة على الوقت الذي تشاركتاه معاً. "وربما تشعر بالوحدة هنا، من دون أمها. لم تفعلي أي شيء لجعلها تشعر أنها في منزلها".

"أنا... أنا...". بدأت تتلعثم، لكنها لم تملك الجواب.

"لماذا لا تعودين للزيارة في وقت آخر حين أكون بمفردي؟". إنها تطرد لويزا. وقفت سافاناه، محرجة من كونها شاهدة على حديث يدور عنها كما لو أنها غير موجودة هنا. فلقد تصرفت لويزا كما لو أنها غير موجودة.

"لديّ فروض منزلية على كلّ حال". قالت سافاناه ذلك، وانحنت لتقبيل جدتها، ووعدتها بالعودة قريباً، ثم ذهبت بعد دقائق قليلة، وبقيت لويزا مع حماتها التي تعرفها جيداً، وكانت علاقتهما وثيقة لكنها أصبحت الآن ضدها.

قالت أوجيني: "ظننت أنك ستتصرفين جيداً معه". فيما جلست لويزا قبالتها، وهي غاضبة لأن حماتها وقفت إلى جانب سافاناه، وليس إلى جانبها. يسهل على المرأة العجوز أن تحب سافاناه أكثر من لويزا. "لم تكوني جيدة معه. كنت حقيرة مع ابني. لقد نلت منه، وعاملته مثل الكلب. إنه الآن لك، وهو كذلك منذ عشرة أعوام. فلا حاجة إلى ركله الآن. قد يكون أكثر لطفاً معك إذا عاملته جيداً". إنها تدافع عن ابنها، لسبب جيد. لقد عاملته لويزا بطريقة سيئة طوال أعوام عدة.

"لا أعرف فعلاً عما تتحدثين، أمي بومونت". أرادت لويزا القول إنه هذيان امرأة عجوز، لكنهما تعرفان أنها واعية تماماً، وأن ما تقوله صحيح. زعمت لويزا أنها متألمة لكنها في الواقع لم تكن كذلك.

قالت لها أوجيني: "أظن أنه يجدر بك العودة إلى المنزل والتفكير في الأمر". فلقد تأخر الوقت وصارت متعبة. بقيت سافاناه عندها لوقت طويل، واستمتعت جدتها بذلك. لكنها الآن مرهقة كثيراً بحيث لا يمكنها التعامل مع لويزا. "سوف تخسرينه في النهاية إذا عاملته بطريقة سيئة. لن تسترده ألكسا، لكنّ شخصاً آخر سيفعل ذلك. إنه رجل وسيم".

"لقد خسرته أصلاً". قالت لويزا بألم، وبدت منهارة، وكانت تلك المرة الأولى التي تبدو فيها صادقة. "لم يحبني قطّ، منذ أن استعدته. لم يكفّ عن حبها يوماً". عرفتا كلتاهما أن هذه هي الحقيقة، وندمت أوجيني على الأمر منذ ذلك الحين. كان ابنها يائساً طوال عشرة أعوام، وهذه غلطتها نوعاً ما. وهي تشعر الآن بالذنب، وتحاول التعويض لسافاناه عن ذلك، وشعرت بالذنب حيالها أيضاً. لويزا تفكر فقط في نفسها، وفي حقيقة أن زوجها لم يحبها، ولم يكف يوماً عن حب ألكسا.

عرفت حماتها أنها محقة. "لقد أخطأنا لويزا؛ كلتانا مخطئتان. لم يكن لدينا الحق في ما فعلناه. لقد سببنا الأذى لهما معاً، ولابنتهما. لو كنت مكانك، لفعلت كل ما بوسعي للتعويض له، ولسافاناه في أثناء وجودها هنا. سيعني له ذلك الكثير". عجزت لويزا عن الكلام بضع دقائق، وأومأت لحماتها برأسها، ثم عادت إلى سيارتها. تلك الليلة، لم تكن مختلفة مع سافاناه أو طوم، لكنها كانت هادئة جداً جداً. لاحظ طوم أن شيئاً ما يدور في عقلها. وبقي بعيداً عنها لأنه عرف أن هذا أسهل بالنسبة إليه. صعدت لويزا إلى الأعلى بدلاً من تناول العشاء معهم. وقالت إنها تعاني من الصداع، وخلدت إلى النوم.

كان الربيع في ذروته حين عادت ألكسا إلى تشارلستون مجدداً. عرفت سافاناه أنها قد أحضرت معها شيئين مهمين، وهما رسائل قبولها في الجامعات، وجدتها من نيويورك. تحمست سافاناه لرؤية جدتها، ولقراءة الرسائل معاً، ورمت نفسها بين ذراعي موريال لحظة رأتها.

"تبدين رائعة سافاناه". قالت جدتها وهي تبدو مسرورة. وكانت قد خافت من أن يكون ابتعاد حفيدتها طيلة هذا الوقت قاسياً عليها. إلا أنها

بدت عوضاً من ذلك سعيدة ومشرقة، وبدت أكثر نضوجاً واتزاناً. فهمت سبب قلق ألكسا. تبدو سافاناه مرتاحة جداً في تشارلستون بحيث يصعب التصديق أنها قد ترغب في المغادرة. إلا أن موريال ما زالت واثقة بأنها سترغب في النهاية بالعودة إلى المنزل. فأمها ونيويورك هما المنزل بالنسبة إليها.

"حسناً، هل يجدر بنا فتح الرسائل؟". سألت ألكسا بحماسة بعدما حيّت سافاناه جدتها في الجناح. لم تسمح سافاناه لأمها بفتح الرسائل وقراءتها لها؛ إذ لم تكن تريد سماع الأخبار عبر الهاتف. وصلت الرسائل أخيراً هذا الأسبوع، وقد تأخر بعضها أسابيع قليلة، فيما وصل البعض الآخر في الوقت الصحيح. ثمة مغلفات أكثر سماكة من مغلفات أخرى، مما يعني عادة القبول. لقد حصلت على الجواب من كل جامعة تقدمت إليها، وبدت متوترة وهي تمسك بالمغلفات. فالآن، سوف يتقرر مستقبلها، وستعرف أين ستمضي السنوات الأربع المقبلة. وسيكون لديها على الأرجح خيارات عدة. أملت في أن تكون الخيارات التي أرادتها، وألاّ تكون خياراتها الثانوية.

كانت هناك ستة مغلفات. تقدم بعض أصدقائها إلى اثنتي عشرة جامعة، لكن سافاناه حصرت العدد بست جامعات. جلست ألكسا وموريال على الأريكة وانتظرتا بأنفاس مقطوعة، فيما بدأت سافاناه بفتح المغلفات.

فتحت مغلف ستانفورد أولاً، فعرفت أنهم قد رفضوها. بدت منهارة قليلاً، لكن أمها قالت لها بسرعة إنها ما كانت لتسمح لها بالذهاب إلى هناك على كل حال، ولذلك ليس للرفض أيّ أهميّة، مما هوّن الأمور عليها قليلاً. عرفت سافاناه أن هذا صحيح لأن أمها قالت هذا الأمر منذ زمن طويل، وما كانت لتسمح به إلا إذا كان خيارها الوحيد الباقي.

رفضتها جامعة هارفارد أيضاً، ولم تكن سافاناه متحمسة لها أيضاً. فلقد بدت الجامعة كبيرة ومخيفة جداً بالنسبة إليها.

أما جامعة براون فقد وضعتها على لائحة الانتظار، وهنّأتها على عملها الجيد. خاب أملها قليلاً من ذلك. فلقد كانت براون خيارها الثاني.

بقي أمامها برنستون وجورج واشنطن وديوك. فتحت مغلف ديوك وعرفت أنه تم قبولها. فأطلقت النساء الثلاث في غرفة الجلوس صيحة فرح، وعانقن بعضهن، وابتسمت سافاناه ابتسامة عريضة، ثم جلسن مجدداً. تم قبولها في جامعة، وهي جامعة جيدة.

"لماذا أشعر وكأنني في حفل توزيع جوائز الأوسكار؟ وجائزة أفضل تصوير...". قالت موريال ذلك فيما قهقهت سافاناه، وبدت متوترة أكثر مما كانت قبلاً. فتحت بعدها مغلف جورج واشنطن، وحصلت على قبول آخر. لديها الآن جامعتان. والجامعة الأخيرة هي التي تريدها أكثر من أي شيء آخر. برنستون. بدا المغلف هزيلاً. ربما رفضوها. جلست وهي تمسك به بين يديها. فقالت لها موريال: "هلاّ فتحته. لا أستطيع تحمل هذا التشويق".

"ولا أنا". اعترفت سافاناه. إلا أنه استعراض سافاناه. لقد عملت بكدّ، وانتظرت وقتاً طويلاً لمعرفة الجواب. تم إرسال طلباتها قبل ثلاثة أشهر. مزقت المغلف بعناية شديدة، وخوف كبير، ثم فتحت الرسالة ببطء. أغمضت عينيها قليلاً، ثم قرأتها، وقفزت على قدميها وأطلقت صرخة وهي تقول:

"تم قبولي! تم قبولي! أوه، يا الله! تم قبولي!". صرخت فيما رقصت في الغرفة، وبكت أمها وجدتها. وقفتا دقيقة لمعانقتها. "سوف أذهب إلى برنستون". صرخت بفرح، ثم تذكرت فوراً أنه سيخيب أمل تورنر لأنها لم تقبل بديوك. فلقد تم قبوله هناك، وسوف يذهب إلى ديوك. لكنهما يستطيعان زيارة بعضهما. برنستون هي حلمها، ولن تتخلى عن ذلك من أجل شاب، ولا حتى من أجل شاب لطيف مثل تورنر.

كان جوّ الحماسة في الغرفة طاغياً. فتحت ألكسا زجاجة من الشراب، فيما ذهبت سافاناه للاتصال بوالدها. فلقد عرف أن ألكسا ستحضر معها الرسائل، وكان متشوقاً لمعرفة الأخبار.

فتح هاتفه الخلوي في المنزل. "لم يتم قبولي في ستانفورد وهارفارد، وفي براون أنا على لائحة الانتظار، ولكنني قُبلت في جورج واشنطن،

وديوك، و... برنستون!". صرخت عبر الهاتف، وابتسم هو ابتسامة عريضة. "سأذهب إلى برنستون بابا". مثل تورنر، كان يفضل أن تذهب إلى ديوك، لكنه متحيز للجامعات الجنوبية. وبرنستون جامعة مهمة جداً. كل خياراتها موجودة فيها. لقد طمحت للعلى وأبلت حسناً. كان فخوراً جداً بها.

"مبروك! فلنحتفل ليلة غد. سأدعو الجميع إلى العشاء. مبروك حبيبتي. أنا فخور جداً بك". شكرته وعادت إلى أمها وجدتها. جلسن يتحدثن عن الأمر لساعات طويلة، ثم خرجن لتناول العشاء في مطعم سافاناه المفضل. إنه كثير الضجة والألفة ومليء بتلاميذ المدارس. تلقى معظم أصدقائها إجابات من جامعاتهم في الأسبوع الماضي، ولم تتقدم جوليان إلى أي جامعة لأنها تأخذ سنة كإجازة، بالرغم من أنها تشعر بالقليل من الأسف الآن. فلقد شعرت بأنها منبوذة، ولذلك لم تتصل بها سافاناه كي لا تضايقها أكثر. إلا أنها اتصلت بتورنر قبل أن يغادرن الفندق، وتحمس من أجلها، بالرغم من خيبة أمله لعدم رغبتها في الذهاب معه إلى ديوك. لكنه عرف كم تعني لها برنستون، ووعد بأن يأتي لزيارتها كلما استطاع ذلك، ووعدته هي بالشيء نفسه.

كانت ليلة رائعة، وكانت سافاناه لا تزال تبدو سعيدة جداً حين عدن إلى الفندق. استمتعت جدتها بالمدينة. فلطالما أحبتها حين كانت تزور ألكسا في أثناء فترة زواجها من طوم. رأت أن المدينة تملك مقداراً كبيراً من السحر. جلسن وتحدثن مدّة قبل أن يخلدن جميعاً إلى النوم، وهنّ لا يزلن يشعرن بالحماسة من أخبار سافاناه الرائعة. وفي صباح اليوم التالي، اتصل بها ترايفيس لتهنئتها، وكذلك فعلت دايزي. أرادت أن تعرف إذا كان بوسعها زيارة سافاناه في برنستون، وقالت لها أختها الكبرى إنها تستطيع حتماً فعل ذلك. واتصل بها هنري بعد ذلك، وكان متحمساً، بالرغم من قوله لها إنه حزين لعدم ذهابها إلى جامعته، وطلب التحدث إلى أمها بعد ذلك. تحدث إلى ألكسا بضع دقائق، وكانت ألكسا تبتسم حين أعطت سافاناه الهاتف. اتصل الجميع. وكانت جدتها بومونت المتصلة التالية. أخبرتها أنه

كان يجدر بها الذهاب إلى جامعة جنوبية. ولكن، إذا أرادت الذهاب إلى جامعة شمالية، فإن برنستون ممتازة.

"أليست هذه للرجال فقط؟". سألت أوجيني وهي مرتبكة نوعاً ما.

أجابت سافاناه: "كانت كذلك. لكنها لم تعد هكذا الآن".

"يا إلهي! ما الذي وصل إليه العالم الآن؟!". قالت أوجيني ذلك وهي تبتسم، ثم قالت إنها تود المجيء لشرب الشاي، ولرؤية والدة سافاناه وجدتها في الفندق بعد ظهر اليوم. أصيبت سافاناه بالذهول. وقالت إنها واثقة بأنهما ستسعدان كثيراً، وشكرت جدتها. "سأطلب من والدك أن يحضرني". اقترحت المجيء عند الساعة الرابعة. أقفلت سافاناه السماعة، وأملت في ألا تعارض أمها الزيارة.

"أظن أن هذا لطف كبير منها". قالت ألكسا بلطافة، وكانت نبرتها متحفظة نوعاً ما. إنها المرأة التي أدت إلى تحطيمها قبل عشرة أعوام ودمّرت حياتها، ولكنها جدة سافاناه، وترغب في أن تكون لبقة معها من أجل ذلك. صممت ألكسا على بذل جهد من أجل ابنتها، وكانت أمها فخورة بها. قالت ألكسا إنها رأت طوم، ويفترض بها أن تتمكن من رؤية والدته، بالرغم من عدم امتلاكها مشاعر جيدة حيالها.

"شكراً ماما". قالت سافاناه بامتنان. وعرفت كم هو أمر عظيم أن تخرج جدتها بومونت من منزلها. فهي نادراً ما تترك منزلها الآن. إنها عجوز بما فيه الكفاية لتكون والدة جدتها الأخرى.

تابعن الاحتفال طوال اليوم، وذهبن إلى المنتجع الصحي معاً. أحبته موريال، وقامت بترتيب شعرها وتقليم أظفارها بعد جلسة التدليك. ثم عدن جميعاً إلى الجناح عند الساعة الثالثة والنصف لارتداء ملابسهن والاستعداد للقاء السيدة بومونت عند الساعة الرابعة.

وصلت في الوقت المحدد مع طوم. كانت سافاناه متحمّسة لرؤيتها، وألقت عليها موريال التحية بحنان، فيما بدت ألكسا متوترة. توجهت الجدة بومونت إلى ألكسا أولاً.

"أدين لك باعتذار ألكسا". وقفت متكئة على عصاها، ونظرت مباشرة إلـــى عينـــي ألكسا مع تعبير جدي. "لقد دمّرت حياتك، وحياة ابني. ما من اعــتذار يعوّض عن ذلك. لكنني أريدك أن تعرفي أنني أعي غلطتي، وأنا مستعدة ليحاسبني الله في يوم من الأيام. لكنك تملكين ابنة رائعة، وأنا أحبها كثيـــراً". شـــكرتها ألكسا بهدوء وعانقتها بلباقة. هذا صحيح. فالاعتذار لن يعـــوّض أبـــداً عـــن زواجهـــا. لكنها امتلكت على الأقل اللباقة والشجاعة للاعتراف بما فعلته. وقف طوم خلفها وبدا محرجاً، من دون أن ينظر إلى عيني ألكسا.

بعـــد ذلـــك، كان الاحتفال الحقيقي. أظهرت ألكسا للجدة بومونت الكتـــيّب الصغير لجامعة برنستون. إنها جامعة جميلة، وتتحرق سافاناه شـــوقاً للـــذهاب إلى هناك. اتصلت هذا الصباح بعدد من أصدقائها في نـــيويورك، وأرسلت رسائل إلكترونية إلى آخرين. سوف تذهب اثنتان من صديقاتها إلى برنستون، وهي تنوي العيش مع واحدة منهما. لقد تم التخطيط لكل شيء.

بقيت والدة طوم معهنّ مدّة ساعة، ثم أعادها ابنها إلى المنزل. كانت جـــولة كبيـــرة بالنسبة إليها، خصوصاً بعد إصابتها بالإنفلونزا التي تركتها ضعيفة. عانقت ألكسا حين غادرت، وهنأتها مجدداً على نجاحها في تربية سافاناه.

ذكّـــرهن طوم جميعاً أنه سيلتقي بهنّ في المطعم عند الساعة الثامنة، وســـيأتي معـــه كـــل من دايزي وترايفيس وسكارلت، وسوف يأتي تورنر أيـــضاً. ســـوف يحـــتفلون هم الثمانية بقبول سافاناه في جامعة برنستون. أوصـــل أمه إلى منزلها، وعاد إلى المنزل. وحين وصل إلى هناك، بحث عـــن لويـــزا ودعاهـــا للخروج معهم مجدداً. كان وجهها متصلباً، وكانت نظرتها مألوفة بالنسبة إليه.

"لا تكـــن ســـخيفاً طـــوم. لن أتناول العشاء معها". إنها تقصد ألكسا، وعرف ذلك. "ولا أهتم أبداً بالجامعة التي ستذهب إليها سافاناه، فهي ليست

ابنتي. بالإضافة إلى ذلك، أنا واثقة بأن ألكسا لا تريد رؤيتي أيضاً. فهي لا ترتاح لي".

اعترف لها: "أنت محقة ربما، لكنك تستطيعين المشاركة نوعاً ما. لقد فعلـــت كـــل ما بوسعك لتفادي سافاناه منذ وصولها إلى هنا وجعلها تشعر بأنها ليست محط ترحيب. إنها ابنتي".

"ولكـــنها ليـــست ابنتي". قالت لويزا مجدداً. بدت رزينة وحزينة. "لا أريدها هنا. عرفت ذلك وأحضرتها بالرغم من ذلك".

"لـــم أكـــن أملـــك الخيار. لست بحاجة إلى جعل الأمور صعبة على الجمـــيع لويـــزا. لن تؤذيك، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أمها. لا تريدان أي شيء منك، ولا حتى مني".

قالـــت بحزن: "لقد حصلن عليه أصلاً. امتلكتك ألكسا طوال الأعوام الأحد عشر الماضية. فأنت لم تتركها قطّ يا طوم". أذهله ما قالته.

"عـــمّ تتحدثين؟ تركتها قبل أحد عشر عاماً، من أجلك أنت ودايزي. تركتها لكي نتزوج مجدداً. لم أرها مجدداً، أو حتى أتحدث إليها حتى شهر شـــباط/فبراير من هذا العام". أومأت لويزا برأسها. إنها تصدق ذلك، وقد تحققت من الأمر غالباً. فالثقة برأيها لا تحول دون المراقبة.

"ولـــم تـــتوقف أيضاً عن حبها. عرفت ذلك في كل مرة نظرتُ فيها إلـــيك، ومـــن الطريقة التي تنظر فيها إليّ. ظننت أنني أستطيع أن أسرقك مـــنها، وأنك نسيتها. لكنك لم تنسها قطّ. ولم تحبني يوماً طوم. أردتني أن أعـــود لتتساوى مع ثورنتون، لأنني تركتك من أجله. جرحت في كبريائك وليس في قلبك. لطالما امتلكت ألكسا قلبك". لم يتفوه طوم بكلمة حين قالت ذلك، فهو لا يستطيع الإنكار. هذا صحيح. وكلاهما يعرفان ذلك، تماماً مثل ألكسا، بالرغم من أنها لا تريده. "لم تتوقف عن حبها قطّ، وأنت الآن تحب ابنتها، التي تبدو مثلها تماماً".

دافع عن نفسه قائلاً: "سافاناه لها شخصيتها الخاصة".

"تناولت الغداء مع ألكسا في آخر مرة كانت فيها هنا".

"نعم". تعرف دوماً كل ما يفعله. "لدينا ابنة مشتركة".

"وماذا أيضاً؟".

"لا شيء. إنها لا تريدني". قال ذلك بحزن. ولم يكن هذا حديثاً أراده مع زوجته.

"هل سألتها؟".

"لا، لكنني لست سعيداً. وأنت تعرفين ذلك. كنت قاسية معي طوال سنوات. نلت مني، ولسبب لا أفهمه، أنت تعاقبينني منذ ذلك الحين".

"لأنني عرفت أنك ما زلت تحبها، ولم تحبني قطّ".

"لكنني بقيت معك. يفترض أن يعني ذلك شيئاً؛ الإخلاص على الأقل". لكنهما يعرفان أنه غير مخلص. لقد أثبت ذلك لألكسا. كان ضعيفاً؛ وهذا الأمر مختلف، وعرفت لويزا ذلك، وكذلك هو.

"لا أعرف لماذا تبقى معي". قالت له لويزا، وهي صريحة للمرة الأولى منذ أعوام، لا بل للمرة الأولى على الإطلاق. ثم تابعت قائلة: "من أجل دايزي ربما، أو ربما بدافع الكسل، أو لأن أمك طلبت إليك ذلك. وأمك كذلك انقلبت ضدّي". عرفت بشأن زيارتها لألكسا وأمها بعد ظهر اليوم، فلقد أخبرها طوم بذلك. "انقلبت ضدّي حين أحضرت سافاناه إلى هنا. ما من احترام لي على الإطلاق".

"يصعب احترام امرأة غاضبة إلى هذا الحد، وحقيرة في أغلب الأحيان، لويزا. فكري في الأمر. لست حتى لطيفة مع دايزي، ابنتك أنت. تخليت عن الصبيين؛ وعني. يصعب نسيان هذه الأمور. ماذا نفعل الآن إذاً؟ نكره بعضنا طوال السنوات الأربعين المقبلة، أو نتخلى عن كل شيء؟ سيكون جميلاً لو استطعنا البقاء صديقين. لست مضطرة إلى الذهاب الليلة. وأنت محقة، ربما لا يجدر بك فعل ذلك. سيكون الوضع غريباً بالنسبة إليكما معاً، وكذلك بالنسبة إلى سافاناه. إنها تحب أمها كثيراً".

"وأنت أيضاً".

"لا. أشعر بالذنب، وهذا مختلف. لم أنجح في حمايتها حين كان يجدر بي حمايتها منك أنت. خنتها، ونمت معك، وأصبحتِ حاملاً. حسبما أعلم، فعلت كل شيء عمداً". لم تتفوّه بكلمة، الأمر الذي أكّد له ما يعرفه على كلّ حال. "تركتك أنت وأمي تتحكمان بي. لكنني لم أحبها ولو ثانية واحدة، وكانت هي زوجتي آنذاك، وليس أنت. وأنت زوجتي الآن. سيكون جميلاً لو تصرفت هكذا، بين الحين والآخر، وليس وكأنك تكرهينني. لقد أنشأنا هذه الفوضى معاً. هذا ما أردته، ولقد حصلت عليه. لماذا لا نستفيد من الوضع، أو نحاول ذلك على الأقل؟ ستكون حياة موحشة وحزينة جداً لكلينا معاً إذا لم نفعل". كان كل ما قاله صحيحاً.

قالت بهدوء: "سأشعر بالتحسن حين تغادر سافاناه. نستطيع البدء حينها".

"مثلما تريدين". قال مع خيبة أمل واضحة، وغادر بعد دقائق قليلة من دون أن يراها مجدداً، فلقد بقيت في غرفتها. وشعر كلاهما بالاضطراب من الحديث الذي تبادلاه. لم تتودد إليه لويزا قطّ، أو تحاول التصرف معه بلطف. هكذا هي. وكان زواجهما كارثة نتيجة لذلك، لكليهما معاً. وأدرك الآن أنه ربما سيستمر هكذا دوماً. ولن تكون لويزا مختلفة حين تغادر سافاناه. وهذا بمثابة عقاب له على جريمته بحق سافاناه وأمها.

كان العشاء الذي أقيم على شرف سافاناه ممتعاً وحيوياً. أفرط ترايفيس قليلاً في الشرب وكان مضحكاً جداً، وأخبر قصصاً عن أيامه في جامعة فيرجينيا، وكانت قصصاً مضحكة. أما سكارلت فكانت رائعة مع سافاناه وتحدثتا عن الزفاف. كانت دايزي متحمسة جداً وأحبت والدة سافاناه وجدتها، اللتين كانتا أكثر مرحاً من والدتها وجدتها. ونظر تورنر بحنان كبير إلى سافاناه خلال العشاء، وجلس قربها ممسكاً بيدها تحت الطاولة. وفي لحظة من اللحظات، التقت عيون طوم وألكسا عبر الطاولة واختفت السنوات. مهما حصل بينهما، فهما فخوران بابنتهما، وهذا يوم مميز جداً. كانت أمسية رائعة بالنسبة إليهم جميعاً. كانوا آخر من غادر

المطعم، وكان احتفالاً مثالياً لسافاناه. لقد تحققت أحلامها، وهي محاطة بالأشخاص الذين تحبهم، وهذه مجرد البداية. وطوال السهرة، لم يفكر أحد في لويزا، ولا حتى طوم. كانت وحيدة في المنزل، وهي تشعر بأنها تكرههم جميعاً.

الفصل السادس عشر

جلست ألكسا قرب أمها في أثناء رحلة العودة إلى المنزل. كانت عطلة نهاية الأسبوع احتفالية ومليئة بالفرح والمتعة، وشعرت موريال بالسرور لأنها ذهبت معها، وخصوصاً لدى فتح سافاناه المغلفات ومعرفتها أنه تم قبولها في برنستون. إنها لحظة لا تنسى بالنسبة إليهم جميعاً.

إلا أن موريال لاحظت أيضاً شيئاً مختلفاً في ألكسا الآن. لم تعد غاضبة، أو متألمة، وبدت أكثر اطمئناناً. شكت أمها في أن عودتها إلى تشارلستون أفادتها. لقد واجهت كل أشباح الماضي: طوم، وأمه، ولويزا. بدوا جميعاً أنهم تقلصوا مع الوقت. عرفت أن طلاق ألكسا من توم لا يزال خسارة كبيرة بالنسبة إليها. لكن، حين ترى من يكون طوم فعلاً، وكم هو ضعيف، يتضح أنها لم تخسر كثيراً في النهاية. أملت في أن تعرف ألكسا ذلك، وأن ترى الأمور بصورة أفضل الآن. إنه رجل أناني جداً، والسبب الوحيد الذي يدفعه إلى استرداد ألكسا هو عدم نجاح زواجه مع لويزا. لو نجح، لما ندم على الإطلاق. رأت موريال أنه نال ما استحقه؛ امرأة لا تحترمه بقدر ما لا يحترم هو نفسه. ومثلما فعلت ألكسا مؤخراً، تذكرت آشلي في فيلم ذهب *مع الريح*. تحتاج ابنتها الآن إلى ريت باتلر. أملت فقط في أن تعثر عليه يوماً ما. لديها الحق في الحصول على بعض السعادة بعد كل تلك السنوات الصعبة والموحشة. وقد أنجزت عملاً رائعاً مع ابنتها. انتهت هذه المهمة الآن. أصبحت سافاناه ناضجة، ولقد بدأت حياتها.

والأفضل من كل شيء كانت سافاناه المشرقة مع كل ما ينتظرها. رأت موريال أن صديقها في تشارلستون شاب لطيف جداً. وتساءلت إذا

كانت علاقتهما الرومنسية ستدوم حين تذهب سافاناه إلى برنستون ويذهب هـو إلـى ديـوك. يـصعب دوماً توقع مثل هذه الأمور. بعض القصص العاطفية تدوم، وبعضها لا يدوم. وحده الزمن كفيل بتحديد ذلك.

نظرت موريال إلى ابنتها في أثناء الرحلة إلى نيويورك، وبدت ألكسا نائمة. كانت عطلة نهاية أسبوع عاطفية بالنسبة إليهم جميعاً.

ما زال أمام سافاناه حدثان مهمان في الأشهر القادمة. فسوف تحضر حفل التخرج مع صفها في تشارلستون، ثم تعود لحضور حفل التخرج مع صـفها فـي نيويورك. سوف تلتقي أصدقاءها مجدداً، في الوقت المناسب لـتوديعهم. ووعـدها تورنر بالذهاب. سيكون ذلك ممتعاً أيضاً بالنسبة إلى سـافاناه. لن يحضر والدها، لأنه سيكون في تخرج تشارلستون، وشعر أن نيويورك هي حصن أمها، ولم يكن يريد التطفل، وقبلت سافاناه بذلك. لكن، فـي الـبداية، يـتوجب على أمها إنهاء المحاكمة لتعود سافاناه بعدها إلى المنـزل. إنهـا جاهـزة. فلقد كانت تشارلستون رائعة؛ حصلت على أب، وأخـت، وأخين، ووقعت في الغرام. لكن نيويورك وأمها لا يزالان المنزل بالنسبة إليها.

رأت ألكسا أنه لن يكون بوسعها العودة إلى تشارلستون مجدداً إلا بعد المحاكمـة. فلـديها الكثير من العمل الآن، لكن سافاناه فهمت الأمر. فلقد وصلت ألكسا إلى المرحلة الأخيرة.

فـي الـصباح الذي تلا عطلة نهاية الأسبوع في تشارلستون، كانت ألكـسا في مكتبها عند الساعة السابعة. نهضت عند الساعة الخامسة لقراءة بعـض المـواد التي تحتاج إليها للاستعداد للمحاكمة، والاستدعاءات التي قدمتها محامية الدفاع العام للقاضي.

تقدمت محامية الدفاع العام باستدعاء لإبطال القضية، الأمر الذي بدا سـخيفاً ومـضحكاً جداً. فلن يقبل به أي قاضٍ، لكنها تقدمت به على كل حال. فهي تدين لموكلها بالمحاولة. وتقدمت أيضاً باستدعاء ساندوفال لمنع ألكـسا مـن محاكمة كانتن بناء على إداناته السابقة. ربحت في ذلك، لكن

ألكـسا لـم تكترث فعلاً. فالأدلة ضده في هذه القضية قوية جداً، والجرائم شـنيعة جـداً، بحيث إن تهم السرقات والاحتيالات التي أدين بها قبلاً تبدو غيـر ذات صـلة، وغيـر مرتبطة حتماً بهذه القضية، رغم أن الاتهامات السابقة تطلع حتماً هيئة القضاة على نوع الرجل الماثل أمامهم.

فـي ذلـك الصباح، جرى البتّ في كلا الاستدعاءين في المحكمة. عارضـتهما ألكـسا، ورفضهما القاضي، فخرجت محامية الدفاع العام من قاعة المحكمة وهي تبدو حزينة.

"هذا كثير". تمتم جاك بصوت منخفض فيما لحق هو وسام بألكسا إلى خـارج قاعة المحكمة مع فريق من نخبة وحدة الجرائم في مكتب التحقيقات الفدرالـي، ساعدهم في الاستقصاء والتحضير للقضية. كانت الاستدعاءات روتينـية، وبدا القاضي متململاً فيما كانت محامية الدفاع تسردها. لا يوجد أي تعاطف مع لوك كانتن في قاعة المحكمة، ولن يكون هناك أي تعاطف من قبل هيئة القضاة. تملك ألكسا كل الأدلة ولديها شهود؛ الإدانة مؤكدة.

ذهبت ألكسا لرؤية جودي دوانينغ بعد ظهر ذلك اليوم.

"آسفةً بشأن الاستدعاءات". قالت ألكسا بودّ، محاولة أن تبدو متعاطفة بالرغم من أنها لم تكن كذلك.

تذمـرت جـودي: "أظن أن القاضي كان غير منطقي بشأن استدعاء سـاندوفال. لا حاجة لأن يعرف القاضي أنه كان مداناً بالسرقة والاحتيال ليحكم في هذه القضية". لم تعلّق ألكسا وإنما أومأت برأسها فقط. لقد جاءت لرؤيتها لإقناعها مجدداً بأن يعترف موكلها بالذنب ويتجنب المحاكمة.

قالـت ألكـسا بصراحة: "لا أستطيع أن أقدم إليه الكثير في مثل هذه القـضية. لكنه ربما يحصل على معاملة أفضل في السجن إذا كان منطقياً الآن. المحاكمة ستكون مجرد استعراض، وسوف تدينه هيئة القضاة. عليك أن تعرفـي ذلـك. هناك الكثير من الأدلة ضده. أعتقد أنه يوجد عشرون صـندوقاً مـنها في مكتبي. جودي، تحدثي إليه. لا يحتاج أحد إلى الألم". حاولت محامية الدفاع العام تحدي الرخصة التي حصل عليها النائب العام

للــسماح لجــاك وتشارلي بتفتيش غرفته في الفندق، ولكن تم رفض ذلك أيضاً، ولذلك تم قبول كل الأدلة الجرمية في المحكمة.

"لديه الحق في الحصول على محاكمة". قالت محامية الدفاع ذلك عبر شــفتيها المــزمومتين. الأمر أشبه بالتحدث إلى حائط، وعادت ألكسا إلى مكتــبها منــزعجة أكثــر من قبل. سوف تكون المحاكمة تهريجاً إعلامياً، وسوف يتم الحكم عليه بالسجن لمئة عام. فليكن. لديها عمل للقيام به. لديها اجتماعات مع مكتب التحقيقات الفدرالي طوال الأسبوع، وعليها جمع الأدلة الجنائــية من تسع ولايات، وتنظيم الشهادات، وإنهاء مقدمتها في المحكمة. علــيها ترتيب ألف غرض، ولم يبقَ لديها إلا أسابيع قليلة لفعل ذلك. هناك الكثيــر من المحققين في القضية الآن بحيث لم تعد تعرفهم جميعاً بالاسم، وكان مكتب التحقيقات الفدرالي يحضر الاجتماعات كلها للتأكد من الحفاظ علــى كــل الإجراءات الملائمة. لا يريد أحد حصول أي هفوة بحيث تتم إعادة كل شيء مجدداً. تمت مناقشة إمكانية تغيير مكان المحاكمة، ولكن تم رفــض ذلــك لأن كانتن بات معروفاً الآن في كل ولاية. أصبحت القضية خبــراً وطنــياً. والقاضــي المــسؤول عن المحاكمة مشهور بفظاظته مع الــصحافة، وهذا أمر جيد. خلال الأسابيع القليلة التي تسبق بدء المحاكمة، سوف تأكل ألكسا وتنام وتحلم بالمحاكمة.

اتــصلت يومــياً بسافاناه من المكتب، ولكنها لم تملك الوقت الكافي للــتحدث إلــيها طــويلاً، وحين كانت تعود إلى المنزل ليلاً، يكون الوقت متأخراً جداً للاتصال بها. فهمت سافاناه ذلك وكانت مشغولة في حياتها في تشارلستون، مع الأصدقاء وحبيبها.

بقــي أسبوعان فقط قبل بدء المحاكمة. وذات ليلة، كان طوم يشاهد الأخــبار فــي مكتبه، حين رأى مؤتمراً صحافياً وأدرك أنها ألكسا. فنادى ســافاناه لكــي تأتــي وتــشاهد، وجاءت دايزي أيضاً. وقفوا أمام التلفاز، وشاهدوا ألكسا تتحدث بطلاقة عن المحاكمة القادمة التي تطال مجرماً قتل ثمانــي عــشرة ضحية. كان هناك جحافل من رجال الشرطة ومن رجال

مكــتب التحقيقات الفدرالي حولها، لكن "المكيروفونات" كانت كلها موجهة نحو ألكسا فيما أعطت إجابات دقيقة ومتناسقة وذكية على الأسئلة الموجهة إلــيها. بدت هادئة، وباردة، وكفوءة. وبما أنها لم تعلم سبب الجلبة، جاءت لويــزا أيضاً ووقفت هناك، وشاهدتها بضع لحظات، ثم ابتعدت وقد زمّت شفتيها بشكل قاس.

عــندما انتهى المؤتمر الصحافي، نظر طوم إلى ابنته الكبرى وأثنى على أمها.

"كانت جيدة جداً. ستكون هذه المحاكمة فوضوية وصعبة عليها، وبدأ الإعــلام يــسلّط الضوء على القضية أكثر. أعتقد أنها كانت رائعة، أليس كــذلك؟". وافقته سافاناه الرأي وكانت فخورة بها، وتحمست دايزي أيضاً. فهي لم ترَ مسبقاً أي شخص تعرفه على شاشة التلفاز، وابتسمت لأختها.

"تــبدو مثل نجمة سينمائية". قالت فيما ابتسمت سافاناه. عادت لويزا بعد قليل، وأخبرتهم أنه حان وقت العشاء. لم تعلّق بشأن البث التلفزيوني، وبــدا جلــياً أنه أزعجها. بدت غير قادرة أبداً على التصرف بلباقة حيال ألكسا. فهي لا تريد أن تسمع عنها، أو ترى أي شيء عنها، أو تتعاطى مع ابنتها، وهي تدرك باستمرار أن طوم أجبرها على استقبال سافاناه هنا. كل ما تريده هو إبعادها قدر الإمكان.

جــنّ جنون لويزا قبل ثلاثة أيام من المحاكمة حين وصلت الدعوات إلــى زفاف ترايفيس وسكارلت بالبريد وحصلت سافاناه على دعوة. كانت تفــتحها حين عادت لويزا إلى المنزل من عند مزيّن الشعر. تعرفت فوراً على الدعوة وصرخت في وجه سافاناه.

"من أين حصلت على هذه؟". تصرفت كما لو أنها سرقتها، أو كما لو أنها تفتح بريد شخص آخر.

قالت سافاناه فوراً بنبرة دفاعية لزوجة أبيها الشريرة التي حاولت أن تحول حياتها إلى جحيم، ونجحت في ذلك أحياناً: "إنها لي. جاءت بالبريد. اسمي مكتوب عليها". لولا وجود والدها للدفاع عنها باستمرار، لكانت حياة

سافاناه بائسة. لقد خفف كل الصدمات عنها، لكن لويزا تنال منها بين الحين والآخر.

"هل أرسلوا إليك دعوة إلى الزفاف؟". بدت مذعورة وسحبت الدعوة من يد سافاناه. ودخلت إلى مكتب طوم وهي تحملها ولوّحت له بها بغضب. "لن أقبل بوجودها في زفاف ابننا!". قالت وهي ترتجف من الغضب فيما واجهته. "لا تنتمي إلى هنا. ليست أخته الشقيقة. ولن أشعر بالذل في زفاف ابني". فهم بسرعة ما حصل حين رأى الدعوة التي تحملها وهزّ رأسه.

"إذا كانت هنا حين يتزوجان، فلا يمكنك منعها من الذهاب إلى الزفاف. لن تبقى في المنزل مثل سندريلا فيما يذهب الآخرون إلى هناك".

"وإذا لم تكن هنا وقت الزفاف؟". لم تكن تريدها أن تعود من أجل ذلك. فهي تريد رحيلها إلى الأبد، وعدم عودتها طبعاً لحضور حدث عائلي بهذه الأهمية. سيكون جميع من هم من كارولينا الجنوبية حاضراً، ومن الولايات المجاورة كذلك.

"يعود حينها إلى سكارلت ودايفيس أن يقررا إن كانا يرغبان في دعوتها أم لا. هل أذكرك بأننا لسنا نحن من يقيم الزفاف؟ والدا سكارلت هما من يفعلان ذلك. ويعود الأمر إليهما". لقد سئم الشجار، لكن لويزا لا تتعب.

"ومن وضعها على اللائحة؟".

أجابها: "لا أعرف".

اتصلت لويزا بسكارلت بعد خمس دقائق تقريباً، وأخبرت كنتها المستقبلية بنبرة واثقة أنها لا تريد سافاناه في زفافهما.

قالت سكارلت برفق: "أمي بومونت. لا أظن أن هذا أمر جيّد ومناسب. إنها أخت ترايفيس، وأنا أحب سافاناه كثيراً. سيكون هناك ثمانمئة مدعو إلى حفل العشاء، وثلاثمئة فقط في دار العبادة. أظن أنه لن يتأذى أحد من وجودها في زفافنا". أصرّت سكارلت وأوضحت أنها لن تكون فظة مع سافاناه.

"سوف يؤذيني أنا!". صرخت حماتها المستقبلية ثم تابعت قائلة: "وأنت لا تريدين ذلك، صحيح؟". إنه إنذار واضح.

"طبعاً لا. سأجعلها تجلس في الطرف المقابل من المطعم؛ بعيداً عنك". حاولت سكارلت طمأنتها، فأقفلت لويزا الخط بفظاظة وبقيت تشتعل غضباً طوال الساعتين التاليتين.

بعد قليل، قالت سافاناه لوالدها بهدوء: "ربما سأكون قد غادرت حينها. إذ ربما ستكون المحاكمة قد انتهت".

"سيكون ممتعاً أن تأتي إلى الزفاف. سيكون نصف سكان تشارلستون موجودين. مع ثمانمئة مدعو، لن تتمكني من العثور على أحد تعرفينه، حتّى إذا أردت ذلك. سوف تهدأ لويزا". طمأنها وحاول ألا يبدو منزعجاً بقدر ما كان في الحقيقة. كانت لويزا مثل الكلب المسعور الذي يقف أمام قطعة من العظام ولا يريد التخلي عنها. كانت تريد سافاناه خارج حياتهم. إنه موقف صعب بالنسبة إلى فتاة عمرها سبعة عشر عاماً، وصعب أكثر بالنسبة إليه، إذ كان ممزقاً دوماً بين زوجته وابنته. الأمر الذي كان مؤلماً لسافاناه ومرهقاً بالنسبة إليه. حاولت دايزي البقاء تحت الرادار قدر الإمكان.

تحدثت سافاناه إلى أمها تلك الليلة وذكرت لها الدعوة، وذهلت ألكسا حين قالت لها ابنتها إنها تلقت دعوة لحضور الزفاف هي أيضاً.

"هل ستأتين أمي؟". لم تتخيلها سافاناه آتية، ليس في حضور لويزا.

"لا، حبيبتي. لن أفعل. ولكن لطف منهما أن يدعواني. يمكنك الذهاب إذا أردت. أما أنا فلا أظن أنه يجدر بي فعل ذلك. ستصاب لويزا بجلطة في القلب، أو ربما ستسمم حسائي". فضحكت سافاناه على ما قالته أمّها.

"سيكون هناك ثمانمئة مدعو. قال والدي إنها لن ترانا أبداً إذا ذهبنا".

"لا أريد أن أجعلها تشعر بالانزعاج، سافاناه".

"أعرف ماما. لكنني أودّ الذهاب، وأفضل الذهاب معك".

"سوف نرى. سوف نتحدث عن الأمر بعد انتهاء المحاكمة. لا أستطيع التفكير في الأمر الآن. حفلات الزفاف هي آخر ما يخطر في بالي". تسير ألكسا في ألف اتجاه دفعة واحدة.

عقدت ألكسا مؤتمراً صحافياً آخر في ذلك اليوم، وفعلت محامية الدفاع الشيء نفسه أيضاً، وأصرّت على أن كل هذا هو سوء تفاهم بخصوص رجل بريء تمت محاصرته، وسوف تتم تبرئته بعد المحاكمة. قالت إنها واثقة من إطلاق سراح لوك كانتن لأنه رجل بريء.

بدت أكثر جنوناً حين رأتها سافاناه على شاشة التلفاز في وقت لاحق من ذلك اليوم. كانت دايزي تشاهدها وهي تبدو مرتبكة. تسمع سافاناه الآن الأخبار في غرفتها باستمرار. فأمها تظهر على شاشة التلفاز كل يوم.

سألتها دايزي: "هل فعلها أم لم يفعلها؟".

"يعود إلى هيئة القضاة أن تقرر ذلك. لكنه فعلها. صدقيني. سوف تتم إدانته وإرساله إلى السجن".

"لماذا تقول السيدة الأخرى إنه لم يفعلها؟".

"هذه وظيفتها. يجب عليها الدفاع عنه. ووظيفة أمي تقضي بالإثبات أنه قد ارتكب الجرائم". أومأت دايزي برأسها. إنها تتلقى دروساً يومية حول نظام العدالة الجرمية من سافاناه. منع القاضي دخول الكاميرات إلى قاعة المحكمة، لكن حين تبدأ المحاكمة، ستنتشر الكاميرات في القاعات وعلى درج المحكمة.

حين بدأت المحكمة، شاهدت سافاناه الأخبار قبل الذهاب إلى المدرسة. وشاهدتها مجدداً في الكافتيريا في أثناء استراحة الغداء، وعند معرفة الطلاب أن والدة سافاناه هي محامية الادعاء، احتشد حولها عدد من التلامذة. كانت ألكسا محاطة بالمراسلين قبل أن تذهب إلى قاعة المحكمة، لكنها لم تتوقف. كان يجب عليهم انتقاء هيئة القضاة خلال الأيام القليلة التالية.

آرثر ليبرمان، القاضي المسؤول عن القضية، رجل صارم في العقد الخامس من عمره. شعره أبيض قصير، وعيناه تستوعبان كل شيء في

قاعة محكمته. كان عنصراً سابقاً في المارينز ولا يتحمل الهراء. يكره الصحافة، ولا يحب المحامين الذين يبددون وقته باستدعاءات سخيفة واعتراضات مضحكة سواء أكانوا محامي دفاع أم محامي ادعاء. استدعى ألكسا وجودي دوانينغ إلى مكتبه في بداية القضية، وألقى عليهما محاضرة صارمة وتحذيرات واضحة بشأن ما يتوقعه منهما.

"لا أريد هراء في محكمتي، أيتها المحاميتان، أو حيلاً مضحكة، أو تلاعباً بهيئة القضاة بأي طريقة، أو إجراءات غير ملائمة. لم أفشل قطّ في أي محاكمة، ولم تحصل قطّ أي هفوة في محكمتي، ولا أنوي أن تكون هذه المرة الأولى. هل هذا واضح؟". أومأت المرأتان برأسيهما مثل ولدين مطيعين وقالتا: "نعم سيدي". "لديك موكّل للدفاع عنه". قال وهو ينظر إلى جودي. "ولديك ثماني عشرة ضحية لإثبات أن المتهم مسؤول عن قتلهن. ما من مسألة أكثر جدية من هذه. لا أريد أي تصرفات غير مسؤولة في محكمتي، أو دراما غير ضرورية. وانتبها إلى ما تقولانه للصحافة!". قال ذلك وصرفهما على الفور.

بدأت مرافعة جودي بعد نصف ساعة وبدت لامتناهية. جلست ألكسا أمام طاولة المدعي العام وإلى جانبها جاك جونز من جهة وسام لورانس من الجهة الأخرى.

توصلت ألكسا إلى احترام سام في أثناء التحضير للمحاكمة. كان حريصاً بشأن كل شيء. لكنها اكتشفت بسرعة أنه محق، ويتوخى الحذر في كل شيء أكثر منها. تشاركا الغداء على مكتبها مرات عدة في الأشهر الماضية. إنه في العقد الخامس، وعرفت أنه أرمل منذ سنوات، وخصص كل حياته لمكتب التحقيقات الفدرالي. وعرفت أنهم عندما يربحون القضية، فسيعزى جزء من ذلك إلى مساعدته. كره سام كانتن والقضية، وكان مصمماً على عزله بعيداً بقدر جاك وألكسا والنائب العام. أدركت منذ البداية أن هذا هو هدفه الوحيد، وهو لم يحاول قطّ سلبها القضية، بالرغم من أن المدير الإقليمي لمكتب التحقيقات الفدرالي أراد ذلك. أراد العميل

الخاص سام لورانس أن يستلم المهمة أفضل شخص على الإطلاق، وحصلت ألكسا على دعمه الكامل. ابتسم حين جلست قربه وبدأت جلسة اختيار هيئة المحلفين.

كانت عملية طويلة ومرهقة. تم اختيار مئة شخص مؤهل، بعدما جرى استبعاد الحوامل، والمرضى، وأولئك الذين لا يستطيعون ترك مهامهم، والذين لا يتحدثون الإنكليزية، أو يهتمون بأقارب على سرير الموت. واستطاعوا التوصل إلى أسباب مقنعة لاستبعادهم. وعرفت ألكسا أنه سيكون هناك الكثير من الأعذار المماثلة من قبل أولئك الأشخاص المئة الذين تم اختيارهم، والذين جلسوا محتشدين في قاعة المحكمة، وهم يصلّون أن يتم صرفهم بعيداً. شرح القاضي لهم جميعاً أن القضية ستكون طويلة، لأنها تنطوي على الكثير من الجرائم، وأن الشهادات والمناقشات ستستمر لأسابيع أو حتى لأكثر من شهر. لذا، يجدر بالذين يعجزون عن القيام بذلك، أو الذين يملكون أسباباً طبية تمنعهم من الخدمة أن يتوجهوا إلى كاتب المحكمة للتعريف عن أنفسهم. ثم أشار إلى الرجل، وفي غضون دقائق قليلة، وقف صف من عشرين شخصاً أمام كاتب المحكمة، فيما جلس الثمانون الآخرون وهم ينتظرون أن يتم استجوابهم من قبل المحاميتين لمعرفة إذا كان سيتم قبولهم أو صرفهم. كانوا أشخاصاً من كل الأعراق، والأعمار، ومن كلا الجنسين، بدوا بمعظمهم أشخاصاً عاديين وكانوا فعلاً كذلك: أطباء، وسيدات منازل، وأساتذة، وموظفي بريد، وطلاباً، جلسوا جميعاً وهم يحدقون إلى جودي وألكسا.

تم إحضار لوك كانتن بهدوء فيما بدأت العملية، وكان يرتدي بذلة رسمية، ولم يكن مقيداً بالأغلال. وبما أنه لم يكشف عن إشارات عنف خلال الأشهر التي أمضاها في السجن في انتظار المحاكمة، فقد تم السماح له بالظهور مثل شخص متمدن، وهو غير مقيد بالأغلال، بحيث لا يبدو أكثر تهديداً، بالرغم من معرفة الجميع سبب وجوده هنا. لاحظت ألكسا حين نظرت إليه بسرعة أنه يرتدي قميصاً أبيض جديداً. لم تنظر إلى

عينيه، لكنها لاحظت أن جودي ابتسمت له ابتسامة مطمئنة حين دخل، وربّتت على ذراعه حين جلس. بدا هادئاً ومتماسكاً ولم يبدُ أنه خائف وهو ينظر إلى هيئة المحلفين كما لو أنه يريد انتقاءهم بنفسه. من الناحية التقنية، كان يملك الحق في طرح الأسئلة عليهم أيضاً، ولكن شكّت ألكسا في أن يفعل ذلك.

كان الأول آسيوياً وأساء فهم أسئلة ألكسا أربع مرات، واثنين من أسئلة جودي، فتم شكره وصرفه. أمّا الثانية فكانت امرأة شابة بدت مذعورة. وكانت قد وصلت حديثاً من بورتوريكو، وقالت إنها تملك أربعة أولاد ووظيفتين ولا تستطيع البقاء، فغادرت هي أيضاً. عرفت ألكسا نوع الأشخاص الذين تريدهم، إنها تريد مواطنين صلبين، ويفضل أن تكون لديهم بنات في مثل سن ضحاياهم، وسوف تبذل محامية الدفاع كل ما بوسعها لإبقائهم بعيدين عن هيئة المحلفين. إنها لعبة يحاول فيها كل محامٍ جمع الأمور لصالحه. يملك كل من محامي الدفاع ومحامي الادعاء عشرين تحدياً حاسماً، ترتكز ببساطة على حقيقة عدم تطابق الأجوبة مع الأسئلة. نادراً ما يتم قبول أقرباء رجال الشرطة، أو أي شخص مرتبط عن كثب بالنظام القانوني أو النظام الجرمي القضائي، في هيئة المحلفين. ويتم صرف رجال الشرطة أنفسهم، وكذلك بعض أصحاب المهن، ولا سيما المحامين، أو أي شخص يمكن أن يكون لديه حكم مسبق، أو لديه قريب تعرض للقتل أو كان ضحية جريمة عنيفة. حاولوا إبعاد كل أشكال التحيز أو التعاطف المفرط من قبل كلا الجانبين. كانت العملية شاقة وبطيئة، واستغرقت أسبوعاً كاملاً، وهذا ما توقعته ألكسا. حتّى إنها ظنت أنها قد تستغرق وقتاً أطول.

وطوال ذلك الوقت، جلس كانتن بهدوء، وهو ينظر إلى عيون أفراد هيئة المحلفين، ويبتسم لهم أو يبعد عينيه عنهم. بدا أنه يناوب بين هالة من الخجل وأخرى من البراءة والرقة، أو اللامبالاة. وفي معظم الوقت، تجاهل محامية الدفاع، بالرغم من أنها انحنت فوقه غالباً لتشرح له الأمور أو

لتطرح عليه أسئلة مدوّنة. كان يومئ أو يهزّ رأسه. وأمام طاولة الادعاء، قامت ألكسا باستشارة سام وجاك باستمرار، بالرغم من أنها اتخذت في معظم الأوقات قراراتها الخاصة بشأن الأشخاص الواجب قبولهم أو رفضهم.

تم صرف اثنين من أفراد هيئة المحلفين حين قالوا إنهم يعرفون القاضي، وزعم العديد منهم إنهم يعانون من مشاكل صحية، وأراد آخرون المشاركة ولكنهم لم يكونوا الأشخاص الذين أرادتهم ألكسا، أو تخلت عنهم جودي لأنها شعرت - تماماً مثل ألكسا - أنهم يميلون أكثر إلى الإدانة. إنها لعبة تخمين بالنسبة إليهما معاً، وتستطيعان فقط استخدام المواد الموجودة بين أيديهما، أي أنهما لا تستطيعان اختيار أفضل المحلفين باستعمال قبعة سحرية. يجب عليهما تقييم كيفية تفاعل هؤلاء الأشخاص مع الأدلة، والجرائم، والمدعى عليه. إنها عملية تخمين ذكية، وفي الوقت نفسه مغامرة خطرة، حيث يحاول المرء تخمين الطبيعة البشرية وتوقع كيفية استجابة شخص ما مع ما سمعه، وما إذا كان هذا الأخير يفهم تماماً القواعد المفروضة عليه، والتي سيشرحها القاضي عند بدء المحاكمة. يجب عليهم الإدانة بطريقة لا مجال فيها للشك، أو التبرئة. ولا بد من أن يكون قرارهم النهائي موحداً. إذ يجدر بالاثني عشر شخصاً الموافقة، وعدم جعل هيئة المحلفين مهزلة ضعيفة. وآخر شيء تريده جودي وألكسا هو الحصول على هيئة محلفين ضعيفة أو ارتكاب هفوة، والاضطرار إلى اختيار هيئة محلفين جديدة مرة أخرى، بالرغم من أن كانتن يفضل ذلك ربما، لتأخير عملية إدانته وإرساله إلى السجن إلى الأبد.

القاضي هو الذي يصدر الحكم، وليس هيئة المحلفين، ويفعل ذلك بعد شهر من حكم المحلّفين. الشيء الوحيد الذي لا يقلقون بشأنه هو عقوبة الإعدام. فلقد توقف نظام المحاكم في ولاية نيويورك عن إصدار أحكام الإعدام عام 2004، وتجري محاولات عدة منذ ذلك الحين لإعادة اعتماده مجدداً. وفي الوقت الراهن، لا يوجد إعدام في ولاية نيويورك. وإذا تمت

إدانته، سيبقى لوك في السجن إلى الأبد، ولكن لن يتم الحكم عليه بالإعدام. لذا، لن تحمل هيئة المحلفين عبء معرفة أن قرارها قد يكلفه حياته، ما يجعل الأمور أسهل قليلاً بالنسبة إليهم. تم ربط كل القضايا الأخرى بقضيّة نيويورك، وتم محاكمته لأنه قام باغتصاب ثماني عشرة امرأة وقتلهن. وجرى اتهامه بثماني عشرة حالة اغتصاب، وثماني عشرة حالة قتل من الدرجة الأولى، مع سابق تصور وتصميم.

كان الوقت متأخراً من بعد ظهر يوم الجمعة حين جرى اختيار اثني عشر شخصاً لهيئة المحلفين، وأربعة أشخاص مناوبين، في حال لم يستطع أحد الأشخاص الأصليين الحضور وبرزت الحاجة إلى استبداله. هناك ثمانية رجال وأربع نساء بين الأشخاص البالغ عددهم اثني عشر شخصاً. لم تهتم ألكسا بذلك، وفكرت في أن الرجال قد يكونون أكثر اهتماماً بالنساء الشابات، وأكثر غضباً بسبب الجرائم، وأكثر تعاطفاً مع أهالي الضحايا، وأكثر غضباً على لوك كانتن. إنها تعتمد على ذلك. أربعة رجال منهم كانوا في عمر يكفي لجعلهم آباء لبنات في مثل سن الضحايا، فيما كان اثنان منهم أصغر قليلاً مما أرادت ومن الصعب توقع موقفهما، لكنها كانت قد استنفدت كل تحدياتها عندما جرى اختيارهما. كانوا جميعاً موظفين، وبدوا محترمين وأذكياء. أما النساء الأربع فكنّ جميعاً أكبر سناً. عارضت جودي وجود نساء شابات في هيئة المحلفين. إلا أن المناوبات الأربع كنّ جميعاً نساء شابات في العقد الثالث. جرى تمثيل كل الأعراق: الأبيض، والإسباني، والآسيوي، والأفريقي - الأميركي. عند النظر إليهم، اقتنعت ألكسا أنهم هيئة محلفين جيدة وقد عملت بكد لاختيارهم، وتلقت بعض الاعتراضات من جودي. أرادت جودي رجالا في هيئة المحلفين، لأنها ظنت أنهم قد يتعاطفون مع لوك. ولم توافقها ألكسا الرأي. ولكن، في النهاية، أحبتا كلتاهما هيئة المحلفين التي اختارتاها. هناك دوماً مفاجآت غير مرتقبة، لكن حسب ما يمكن قوله، وحسب المعرفة التي لديهما، رأت ألكسا أن هيئة المحلفين هذه جيدة. وسوف يعرفون صحة ذلك بعد المحاكمة.

بعد صرف هيئة المحلفين، أعيد تقييد كاتنن في يديه ورجليه، وأخرج من قاعة المحكمة برفقة أربعة حراس. بدا واثقاً من نفسه ومرتاحاً، وتوقف للنظر سريعاً إلى ألكسا في أثناء خروجه. كان وجهها خالياً من التعبير، فيما كان وجهه ساخراً قليلاً، ثم مضى قدماً.

لقد أنجزوا عملاً جيداً هذا الأسبوع، وكان سام وجاك مسرورين أيضاً. تحدثوا معاً لدقيقة قبل مغادرة قاعة المحكمة. لطالما تأثر سام بدقتها وصواب حكمها وقد قال ذلك لرؤسائه. سيكون الإثبات طبعاً في المحاكمة، لكنه كان مسروراً جداً من طريقة تعاطيها مع كل تفصيل. وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى جو ماكارثي، الذي جاء إلى قاعة المحكمة مرات عدة هذا الأسبوع لمراقبة عملية اختيار هيئة المحلفين. "حسناً، أصبحت لدينا الآن هيئة محلفين للسيد كاتنن من اثني عشر شخصاً". أعلن عن موافقته على خياراتها، ورأى أنها تفادت بذكاء بعض الأشخاص السيئين.

قالت ألكسا لجاك وسام وهي تضع أوراقها وأغراضها في حقيبتها: "أصبحت الحقيبة ثقيلة جداً الآن بحيث يتوجب عليّ جرّها على عجلات".

"هل أنت مستعدة لصورة قريبة سيدة هاملتون؟". مازحها سام وهم يغادرون قاعة المحكمة. لم يكن من المستغرب وجود جدار من الصحافيين الذين أرادوا معرفة رأيها في هيئة المحلفين. ولمع مليون ضوء تقريباً في وجهها.

"نحن راضون عن هيئة المحلفين". كان ذلك كل ما قالته فيما مرّت وسطهم من دون أي تعليق أو تعبير إضافي. حاول جاك السّير أولاً، فيما بقي سام قربها مع عدد من رجال الشرطة، لكن التركيز كان عليها واستوعبته جيداً. كانت هناك عربة مقفلة تنتظرهم في الخارج لتنقلهم بعيداً عن المحكمة. وكان هناك شرطي يرافق ألكسا طوال الوقت الآن. كان يتوجب عليها العودة إلى مكتبها قبل الاستعداد لعطلة نهاية الأسبوع. قال جاك إنه سيذهب معها، وأوصلا سام إلى مكتب التحقيقات الفدرالي. وهناك تمنّوا لبعضهم عطلة نهاية أسبوع سعيدة. وقال سام إنه سيكون متوافراً

على جهازه الخلوي طوال عطلة نهاية الأسبوع. جميعهم سيكونون هكذا. فكرت ألكسا لوهلة في السفر إلى تشارلستون لرؤية سافاناه، ولكنها عرفت أنها لا تستطيع القيام بذلك. فهناك الكثير من المواد التي يجدر بها مراجعتها وعليها صقل مرافعتها قليلاً أكثر.

كانت خارجة من مكتبها حين رنّ هاتفها الخلوي. إنها سافاناه.

قالت بفخر: "رأيتك للتو على شاشة التلفاز وأنت تغادرين قاعة المحكمة. كنت رائعة". ضحكت ألكسا.

"هذا تحيز واضح. كل ما قلته هو *إننا راضون عن هيئة المحلفين* من دون أي تعليق إضافي. لا أفهم كيف وجدتني رائعة. ولكن شكراً لك على كلّ حال". تأثرت لكون سافاناه تتابعها عن كثب.

"هذا هو أيضاً رأي دايزي وبابا". إنه إجماع في الرأي. كانت لويزا في الخارج تلعب البريدج. "بدوت هادئة ومتماسكة، ولم تسمحي لهم بالنيل منك. قلت فقط ما أردته وتابعت طريقك ولم تسمحي لهم بجعلك متوترة. على الأقل لم يظهر ذلك عليك. وبدا شعرك جيداً". وكانت ألكسا قد ربطته في جديلة خلفية بواسطة شريط من "السّاتان"، بدلاً من جعله على شكل كعكة. بدا مشدوداً أقل.

"شكراً لك حبيبتي. حسناً، سنرى ماذا سيحصل في الأسبوع المقبل. أظن أنها هيئة محلفين جيدة جداً. أتمنى أن أكون محقة. كنت أفكر في الذهاب لزيارتك في عطلة نهاية الأسبوع هذه، لكنني لا أستطيع". قالت وهي تبدو خائبة الأمل، لكن سافاناه لم تتفاجأ.

"لم أتوقع ذلك منك ماما. لا بد من أن الأمور صعبة بالنسبة إليك في الوقت الحاضر".

اعترفت: "كثيراً. ما الذي تنوين فعله في عطلة نهاية الأسبوع؟".

"سأذهب لحضور إحدى مباريات تورنر غداً، وسوف يأتي الليلة للسهر معي". ثمة غرفة لعب قديمة في الطابق الأرضي كان يستخدمها أخواها في صغرهما. هناك طاولة بنغ بونغ فيها، وطاولة بليار، واقترح

علــيها والــدها أن يجلسا هناك. إذ لم تكن لويزا تذهب مطلقاً إلى الطابق الأرضي، وبدا هذا أفضل من استقبال تورنر في غرفتها.

"أبلغيه تحياتي". قالت ألكسا ثم عادت إلى العمل. بعد قليل، اتصل بها سام لورانس.

"هل أزعجك؟". سألها باحترام. إنها ليلة الجمعة.

"علــى الإطــلاق. ما زلت في العمل". قالت بنبرة لطيفة. إنه رجل لطــيف، وكان العمل معه جيداً لغاية الآن. كانا يحترمان بعضهما، وأصبح هو وجاك صديقين خلال الأشهر الماضية.

"يــبدو وكأنــنا نعمــل عدد الساعات نفسه. سوف أنتقل إلى مكتبي سريعاً". لكنهم سيعملون جميعاً ليلاً ونهاراً خلال المحاكمة. جودي دوانينغ تفعــل ذلــك أيــضاً، لا بل أكثر، لأنها تملك دعماً أقل، ولا تحصل على مساعدة مكتب التحقيقات الفدرالي. "أردت فقط أن أقول لك إنني سعيد فعلاً بهيــئة المحلفــين، ورأيت أنك توليت المسألة ببراعة كبيرة. أنت محترفة حقيقــية". وكان قوله ذلك ثناء مهمًا من قبله. نادراً ما يوافق عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي على أي شخص من خارج مكتبهم.

"أتمنى ذلك، مع قضية كهذه". ابتسمت.

"أبلغينــي إذا كان بوسعي فعل أي شيء لمساعدتك خلال عطلة نهاية الأسبوع".

"شــكراً. ســأكون بخير". ومع وجود سافاناه بعيداً، لم تكن لديها أي واجبات أخرى غير عملها.

أمضت عطلة نهاية الأسبوع وهي تعمل في المنزل، وتراجع صناديقاً مــن الأدلة والتقارير الجنائية، وتعمل على مرافعتها، وتنظم الدعوى بأدق تفاصيلها. وبحلول صباح يوم الاثنين، كانت مستعدة تماماً.

صــباح الاثنــين، اجــتمعوا فــي مكتب سام وذهبوا معاً إلى قاعة المحكمــة. كان الصحافيون في انتظارهم، وتوجب عليهم التدافع والصراخ للمرور عبرهم، وشقت ألكسا طريقها عبر الحشود وبدت هادئة، مع وجود

خمــسة شــرطيين، وجاك وسام قربها لمساعدتها. كانت مرتبة تماماً حين وصلت إلى قاعة المحكمة وجلست أمام طاولة الادعاء وبدت رزينة. بدت سيدة أعمال، كفوءة ومسيطرة تماماً على نفسها.

كانت جودي دوانينغ جالسة أمام طاولة الدفاع. وجاء لوك كانتن مع أربعــة حرّاس، وجلس قربها. بعد خمس دقائق، دخل القاضي وجلس على كرســيه. انعقدت جلسة المحكمة. ومن دون أي توقف، أخبر القاضي هيئة المحلفــين مــا هــو مطلوب منهم. تحدث بكلمات بسيطة وواضحة بشأن العملية، وشكرهم على تخصيص وقتهم للتواجد في المحكمة. قال إنهم أمام مهمــة كبيــرة، وهي ربما الأكثر أهمية في قاعة المحكمة، وأهم حتى من مهمــته كقاضــي، أو مــن مهمة المحامين. أومأوا برؤوسهم ونظروا إليه بجدية وهم يصغون إليه.

ثــم وقفــت ألكــسا لتلاوة مرافعتها. إنها تستعد لها منذ شهر. كانت تــرتدي بذلــة سوداء رسمية وتنتعل حذاء عالي الكعب. عرّفت عن نفسها أمــام القاضي وشرحت له دورها، أي كونها محامية ادعاء. وشرحت أن الــرجل الجالس قربها إلى الطاولة هو جاك جونز، رئيس قسم التحقيق في القضية، وتحدثت عنه لدقيقة. ثم ذكرت سام لورانس وشرحت أنه المندوب الرئيسي لمكتب التحقيقات الفدرالي في القضية. هذا هو فريقهم.

"ولمــاذا مكــتب التحقيقات الفدرالي هنا؟". سألت بهدوء وهي تمشي أمــامهم وتنظر إلى عيونهم. "لأنه تم ارتكاب هذه الجرائم في ولايات عدة. تــسع ولايات. تم قتل ثماني عشرة امرأة شابة في تسع ولايات". لم تشدد كثيــراً علــى ذلــك، لكنها قالت ذلك بطريقة مثالية كما لو أنها تريد حفر العددين في عقولهم. "وعند عبور حدود الولايات، حين ينتقل المدعى عليه مــن ولاية إلى أخرى لارتكاب الجرائم، يتدخل مكتب التحقيقات الفدرالي لتنسيق المعلومات، بحيث لا يحصل أي خطأ أو ارتباك بين وكالات تطبيق القانــون المحلــية. تم جمع كل هذه المعلومات بحيث يصبح ما نقدمه لكم، ســيداتي وسادتي، صحيحاً. إنّ وجود مكتب التحقيقات الفدرالي هنا يعني

أنها قضية مهمة. وهي بالفعل قضية مهمة. ليس لأن مكتب التحقيقات الفدرالي موجود هنا فقط، وإنما لأن ثماني عشرة امرأة شابة قد قتلن. تم الاعتداء عليهن بعنف وقتلهن. اغتصبن بفظاعة، وخنقن في أثناء ممارسة الجنس، وقتلن. ثماني عشرة امرأة. أصغر واحدة بينهن عمرها ثمانية عشر عاماً، وأكبر واحدة عمرها خمسة وعشرون عاماً، وهي طالبة طب. أما ابنة الثمانية عشر عاماً فكانت تدرس الدين". أرادت التشديد على مكانتهن المحترمة أمام هيئة المحلفين، ونجحت تماماً في ذلك. كانت كل العيون في قاعة المحكمة شاخصة إليها، فيما تحدثت بهدوء، وبرزانة وقوة كبيرتين. أثبتت عن موهبة في ما قامت به، فيما راقبها جاك وسام وكل من في قاعة المحكمة.

"القاتل لم يصادفهنّ، ولم يلتقهن ويغتصبهن ويقتلهن مصادفة، الأمر الذي كان مريعاً أيضاً. لقد خطط لذلك. فلقد سعى وراءهن. نعتقد أنه بحث عنهن وراقبهن، واختارهن، وفعل تماماً ما خطط له، بنية خبيثة. صمم على اغتصابهن وقتلهن، لأن هذا ما أراده. قتلهن لأن ذلك يشعره بمتعة قصوى. المدعى عليه في هذه القضية يحب أفلام الرعب الإباحية، حيث يتم قتل النساء في أثناء ممارسة الجنس. أراد عيش هذا الوهم، وسعى لفعل ذلك، وقتل ثماني عشرة امرأة شابة. إنها جريمة من الدرجة الأولى حين تخطط لقتل شخص ما، وتنوي قتله، وتقتله. ليست مصادفة، وإنما هي مشروع مخطط بنية سابقة خبيثة. تعرفون ما الذي أعنيه. تم اغتصاب أولئك النساء الشابات بعنف وقتلهن. إنها خطة. وتم تنفيذ الخطة. وأصبحن الآن في عداد الموتى.

أعرف أن بعضكم يملكون أولاداً. طرحت هذا السؤال عليكم حين اخترناكم ضمن هيئة المحلفين. لكن حتى لو لم يكن عندكم أولاد، أعرف أنكم مصدومون على الأرجح بسبب هذه الجرائم. جميعنا كذلك.

لديّ ابنة. عمرها سبعة عشر عاماً. أظن أنها جميلة، وهي تعني لي كل شيء، كل شيء. إنها في الصف الثالث ثانوي، وسوف تذهب إلى

الجامعة في الخريف". لم تقل برنستون كي لا تبدو نخبوية. "وهي تلعب الكرة الطائرة ومن ضمن فريق السباحة، وأعتبرها ألطف فتاة في العالم. أنا أم عازبة، وهي فتاة وحيدة، وبالتالي إنها كل ما أملك". توقفت ونظرت إلى كل واحد منهم عن كثب. أصبحت إنسانية معهم. إنها أم عازبة مع فتاة، ويستطيعون الوثوق بها. تريدهم أن يعرفوا ذلك. أومأ بعضهم برأسه دليل تفهم فيما تحدثت. لقد نالت ثقتهم الآن.

"ست فتيات من بين الضحايا البالغ عددهن ثماني عشرة فتاة كنّ وحيدات لأهلهنّ. سبع منهنّ كان لديهن أمهات عازبات. تسع منهن كن طالبات ويعملن في الوقت نفسه ليتعلّمن وليساعدن عائلاتهن. اثنتان منهن كانتا بكرين توفيت والدتاهما وتهتمان بإخوتهما. أربع منهن كنّ طالبات متفوقات. ثماني فتيات منهن تلقين منحاً دراسية بسبب تفوقهن. إحدى عشرة فتاة منهن كن ملتزمات دينياً وناشطات في دور العبادة التي يقصدنها. خمس منهن كنّ مخطوبات. كنّ يلعبن الرياضة، ولديهن إخوة، وآباء، وأمهات، وكلاب، وأساتذة عرفوهنّ وأحبوهنّ، وأصدقاء وأحباب. جميعهنّ كنّ فتيات محترمات ومحبوبات في مجتمعاتهن، ويتم الاشتياق إليهنّ. جميعهنّ قتلن على يد المدعى عليه الجالس أمامكم؛ جميعهنّ؛ ثماني عشرة فتاة. نصدق أن هذه هي الحقيقة. الولاية تصدق ذلك، وثماني ولايات أخرى تصدق ذلك، ومكتب التحقيقات الفدرالي يصدق ذلك، وأظن أنكم حين تطلعون على الأدلة في هذه القضية، سوف تصدقون ذلك أنتم أيضاً.

تبرز الحاجة إلى نوع خاص من الأشخاص لارتكاب مثل هذه الجرائم، ليكون من دون ضمير، ومن دون إحساس بحيث يقتل ثماني عشرة امرأة شابة، أثناء اغتصابه إيّاهن، لأن هذا ما يثيره وما خطط له. إنها طريقة مريعة للموت، وسبب مريع.

تثق الولاية بذلك من دون أي شك، وسوف تثبته لكم. إنّ لوك كانتن، الرجل الجالس أمام طاولة المدعى عليه في قاعة المحكمة، اغتصب ثماني عشرة امرأة شابة وقتلهن، بنية خبيثة.

لا يمكننا السماح لأشخاص يتصرفون بهذه الطريقة أن يكونوا بيننا، أن يؤذوا أولادنا، أن يقتلوا الأشخاص الذين نحبهم. الأشخاص الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم يجب أن يوضعوا في السجن، ويعاقبوا على جرائمهم. وإلا، فلن يكون أحد من أولادنا أو أحبابنا بأمان، ولا نحن أيضاً.

نحن واثقون بأن لوك كانتن قتل الثماني عشرة امرأة. يمكننا إثبات ذلك، وسوف نثبته لكم خلال هذه المحاكمة، من دون أدنى شك. وإذا وافقتم على الأدلة، فسوف نطلب إليكم إدانته بقتل ثماني عشرة امرأة واغتصابهن. هذا كل ما يمكننا فعله الآن للفتيات اللواتي قتلن". نظرت إليهم فترة طويلة، ثم قالت لهم بهدوء: "شكراً لكم". وعادت لتجلس إلى طاولة الادعاء. بدا أفراد هيئة المحلفين مرتعدين، وتململ بعضهم في مقاعدهم. أومأ سام لورانس برأسه دليل موافقة حين جلست. كانت مرافعة افتتاحية قوية وأثبتت له مجدداً أنها الشخص المناسب للمهمة.

وحين جلست، كان لوك يهمس شيئاً لمحاميته، فأومأت هذه الأخيرة برأسها. لم تكن محامية الدفاع مجبرة على القيام بأي مرافعة افتتاحية، لكن جودي دوانينغ قررت القيام بذلك على كلّ حال. عرفت أن ما ستقوله ألكسا سيكون قوياً جداً لتتركه عالقاً في الهواء، من دون محاولة لتلطيفه على الأقل قبل بدء المحاكمة. أخبرت محامية الدفاع القاضي قبلاً إنها ستقول مرافعة افتتاحية أيضاً.

نهضت وتوجهت إلى حيث يجلس أفراد هيئة المحلفين، وبدت حزينة وجدية فيما كانت تحدّق إليهم. أخبرتهم من تكون وأنها ستدافع عن لوك كانتن.

"أريدكم أن تعلموا أيها السيدات والسادة أنني حزينة بشأن الفتيات الثماني عشر أيضاً. جميعنا نشعر بالحزن، وكذلك لوك كانتن. ومن لن يحزن لسبب كهذا؟ فلقد انتهت حياة ثماني عشرة فتاة شابة إلى الأبد. يا له من شيء مريع.

وسوف تسمعون الكثير من الأدلة في هذه القضية؛ بعضها تقني جداً. ستعرفون ما حصل، وكيف حصل، ومتى حصل، ومن فعله ربما. إذ إنّ الولاية تثق بأن لوك كانتن مرتكب الجرائم. ولقد أخبرتكم السيدة هاملتون بذلك للتو. لكننا لا نصدق ذلك. أبداً. لم يقتل لوك كانتن أولئك النساء، وسوف نفعل كل ما بوسعنا لنثبت لكم ذلك.

تجتمع أحياناً الظروف المريعة مع بعضها، مثل التواجد في المكان الخطأ في الوقت الخطأ، بحيث يجعلك الأشخاص تبدو وكأنك ارتكبت شيئاً لم ترتكبه، أو تبدو وكأنك فعلت شيئاً مريعاً، ولكنك لم تفعله. وسوف يتآمر الحظّ السّيئ والظروف ضدك، وسيتم لومك على شيء لم تفعله".

نظرت عمداً إلى كل واحد منهم، وحولّت نظرها من وجه إلى آخر. "لم يرتكب لوك كانتن هذه الجرائم. لم يغتصب أولئك النساء أو يقتلهن. وسوف نثبت لكم ذلك، من دون أدنى شك. إذا صدقتمونا، أو ساوركم أي شك بأن لوك كانتن هو مرتكب هذه الجرائم، فنحن نطلب منكم حينها العفو. لا تعاقبوا رجلاً بريئاً، مهما كانت هذه الجرائم مريعة". بعدها، عادت إلى مقعدها. وطلب القاضي الحصول على فترة استراحة لمدّة عشرين دقيقة مباشرة بعد ذلك.

هنأ جاك وسام ألكسا على مرافعتها وتأثيرها في هيئة المحلفين.

"لم تكن مرافعة جودي سيئة أيضاً". قالت بعدل. ليس لديها الكثير لتعمل عليه، وتضاءلت المواد بين يديها مع مرور الأيام، لكنها طرحت على الأقل سؤالاً في عقولهم. عرفت ألكسا أن هذا أفضل ما تستطيع فعله.

ذهبوا لإحضار القهوة من الآلة، وشربوها بسرعة، وعادوا إلى طاولة الادعاء حين طرق القاضي ليبرمان بمطرقته، وأعلن استئناف المحاكمة مجدداً. طلب من ألكسا إحضار أول شهودها.

استدعت جايسون يو من مختبر الأدلة الجنائية لأنه حسن المظهر ويجعل فهم تحاليل الدي أن أيه أسهل بالنسبة إلى هيئة المحلفين. بعد ذلك، سوف تستدعي خبراء قد يصعب استيعاب معلوماتهم. حين استجوبته

ألكسا، شرح أن تحاليل الدي أن أيه كانت أول رابط بين كانتن والجثث في نيويورك. أبقته واقفاً على منصة الشهود لمدة ساعة، ثم طلب القاضي استراحة للغداء. لقد أبلى جايسون يو حسناً، وشكرته. سوف تطرح عليه جودي الأسئلة بعد الغداء.

ذهب سام وجاك وألكسا لتناول الغداء، لكن ألكسا كانت متوترة جداً بحيث لم تتمكن من الأكل جيداً. وأمضت معظم ساعة الغداء وهي تدوّن الملاحظات وتكتب أسئلة إضافية. تحدث الرجلان عن الرياضة فيما كانت تعمل، ثم عادوا جميعاً إلى المحكمة.

كانت أسئلة محامية الدفاع إلى جايسون يو ضعيفة. حاولت إرباكه، من دون أن تنجح في ذلك. وحاولت جعل معلوماته واختباراته تبدو غير موثوقة وغير حاسمة، ولكنه كان في كل مرة يشرح المسألة بدقة أكبر ووضوح أكبر. وحين بدأت تبدو حمقاء أذنت له بالانصراف، وقالت إنه لم يعد لديها أسئلة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى ألكسا.

استدعت ألكسا واحداً من الشهود الخبراء بعد ذلك، وكانت شهادته طويلة، ومرهقة، ومربكة ربما. لكنها لا تستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. فالأدلة التي قدمها كانت مهمة للقضية. عرفت أنه سيكون العديد من هؤلاء الشهود من ولايات عدة. وخشيت أن تشعر هيئة المحلفين بالضجر، لكن كل واحد من هؤلاء الشهود يسهم في شيء مهم.

في الإجمال، كان اليوم الأول جيداً، وكذلك الأسبوع الأول. وبالرغم من فظاعة الجرائم، إلاّ أنه كان هناك القليل من الشهادات العاطفية في القضية. كان كل شيء تقنياً جداً. إذ لم يكن هناك شهود عيان، ولم يقدم الأهل أي شهادات.

ولعل أبرز عنصر عاطفي في قاعة المحكمة كان العدد الهائل من المقاعد المخصص لأقرباء الضحايا. جلس مئة وتسعة أشخاص على تلك المقاعد، وهم يراقبون ما يجري في المحكمة وبعضهم يبكي. عرف أفراد هيئة المحلفين من يكون هؤلاء ونظروا إليهم غالباً. أشارت إليهم ألكسا مرة

واحدة لكي يعرفوهم، لكن جودي عارضت ذلك. إلا أن هيئة المحلفين باتت تعرفهم الآن، وقد فات الأوان. جلس تشارلي بينهم مع عائلته التي جاءت خصيصاً لرؤية العدالة تأخذ مجراها.

انطوت القضية بمعظمها على عرض لمعطيات جنائية تقنية ربطت لوك كانتن بكل ضحية وبموتها. يفترض بهيئة الدفاع رفض هذه الأدلة، لكن محامية الدفاع العام لا تملك المهارات أو الأدلة لفعل ذلك. إنها قضية يصعب دحضها. التقت ألكسا وسام جودي بعد ظهر يوم الجمعة بعد إعلان وقف المحاكمة خلال عطلة نهاية الأسبوع.

قالت ألكسا بهدوء: "أردت فقط أن أقترح عليك مجدداً أن تقنعي موكلك بالاعتراف بذنبه. نحن نبدد وقتنا هنا".

"لا أظن ذلك". قالت جودي دوانينغ بعناد. "يرتكب الناس أخطاء في تحاليل الدي أن أيه. كل ما يفعلونه أحياناً هو استثناء مجموعة من الأشخاص من دون الإشارة بدقة إلى مجموعة أخرى. أظن أن رجال الشرطة في كل ولاية ألقوا بكل الجرائم الغامضة لديهم على عاتق لوك. وفي حال ارتكابهم خطأ واحداً، واحداً فقط، إذا كانت قضية واحدة من هذه القضايا خاطئة، أو غير معالجة بصورة صحيحة، فسيطرح ذلك الشك في إمكانية الإطاحة بكل القضايا الأخرى". إنه دفاع طويل، لكنه الوحيد الذي تملكه. وتأكدت فرق التحقيق في الولايات التسع ومكتب التحقيقات الفدرالي من عدم وجود أي أخطاء. رأت ألكسا أنها حمقاء، وترتكب انتحاراً قانونياً لموكلها في المحكمة. "ليس لديه شيء ليخسره ولديه الحق في محاكمة". قالت جودي بحزن، كما لو أنها تشاهد رجلاً بريئاً يُصلب أمامها، وليس قاتلاً بلا رحمة تم اقتياده إلى العدالة. فهي لا تزال تصدق أن موكلها بريء، وهذا واضح تماماً. إنّها لا تؤدي مهمة فقط، وإنما تقود حملة في قضية خاسرة. بدت جودي ساذجة جداً بالنسبة إلى ألكسا.

قالت لها ألكسا: "لديه الكثير ليخسره. سيكون القاضي أكثر قسوة عليه إذا بدد وقت الجميع. لن يتعاطف أحد معه أو يسامحه. من الأفضل له

أن يعترف الآن، قبل أن نمضي أسابيع في المحاكمة. سوف يستاء القاضي كثيراً". حذرتها ألكسا ووافقها جاك الرأي تماماً، وشعر أن المحامي الجيد يفترض به أن يجبر لوك على الاعتراف بالذنب. إلا أن جودي ضعيفة جداً لفعل ذلك، ومتحمسة جداً للوك. قالت ألكسا بهدوء: "لو كنت محاميته لجعلته يعترف بالذنب". قد يصدر القاضي بحقه أحكاماً تخفيفية والتي قد تمتد إلى ما بعد حياة لوك. الحكم المخفف هو أفضل ما يستطيع أن يأمل بالحصول عليه.

"إنه محظوظ إذاً لأنك لست محاميته". قالت جودي بصرامة، ووقفت وبدت سريعة الغضب. "أنا محاميته ولن يعترف بالذنب". أومأت ألكسا برأسها، وشكرتها، وغادرت الغرفة هي وجاك من دون تعليق.

وقالت وهي تغادر: "أراك يوم الاثنين".

ساعدها أربعة رجال شرطة على نزول درج المحكمة والوصول إلى سيارة شرطة كانت في انتظارها، ووقف اثنان من رجال الشرطة خارج شقتها طوال عطلة نهاية الأسبوع. وعادوا إلى المحكمة يوم الاثنين.

استمرت الشهادات التقنية ثلاثة أسابيع، ورأت ألكسا أن هذه الشهادات حاسمة تماماً من دون أدنى شك. مرة جديدة كانت الأمور أقل عاطفية مما أرادته. وكانت صور الضحايا مريعة جداً لأنه تم العثور على معظمهن في وقت متأخر، وكانت الجثث قد تحللت بشكل سيئ. حذرها أفراد هيئة المحلفين من رغبتهم في رؤيتها. وشعروا بالقرف حين رأوا الصور، لكن هذه الصور كانت دليلاً في المحاكمة، ومهمة لقضية الولاية.

بعد ثلاثة أسابيع من الشهادات، استراح الادعاء وحوّل القضية إلى الدفاع. حضّرت ألكسا الكثير من شهادات الخبراء وتحاليل الدي أن أيه التي لا يمكن رفضها. كل ما استطاعت جودي فعله هو محاولة إرباك هيئة المحلفين، ولكن من دون جدوى. والعنصر الأكثر إزعاجاً في القضية هو أن لوك لن يساند دفاعه بسبب إداناته السابقة وسجله الجرمي. يستطيع المحاولة، لكن ذلك سيكون حماقة مفرطة. حتى جودي لم تجازف بذلك،

ولذلك لم يقل أي شيء للدفاع عن نفسه. وعوضاً عن ذلك جلس في قاعة المحكمة طوال ثلاثة أسابيع، وبدا متعجرفاً ومن دون أن يبدو عليه أنه يشعر بالندم، فيما بكت عائلات الضحايا.

استغرقت قضية الدفاع أقل من أسبوع، ثم أراحت محامية الدفاع العام قضيتها. استدعت ألكسا فقط اثنين من شهود الدفاع لدحض شهادتهما وأربكتهما. كانا غير كفوءين، وبدا ذلك جلياً. ثم أدلت جودي بمرافعة ختامية عاطفية، وتوسلت إلى هيئة المحلفين لكي لا تدين رجلاً بريئاً، وأملت في أن تقنعهم ببراءته. فنظر إليها أفراد هيئة المحلفين من دون أي تعبير على وجوههم.

أما المرافعة الختامية لألكسا فارتكزت على تلخيص الأدلة لهم، وذكّرتهم في كل مرة ومناسبة أنه تم ربط لوك كانتن بكل واحدة من النساء، بصفته القاتل. ذكرت لائحة الإثباتات، البسيطة والمعقدة، التي يفترض أن تقنعهم بأن المدعى عليه مذنب ومسؤول عن كل تلك الجرائم. ثم قالت كلمة عاطفية وجيزة ذكّرتهم فيها بمسؤولياتهم كمحلفين التي تلزمهم بإخضاع مجرمين مثل لوك كانتن للعدالة وإدانته، ليس كرجل بريء، وإنما كرجل ثبت أنه اغتصب ثماني عشرة امرأة وقتلهن. وشكرتهم على انتباههم خلال فترة المحاكمة الطويلة.

طلب حينها القاضي من هيئة المحلفين التشاور في ما بينهم. وطلب رئيس المحلفين قبل ذلك الجداول والأدلة التي تم تقديمها في أثناء المحاكمة. خلال المحاكمة، حذر القاضي هيئة المحلفين من ضرورة عدم تسريب أي شيء إلى الصحافة بشأن الدعوى القضائية، ولكنه لم يعزلهم.

إلا أنه سيتم اصطحابهم إلى فندق تلك الليلة، في حال عدم صدور الحكم، مهما استمر عدد الليالي. تركت هيئة المحلفين قاعة المحكمة، وأطلقت ألكسا تنهيدة طويلة. فلقد انتهت مهمتها. نظر إليها سام وجاك بإعجاب.

"أنجزت عملاً رائعاً". قال سام وهو مفتون بقوتها ودقتها. كانت مراقبة ألكسا في المحكمة أشبه بمراقبة عرض باليه. فلديها طريقة مذهلة في جعل المعلومات المعقدة تبدو بسيطة ومنطقية بالنسبة إلى هيئة المحلفين، فيما استجوبت الشهود وطلبت منهم أن يشرحوا بعبارات بسيطة ما قالوه. إنها طريقة ذكية جداً لعدم إرباك هيئة المحلفين بتفاصيل تقنية معقدة.

وحين وقفت، تم أخذ لوك كانتن مقيداً بالأغلال من قبل الحراس الأربعة الذين أحضروه إلى المحاكمة. نظر إليها بكره واضح هذه المرة. فلقد عرف هو أيضاً أن الأمور لا تجري على ما يرام. لم يقل شيئاً لألكسا ومضى إلى الأمام، لكنه لو استطاع قتلها بنظراته، لماتت على الفور. شعرت أكثر من أي وقت مضى بالامتنان لأنها أرسلت سافاناه بعيداً. فهي لن تشعر بالأمان إلا عندما يصبح خلف القضبان في سجن ذي حراسة مشددة.

توجب على سام وجاك وألكسا البقاء قرب قاعة المحكمة، ولكن لم يكن من الضروري وجودهم فيها في أثناء انتظار قرار هيئة المحلفين. كانوا جميعاً متوافرين على هواتفهم الخلوية، وقرروا العودة إلى مكتب ألكسا. يصعب التصديق أن القضية انتهت. أملت ألكسا أن تدين هيئة المحلفين لوك، إذ يصعب التصديق أنهم لن يفعلوا ذلك. إلا أنه يصعب توقع قرارات هيئة المحلفين. فإذا ساورهم *شك منطقي*، حتى لو ارتبكوا في استيعاب المعلومات، فسيتم إخلاء سبيله. لقد رأوا ذلك يحصل قبلاً.

تمدد سام على الأريكة في مكتب ألكسا، فيما استرخى جاك على كرسي، وجلست ألكسا ووضعت قدميها على المكتب. كانت متحمسة، وإنما مرهقة، وتعتمد على الأدرينالين والسّجائر منذ خمسة أسابيع تقريباً، منذ انتقاء هيئة المحلفين. إنه الأول من حزيران/يونيو، وسوف تتخرج سافاناه من تشارلستون بعد عشرة أيام. وستكون الحياة قد عادت إلى طبيعتها حينها. وعدها النائب العام بإجازة لمدة أسبوع ما إن يصدر الحكم. أقحم

رأسه في مكتبها فيما جلست هناك وقال إنه اطلع على مرافعتها الختامية ويعتبرها ممتازة. زار قاعة المحكمة مرات عدة في أثناء المحاكمة، مثلما فعل عناصر عدة من مكتب التحقيقات الفدرالي.

لم يرد أي اتصال من المحكمة بعد ظهر ذلك اليوم، ودار القليل من الحديث في مكتبها. كانوا جميعاً متعبين وقلقين جداً بحيث لا يستطيعون التحدث.

وأخيراً، اتصل كاتب القاضي وطلب إليهم الذهاب إلى المنزل. إذ سوف يذهب أفراد هيئة المحلفين إلى فندق لتمضية الليلة هناك، على أن يعودوا للاجتماع في الصباح. نقلت ألكسا الخبر إلى جاك وسام، وتأوهوا جميعاً. أملوا في صدور القرار سريعاً، رغم أن الوقت لا يزال مبكّراً على ذلك. دعياها لتناول العشاء، لكنها قالت إنها متعبة جداً. وذهبت إلى المنزل، وجلست على الأريكة وحدقت إلى شاشة التلفاز من دون تركيز. كانت خمسة أسابيع قاسية من دون رحمة. نامت ألكسا على الأريكة، في ثيابها، من دون أن تتناول العشاء، فيما بقي التلفاز قيد العمل، ولم تستيقظ إلا عند الساعة السابعة صباحاً من اليوم التالي. نظرت إلى ساعتها حين استيقظت فجأة. عليها الاستحمام وارتداء ثيابها بسرعة، إذ ستجتمع هيئة المحلفين خلال ساعتين.

الفصل السابع عشر

انتظر سام، وجاك، وألكسا، والقاضي، ومحامية الدفاع العام، وعائلات الضحايا يوماً إضافياً آخر، فيما اجتمعت هيئة المحلفين، من دون الوصول إلى أي نتائج. كانوا جميعاً على وشك المغادرة ليتم إرسال هيئة المحلفين إلى فندق لليلة أخرى، حين ضغط كبير هيئة المحلفين على الجرس في مكتب القاضي معلناً أنهم توصلوا إلى حكم.

اجتمعت هيئة المحكمة على الفور، وتم إحضار المدعى عليه.

وقف الرجل العجوز، الذي كان رئيس المحلفين، ونظر إلى القاضي.

قال له القاضي بطريقة رسمية: "هل توصلتم إلى حكم حضرة رئيس المحلفين؟". وأومأ الرجل برأسه.

"نعم، سيدي. لقد توصلت هيئة المحلفين إلى حكم بالإجماع". أطلقت ألكسا تنهيدة ارتياح صغيرة. ليس هناك اعتراض في هيئة المحلفين، أو إعادة محاكمة. أياً يكن، لقد انتهى الأمر. لقد أنجزوا جميعاً مهامهم، وكذلك هيئة المحلفين.

طلب القاضي من المدعى عليه الوقوف أمام طاولة الدفاع، ثم استدار نحو رئيس هيئة المحلفين مجدداً.

"وكيف تجد المدعى عليه في ثماني عشرة تهمة اغتصاب حضرة رئيس المحلفين؟".

"أجده مذنباً سيدي". قال ذلك بوضوح، فيما نظرت ألكسا بسرعة إلى سام. لم يربحوا بعد، لكنهم باتوا في منتصف الطريق إلى الربح. انقطعت الأنفاس في المحكمة.

"وكيف تجد المدعى عليه في ثماني عشرة تهمة قتل من الدرجة الأولى؟".

"أجده مذنباً سيدي". قال رئيس هيئة المحلفين ذلك وهو ينظر إلى القاضي، ولكن ليس إلى لوك. إنه مذنب في كل شيء.

علت أصوات صراخ وصيحات وبكاء في قاعة المحكمة من المكان الذي جلس فيه أفراد عائلات الضحايا، مع مقدار معتدل من الصخب والجلبة، فيما ضرب القاضي بمطرقته، وطلب إلى الجميع الالتزام بالنظام. رأت ألكسا تشارلي وأمه يتعانقان ويبكيان فيما شكر القاضي هيئة المحلفين على عملهم الجاد ومسؤولياتهم المدنية، وعلى الأسابيع العديدة التي منحوها للمحاكمة من وقتهم، ثم جرى إخراجهم فوراً من قاعة المحكمة، تماماً مثل لوك الذي اقتيد هذه المرة وقد وضعت الأغلال حول يديه وقدميه. لم تستطع ألكسا كبح نفسها، وراقبته وهو يمشي. استدار نحوها فيما أخذوه بعيداً وبنبرة سامة قال لها: "اللعنة عليك". وبدا تماماً بصورته الحقيقية كقاتل محترف، ثم ذهب. حاولت جودي مواساته قبل أن يغادر، ولكنه دفعها بعيداً، فجلست على مقعدها مذهولة. توجهت ألكسا نحوها وصافحتها.

"لم يكن بوسعك ربح هذه القضية، جودي. لم تكن لديك أي فرصة. كانت القضية محكمة تماماً. كان يجدر به الاعتراف بالذنب". فنظرت جودي إلى ألكسا بعينين حزينتين.

"لا أصدق أنه فعلها. هذا هو الشيء المريع". قالت ذلك فيما نظرت إليها ألكسا نظرة عدم تصديق. الشيء المريع هو أنها تصدق رجلاً قاتلاً ومريضاً اجتماعياً. قالت لها ألكسا بأكبر قدر ممكن من اللطف: "أظن أنه فعلها". أملت ألا تراه جودي أبداً مجدداً بعد الحكم. وأسفت لأنها مضطرة إلى رؤيته مجدداً.

طرق القاضي بمطرقته مجدداً وقال إن الحكم النهائي في هذه القضية سيصدر في العاشر من شهر تموز/يوليو، ويتوقع حضور محامية الادعاء

ومحامية الدفاع، والمدعى عليه. ثم شكر الجميع، وأعلن انتهاء المحاكمة، واختفى في مكتبه. كانت الساعة السابعة والنصف مساء، وأراد الذهاب إلى المنـــزل، وكذلك ألكسا. كل ما تريده هو رؤية سافاناه الآن. فهي لم ترها منذ شهر.

احـــتاجت إلـــى عـــشرة رجال من الشرطة لإخراجها عبر حشد من المـــصورين الفوتوغـــرافيين الذين انتظروا على درج المحكمة هذه المرة. كانوا يتدافعون، وأرادوا الحصول على تعليقات منها ومقابلات معها، لكنها ابتسمت لهم ونزلت الدرج مسرعة نحو سيارة الشرطة فيما ركضوا جميعاً وراءها.

"مـــا الذي تريدين قوله؟ ما هو شعورك؟". كانوا يصرخون باسمها، واستدارت نحوهم مباشرة قبل أن تصعد إلى السيارة وابتسمت. "تم تحقيق العدالة. هذا هو المهم. تمت إدانة قاتل الثماني عشرة امرأة. نحن هنا لأجل ذلك. هذه مهمتنا". قالت ذلك قبل أن تنقلها سيارة الشرطة بعيداً.

اتـــصلت بهـــا سافاناه على هاتفها الخلوي قبل أن تصل إلى المنزل. وكانت قد سمعت الأخبار للتو، وسمعت ما قالته أمها.

"أنا فخورة بك جداً ماما".

"أنا فخورة بك حبيبتي. أنا آسفة لأن المسألة استغرقت وقتاً طويلاً".

"يظن الجميع أنك بطلة، وأنت هكذا بالنسبة إليّ".

"أنـــت بطلتـــي". قالت ألكسا وهي تشعر بالارتياح للمرة الأولى منذ أشهر. سوف تستمتع بكل دقيقة ممكنة مع سافاناه خلال الصيف، للتعويض عـــن الـــوقت الضائع. "سأسافر غداً حبيبتي. هل أنت مستعدة للعودة إلى المنزل؟".

"مباشرة بعد التخرج، ماما. أحتاج إلى أسبوع واحد فقط".

"أعرف". لقد وافقت ألكسا على ذلك. "ثم تتخرجين هنا. عليّ التواجد عند صدور الحكم في شهر تموز/يوليو، لكنني فكرت في أنه يمكننا الذهاب إلى أوروبا لبضعة أسابيع. أحتاج إلى إجازة!". ضحكت.

تحدثتا لبضع دقائق، ووعدتها ألكسا بالذهاب إلى تشارلستون في اليوم التالي. إنها امرأة حرة. لقد انتهى كل شيء. سيكون لوك كانتن في السجن إلـــى الأبـــد. سيبقى معها تحريان لحمايتها خلال الشهر القادم، لكن الحياة يمكـــن أن تعـــود إلـــى طبيعتها مجدداً، وتستطيع سافاناه العودة أخيراً إلى المنزل. كانت تبتسم ابتسامة عريضة لنفسها حين دخلت شقتها. لقد أنجزت مهمـــتها. إنه شعور رائع أن تعرف أنها أنجزت عملها جيداً. كانت تطير فرحاً.

الفصل الثامن عشر

وفت ألكسا بوعدها، وكانت على متن الطائرة المتوجهة إلى تشارلستون ظهر اليوم التالي. حصلت سافاناه على إجازة من المدرسة، وذهبت لملاقاة أمها في المطار. إذ كانتا تتحرقان شوقاً لرؤية بعضهما.

تحدثت ألكسا إلى أمها في الليلة الفائتة، فيما كانت توضب أغراضها. وهنأتها أمها كثيراً على القضية. كما اتصل بها ستانلي أيضاً وفعل الشيء نفسه. دخل إلى قاعة المحكمة مرتين لمراقبتها، وقال إنها تعاطت مع القضية ببراعة واتزان. لم تحاول قطّ تحويل القضية إلى حلبة استعراضية، واعتمدت على حقائق وأدلة جنائية، وهذا ما يجب فعله برأيه، فربحت القضية.

اتصل بها سام في ذلك الصباح قبل أن تغادر إلى المطار وقال إنه سوف يشتاق إليها. كان يعمل في العاصمة واشنطن مبدئياً، وسوف يعود إلى هناك، بالرغم من زيارته نيويورك غالباً. واقترح عليها أن يتناولا الغداء مع بعضهما في الخريف. كما اتصل بها جاك لتهنئتها، وكذلك فعل جو ماكارثي في اليوم السابق. تسود أجواء النصر والاحتفال، وتستطيع الآن إعادة ابنتها إلى المنزل، وهذا أفضل من كل شيء. لم تتلقَ أي رسالة أخرى. ولمح كانتن مؤخراً إلى أحد حراس السجن بأنه لعب *لعبة صغيرة* لإخافة ألكسا، وأخبرها جاك بذلك. كان كانتن يتلاعب بها بالطلب إلى صديق له إيصال الرسائل إلى سافاناه. ظن كانتن أن هذا مضحك، وشعرت ألكسا بارتياح أكبر لأنها اتخذت قرارها بإرسال سافاناه بعيداً. توقفت الرسائل عن الوصول ما إن أبلغه صديقه أن سافاناه رحلت، وفقد كانتن

الاهتمام باللعبة. إلا أنها لم تكن لعبة بالنسبة إلى ألكسا. كانت رعباً حقيقياً، تمثل في القلق على سافاناه بسبب تلك الرسائل.

وأرادت ألكسا الاعتراف بأنّ تمضية الوقت في تشارلستون كان جيداً بالنسبة إلى سافاناه. فلقد أسس رابطاً حقيقياً بينها وبين والدها، وهذا يعني لها الكثير، حتى لو أغضب زوجته. وذكّرتها والدة ألكسا مجدداً أنه من الجيد لسافاناه أن تعرف شيئاً عن عائلة والدها أيضاً، وأن تتعرف إلى جدتها العجوز جداً، والتي لن تبقى على قيد الحياة لوقت طويل. كان التوقيت صحيحاً، وكان نعمة لهم جميعاً؛ حتى بالنسبة إلى ألكسا. فلقد طردت عنها أشباح الماضي؛ ولم تعد تشعر بالمرارة التي شعرت بها زمناً طويلاً. حين تنظر إلى طوم الآن، ترى رجلاً ضعيفاً دفع ثمناً باهظاً لخيانته لها، ولا ترى رجلاً أحبته، أو حتى كرهته. إنها تشعر بحرية لم تشعر بها طوال سنوات.

كانت سافاناه في انتظارها حين نزلت من الطائرة، وتعانقتا وغمرتا بعضهما بقوة. أوصلتها سافاناه إلى الفندق في السيارة الصغيرة التي أعارها والدها إيّاها، ثم عادت إلى المدرسة، بعد أن وعدت أمها بالعودة لاحقاً.

اتصل بها طوم فيما كانت تفرغ حقائبها، وهنأها أيضاً. فلقد رآها على شاشة التلفاز في الليلة السابقة حين تركت قاعة المحكمة، وتأثر، كما هي الحال دوماً، بتواضعها حين قالت إن العدالة قد أخذت مجراها وتوقفت عند ذلك. إنها لا تريد تحقيق النصر، وإنما فقط إدانة المجرم، وقد فعلت ذلك.

"لا بد من أنك مرهقة". قال بنبرة متعاطفة، واعترفت له بذلك.

"لكن الإدانة تستحق ذلك".

"هل ستذهبين إلى حفلة تخرج سافاناه في الأسبوع المقبل؟". سألها بتفاؤل.

"لا. يجب عليّ العودة. حصلت على إجازة لأسبوع واحد فقط، وسوف أكون في نيويورك في أول الشهر". كانت لا تزال تشعر بالامتنان له لإبقائه

ســافاناه معه طوال أربعة أشهر. كان الأمر مثالياً لها أيضاً، وأعطاها الوقت الذي تحتاج إليه للاستعداد للمحاكمة من دون القلق بشأن سافاناه.

اعترف لها: "سأكون حزيناً جداً حين تغادر وكذلك دايزي. أتمنى أن تخططــي للمجــيء إلى هنا في نهاية شهر حزيران/يونيو لحضور زفاف تــرايفيس". لــم تعــرف إذا كان صريحاً أو مهذباً أو فقط جنوبياً. تصعب معرفة ذلك.

"لطف منهما أن يدعواني، لكنني أظن أنني سأكون مزعجة لزوجتك". خاب أمله حين قالت ذلك. فقد أمل في أن تحضر.

"مع ثمانمئة مدعو، يمكنك إحضار دب كبير ولن يلاحظه أحد".

قالت بصراحة: "ولكن ليس زوجة سابقة ربما. أنا واثقة من أن لويزا لا تريدني". هذا ملعبها، وليس ملعب ألكسا. تحترم ذلك، رغم أن لويزا لم تحترمها.

"لا يعود الأمر إلى لويزا. يعود إلى ترايفيس وسكارلت. وأنا أعرف أنهما يرغبان في حضورك. تريد سافاناه المجيء أيضاً".

"يمكــنها فعــل ذلــك إذا أرادت. سأتحدث إليها بشأن ذلك. إنها فتاة كبيرة، وتستطيع المجيء بمفردها".

"أتمنى أن تأتي ألكسا". قال بنعومة، وتجاهلت الأمر. كان الحزن في صوته مألوفاً جداً، ومراً وحلواً في الوقت نفسه، ومتأخراً كثيراً.

"سوف نرى". قالت من دون أي التزام، وعرف كلاهما أن هذا يعني لا.

"سأراك في وقت ما من هذا الأسبوع قبل أن تغادري".

"سأحاول تسهيل الأمور، وتمضية الوقت مع سافاناه، وتخطي مسألة المحاكمــة. أنــا مرهقة". قالت بصراحة، وبدت مرهقة فعلاً، وإنما سعيدة أيضاً.

عــادت ســافاناه عــند الــساعة السادسة، ومشتا معاً في الشوارع المرصوفة بالحصى. أصبح الطقس حاراً الآن، والأزهار متفتحة وعطرة.

إنهــا تشارلستون في أجمل حللها، وأكثرها رومنسية. أمضت ألكسا أيامها هــناك وهي تتجول حين تكون سافاناه في المدرسة، وذهبت لزيارة إحدى المــزارع القديمــة وقامــت بجولة. وفي عطلة نهاية الأسبوع، ذهبت هي وســافاناه إلى الشاطئ، وانضم تورنر إليهما. وأخذت ألكسا سافاناه ودزينة مــن رفاقها لتناول العشاء خارجاً تمهيداً للاحتفال بالتخرج. كانت معنويات الجميع مرتفعة، وألكسا أيضاً.

مــرّ الأسبوع في تشارلستون بسرعة، ومن دون مشاكل أو لحظات مــزعجة، أو حتى لقاءات مع لويزا. إنها تتجاهل سافاناه تماماً هذه الأيام، الأمر الذي بدا جيداً.

انتظرت سافاناه حتى الليلة الأخيرة لسؤال أمها عن زفاف ترايفيس. أرادت فعــلاً الذهاب، وأرادت أن تكون ألكسا معها. إنه زفاف كبير جداً، ولــذلك تم استيعاب رأي طوم فيه بعدم التصرف بغرابة مع لويزا. يحتمل أن يكــون العشاء السابق للزفاف الذي يقيمه هو ولويزا في النادي الريفي غريباً، ولكن ليس حفل عشاء الزفاف. تناولت ألكسا الغداء معه مجدداً، وقد أبلغها بذلك. لم يذكر لها مجدداً كم هو مشتاق إليها، أو كم هو آسف، أو كم هو تعيس مع لويزا. احترم الحدود التي فرضتها، وكانت ممتنة لذلك. وإلا مــا كانــت ستراه مجدداً. لقد تخطت المسألة، وانتهى الأمر بالنسبة إليها، وأصبح كل شيء وراءها الآن.

"هــل ســتذهبين مامــا؟". توسلت إليها سافاناه، وبدا عمرها خمس سنوات، فضحكت أمها.

"ومــا الفــرق الــذي أحدثــه إذا كــنت هناك؟ سوف تستمتعين مع أصــدقائك". تمــت دعوة جميع الذين تعرفهم، حتى تورنر وجوليان، لأن أهلهــم مدعوون أيضاً. إنها حلقة اجتماعية صغيرة في تشارلستون، ويمثل المدعــوون البالغ عددهم ثمانمئة شخص كل شخص مهم في المدينة. قالت سافاناه إن حاكم المدينة سيأتي أيضاً إلى الحفل السابق للزفاف، إضافة إلى عــدد مــن الــسيناتورات، إذ سيحضر اثنان على أقلّ تقدير. أحبت لويزا

عرض شبكاتها الاجتماعية والسياسية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى والدي سكارلت. تتطابق العائلتان جيداً، تماماً مثل العروس والعريس.

"سيكون ممتعاً أكثر إذا حضرته. يمكننا الذهاب معاً". لم تخبر أمها بعد أنها تريد العودة إلى تشارلستون في شهر آب/أغسطس لرؤية تورنر قبل أن يغادرا إلى الجامعة. لقد استمرت علاقتهما العاطفية وهي قوية الآن. إنهما مغرمان ببعضهما.

قالت ألكسا أخيراً: "حسناً، حسناً. لكن هذا غريب بالنسبة إليّ. كنت أعرف كل أولئك الأشخاص في أثناء زواجي، وأصبحت الآن غريبة". بدت غريبة ومستاءة حين قالت ذلك، لكن هذه هي حقيقة شعورها.

"لست غريبة أمي. أنت نجمة إعلامية وطنية. أنت محامية مشهورة من نيويورك".

"لا تكوني سخيفة". قالت ألكسا ذلك بتواضع منكرة الأمر. لكن هذا صحيح.

"لا داعي للخجل من شيء ماما". أصرّت سافاناه.

"أشعر بالخجل فقط لأن والدك نبذني، وكانت هذه مسألة مهمة هنا، وبالنسبة إليّ تحديداً. في الواقع، إنها مريعة". مهما كانت مهمة في وظيفتها، فما زال الأمر يهمها أيضاً.

"أنت أكبر من ذلك. بالإضافة إلى هذا، أظن أنك تخطيت المسألة". قالت سافاناه بحذر، وهي غير راغبة في إزعاج أمها. "لا تريدينه، وأراهن على أنك تستطيعين الحصول عليه إذا أردت. إنه تعيس مع لويزا".

"أعرف". قالت ألكسا بهدوء. لقد أخبرها ذلك بنفسه. "وأنت محقة. لا أريده الآن. لكنني كنت أريده آنذاك".

قالت سافاناه: "أعرف ماما". ووضعت ذراعيها حول أمها. "هل ستأتين؟".

"نعم نعم". برمت عينيها. "سأرسل بطاقة الرد غداً".

قهقهت سافاناه: "أخبرت سكارلت مسبقاً أنني ذاهبة".

أمضتا أمسية أخيرة هادئة مع بعضهما. وفي اليوم التالي، غادرت ألكسا إلى المطار، في حين ذهبت سافاناه إلى المدرسة. ظنت أنها ستكون زيارتها الأخيرة إلى تشارلستون، لكن يبدو أنه ستكون هناك زيارة إضافية لحضور حفل الزفاف.

أخبرت ألكسا أمها عن ذلك حين عادت إلى المنزل.

علّقت ألكسا: "لا أعرف كيف أقنعتني سافاناه بذلك. وعليّ الآن شراء فستان".

"سيفيدك ذلك. فربما تلتقين شخصاً ما". قالت موريال بتفاؤل. فلقد بدا الأمر مضحكاً بالنسبة إليهما معاً أن تعيش موريال حياة عاطفية أكثر من ابنتها.

قالت ألكسا بحزن: "كل ما أحتاج إليه هو التعرف إلى ساحر جنوبي آخر. واحد يكفي في الحياة. كنت هناك، وفعلت ذلك. لا أحتاج إلى آخر".

ذكّرتها أمها: "ليسوا جميعاً مثل طوم".

"هذا صحيح. أو مثل لويزا. لكن مجتمعهم منغلق جداً أحياناً، وإذا لم تكوني واحدة منهم، فسيتم نبذك. أتمنى ألا تبقى سافاناه هناك، وأن تعود إلى نيويورك بعد إنهائها دراستها الجامعيّة".

"وحده الله يعلم أين ستكون، حسب وظيفتها، أو حسب الشخص الذي ستغرم به. أنا تدبرت أمري حين عشتِ في تشارلستون".

"نعم، لكن كان لديك ستانلي آنذاك. أما أنا فأملك سافاناه فقط".

ذكّرتها أمها مجدداً: "تحتاجين ربما إلى أكثر من ذلك في حياتك. لا يمكنك ربط كل شيء بها. ليس هذا جيداً لكما أنتما الاثنتين".

"حسناً، سأبقى بمفردي على كلّ حال حين تذهب إلى الجامعة". كانت ألكسا قلقة بشأن ذلك، لكن انفصالهما عن بعضهما خلال الأشهر الأربعة الماضية كان تمريناً جيداً. كانت ألكسا مذعورة من فكرة المنزل الفارغ. وحتى خلال الأشهر الأربعة الأخيرة، كانت الشقة هادئة جداً من دون سافاناه. فرحت ألكسا لأنها ذاهبة إلى برنستون، وليس أبعد. قالت سافاناه

لأمها: "هل تريدين الذهاب للتسوق معي في عطلة نهاية الأسبوع. أحتاج إلى فستان مناسب لحضور الزفاف. إنه زفاف ضخم".

"أود ذلك". بدت موريال متحمسة، وتواعدتا على اللقاء في متجر بارني يوم السبت، واتفقتا على تناول الغداء معاً.

"لم أشترِ فستان سهرة منذ أعوام طويلة". قالت ألكسا وهي تبدو متحمسة... منذ أحد عشر عاماً... أي منذ أن كانت متزوجة من طوم... وها هي الآن تعود، ليس كزوجته، وإنما كألكسا ذاتها... المحامية من نيويورك، مثلما تقول سافاناه... كم تغيرت حياتها.

حين تخرجت سافاناه في تشارلستون، كانت أمها قد عادت إلى العمل، واستلمت عدداً من القضايا الصغيرة التي تعتبر تافهة بعد قضية كانتن. وكانت لا تزال نجمة محلية. أرادت عدة مجلات إجراء مقابلات معها، لكنها رفضت. إلا أنها اعترفت أمام جاك بأنها تشعر بالقليل من الضجر من القضايا الصغيرة التي تستلمها الآن. تصعب العودة إلى القضايا الروتينية بعد قضية مهمة مثل تلك التي أنجزتها أخيراً. وتفاجأت حين اكتشفت أنها مشتاقة إلى العمل مع مكتب التحقيقات الفدرالي. تساءل جاك إذا كانت متضايقة، ولكنه لم يسألها.

خلال تخرج سافاناه في تشارلستون، ارتدت الفتيات فساتين بيضاء تحت الأثواب السوداء، وارتدى الشبان بذلات رسمية. حملت الفتيات الأزهار، وبكى الجميع حين أنشدوا أغنية المدرسة. كان الجو عاطفياً وحنوناً، وجرى كل شيء على ما يرام. وأقام لها والدها حفلة غداء في النادي الريفي بعد ذلك. جاء ترايفيس وسكارلت، وتورنر، ودايزي، ووالدها طبعاً، وجاءت الجدة بومونت إلى حفل التخرج والغداء. تمت دعوة لويزا إلى الحدثين لكنها لم تهتم، ورفضت الحضور. بقيت على الأقل وفية لمشاعرها حتى النهاية. الشيء الوحيد الذي أرادت الاحتفال به هو مغادرة سافاناه بعد يومين. وكانت لا تزال غاضبة من فكرة عودتها لحضور حفل الزفاف. أملت في أن تكون تلك آخر مرّة تراها فيها قبل وقت طويل. فهي

لا تريدها في تشارلستون مجدداً، بالرغم من أن طوم ألمح مراراً إلى مناسبة الشكر. ولكنّ لويزا لم تكترث للأمر. لن يشتاق إليها أحد على الغداء.

كانت الحفلة في حديقة النادي الريفي جميلة. أعطتها جدتها قلادة لؤلؤية صغيرة كانت لأمها، وأعطاها والدها شيكاً مصرفياً كبيراً، وأخبرها أنه فخور بها. فقالت إنها ستذهب لشراء ما تحتاج إليه للجامعة. وسوف تعود إلى تشارلستون لرؤية تورنر في آب/أغسطس، ولرؤيتهم جميعاً طبعاً. أمل طوم في أن تكون لويزا بعيدة حينها، وأن تزور عائلتها في ألاباما، مثلما تفعل كل صيف. فلديها أقارب في كل الجنوب.

خلال اليومين اللذين تليا التخرج، أمضت سافاناه أكبر وقت ممكن مع تورنر. فهو سوف يعمل في حقول النفط في الميسيسيبي خلال شهري حزيران/يونيو وتموز/يوليو، وسوف يشتاق إليها كثيراً حين تغادر. إنها حب حياته ونورها. سوف يذهب إلى نيويورك من أجلها؛ لحضور حفل تخرجها في الأسبوع المقبل، لكنه لن يمكث إلا يومين، وقد شعرا بالامتنان لذلك.

آخر ليلة لسافاناه في منزل *الألف سنديانة* كانت حلوة ومرة. استلقت في السرير مع دايزي، وأمسكتا بيدي بعضهما، مثلما فعلتا في أول ليلة. كانت ليلة حارة، ومضاءة بنور القمر. تهامست الفتاتان وتعانقتا إلى أن نامتا. أرادت منها سافاناه أن تزورها في نيويورك أو في برنستون، لكن الفتاتين خشيتا ألا تسمح لها لويزا بذلك. لكنهما اتفقتا على أن تحاولا تدبر الأمر مع والدهما.

وقفت دايزي وهي تبكي على درج المنزل الأمامي حين غادرت سافاناه. وضع جاد كل أغراضها في السيارة، وكانت تالولاه تمسح عينيها. جاءت جوليان لتوديعها أيضاً، وكانت تبكي بقوة. ومباشرة قبل أن تغادر، دخلت سافاناه المنزل لتودع لويزا، التي لم تخرج لتوديعها. وجدتها متشنجة في المطبخ، وهي تتناول الفطور وتقرأ الجريدة.

"شكراً لك على كل شيء لويزا". قالت سافاناه بتهذيب، فيما راقبها والدها من حيث يقف قرب الباب وهو يشعر بالألم. سافاناه فتاة جيدة، وقد حاولت بكدّ، لكن لويزا ليس لديها رحمة على الإطلاق. "أنا آسفة إذا سببت لك الإزعاج في أثناء وجودي هنا. كان الوقت الذي أمضيته هنا رائعاً". قالت سافاناه ذلك والدموع في عينيها. كانت حزينة فعلاً لأنها مغادرة، وإنما سعيدة بالعودة إلى أمها. لقد حصلت هنا على شيء لم تحصل عليه قطّ من قبل، ألا وهو الأب. ولن يتوقف ذلك الآن.

قالت لويزا بجفاف: "لم تكوني مزعجة. فلتكن رحلتك موفقة". لم تتحرك باتجاه سافاناه، ثم حملت جريدتها مجدداً.

"وداعاً". قالت سافاناه بهدوء، وغادرت المطبخ مع والدها. إنه أفضل وداع يمكنها الحصول عليه من لويزا.

عانقت سافاناه دايزي للمرة الأخيرة ودخلت السيارة. كانت دايزي وجوليان والخادمتان العجوزان يلوّحن لها فيما انطلقت هي وطوم بعيداً عن منزل *الألف سنديانة*. لن تصدق سافاناه ذلك أبداً، لكنها كرهت مغادرة تشارلستون، وتشعر الآن أنها منزلها الثاني. حتى إنّ لويزا لم تتمكن من إفساد إقامتها هناك. رأت سافاناه أنه بالرغم من اشتياقها إلى أمها، إلاّ أن هذه الأشهر الأربعة كانت الأكثر سعادة بالنسبة إليها. أصبح لديها الآن أب وأم حقيقيان، وهي تحبهما معاً.

الفصل التاسع عشر

كان تخرّج سافاناه في نيويورك نقيض تخرجها في تشارلستون. ارتدت كل رفيقاتها تحت أثواب التخرج سراويل جينز مثقوبة وقمصاناً، وانتعلن أحذية رياضية، ولم يحملن الأزهار أو يرتدين الفساتين البيضاء الأنيقة. فيما ارتدى الشبان قمصاناً قطنية وسراويل جينز وانتعلوا أحذية *نايك*، لكنهم أطلقوا جميعاً الصرخة القوية نفسها لحظة تخرجهم، ورموا قبعاتهم في الهواء، ثم خلعوا أثوابهم المستأجرة.

تحمس الجميع لرؤية سافاناه التي كانت قد بقيت على تواصل مع معظمهم بواسطة البريد الإلكتروني أو عبر الهاتف. إلا أنها شعرت بالغرابة لدى عودتها إلى مدرستها الآن. بدا كل شيء مختلفاً جداً في نيويورك. لم تعد واثقة بأنها الآن في مكانها، إذ أحبت المكانين معاً. لم تقل ذلك لأمها، لكنها تشتاق فعلاً إلى تشارلستون أحياناً.

جاء تورنر لحضور حفل تخرجها في نيويورك، وأظهرت له كل المعالم المهمة. رأت صديقاتها أنه فاتن ولطيف فعلاً، وحتى الشبان الذين تعرفهم استلطفوه. دعتهما جدتها إلى العشاء، وقامت بجولة معه في المحكمة. تأثر تورنر لكون جدتها قاضية، وأمها مساعدة للنائب العام. لم تعمل أمه قبل وفاتها قطّ.

شرحت سافاناه: "كذلك أمي حين كانت متزوجة من بابا. ذهبت إلى كلية الحقوق بعد طلاقهما، وذهبت جدتي إلى كلية الحقوق بعد وفاة جدي". اعترف لها تورنر أن والده يملك صديقة عمرها ستة وعشرون عاماً، وأنه يفكر في الزواج مجدداً، لكنه يشعر هو وإخوته بالانزعاج الشديد من ذلك. كان وحيداً من دون زوجته التي توفيت.

فعل تورنر وسافاناه كل ما أملا به في نيويورك. أخذته إلى أعلى مبنى *الإمباير ستايت* الذي أراد رؤيته، وركبا في مركب *ستاتن آيلند فيري*، وذهبا إلى المتحف في جزيرة إيليس، وشاهدا تمثال الحرية، وذهبا إلى حديقة حيوانات *البرونكس*، ورأيا الحيوانات، وشعرا بأنهما ولدان صغيران مجدداً. وذهبا إلى لونغ آيلند، ومشيا على الشاطئ، وراحا يخططان كيف سيمضيان الوقت في ديوك وبرنستون مع بعضهما في الخريف. كانا ينويان متابعة قصتهما العاطفية، وحين كانا ينفصلان عن بعضهما، ولو لساعة واحدة، كانا يتصلان ببعضهما ويتراسلان باستمرار. شعر كلاهما أن دهراً سيمضي قبل أن تعود إلى تشارلستون للزيارة في شهر آب/أغسطس، بعد عودتها من أوروبا مع أمها. لكن الزفاف كان وشيكاً، إنه بعد عشرة أيام من مغادرة تورنر نيويورك.

وفي اليوم الذي تلا مغادرته، عثرت سافاناه على فستان. فيما ابتاعت ألكسا فستانها حين كانت برفقة أمها في بارني. اشترت شيئاً غريباً جداً بالنسبة إليها. إنه فستان من الشيفون من دون كمين، وبلون الخوخ، ذو فتحة كبيرة عند الصدر وتصميم جذاب جداً، وكانت التنورة طويلة وجميلة. واشترت صندلاً فضياً عالي الكعب لانتعاله معه. جربته أمام سافاناه وخشيت أن يكون مفتوحاً جداً عند الصدر وجريئاً جداً بالنسبة إليها.

وبختها سافاناه: "ماما، عمرك تسعة وثلاثون عاماً فقط وليس مئة عام. يفترض أن تكوني جذابة جداً".

"هذا ما قالته جدتك أيضاً. لا أعرف بماذا تفكران أنتما الاثنتان. ربما كنتما تنويان تزويجي. لن أرتدي هذا الفستان في أي مكان آخر". بدا لها ذلك تبديداً للمال، لكنها وقعت في غرامه؛ إذ لم تشترِ مثل هذا الفستان منذ أعوام.

فرحت سافاناه لأن أمها اشترت مثل هذا الفستان الجميل. "سوف ترتدينه في زفاف ترايفيس. هذا كافٍ. تبدين جميلة".

مازحتها أمها: "ربما أستطيع تقصيره وارتداءه في المكتب. سيبدو رائعاً في المحكمة في قضيتي التالية".

"توجد في الحياة أمور أهم من العمل". وبختها سافاناه مجدداً، وهزّت ألكسا كتفها.

اتصل بها سام مرتين لمعرفة ما تقوم به، واعترف كلاهما أن هناك خموداً بعد المحاكمة. بدا كل شيء آخر غير مهم مقارنة بما فعلاه. إلا أن القتلة المحترفين الذين يقتلون ثماني عشرة ضحية في تسع ولايات لا يصادفهم المرء غالباً. من الجميل الإحساس أنهما أحدثا فرقاً في العالم وأنجزا مهمتهما جيداً. يفترض أن يصدر الحكم في اليوم الذي يسبق سفرها إلى أوروبا مع سافاناه. سوف تذهبان إلى باريس ولندن وفلورنسا، وربما ستمضيان عطلة نهاية أسبوع في جنوب فرنسا. تنوي ألكسا أن تدلل نفسها وابنتها، وسوف تمكثان هناك مدة ثلاثة أسابيع. وبعد ذلك، ستعود سافاناه إلى تشارلستون لأسبوعين لرؤية تورنر. وافقت ألكسا على ذلك أيضاً. فهي لا تريد عرقلة القصة العاطفية.

كان الفستان الذي اشترته سافاناه لزفاف أخيها من "السّاتان" الأزرق الشاحب، ومن دون كمّين مثل فستان أمها، ولكنه غير مفتوح كثيراً عند الصدر. كان فستاناً طويلاً أيضاً، واشترت حذاء جذاباً عالي الكعب لانتعاله معه. أكدت لهما موريال أنهما ستكونان محط كل الأنظار. وكانت ستذهب مع ستانلي في إجازة في ذلك الصيف أيضاً. وكانا سيقومان برحلة غوص طويلة في مونتانا ووايومنغ، لأن هذا ما يحبان فعله: التنزه في الطبيعة، والمشي، وصيد الأسماك. قالت سافاناه إن هذا يبدو مريعاً. وكانت متحمسة أكثر لرحلتها مع أمها، وخصوصاً إلى باريس.

وصلت سافاناه وألكسا إلى ونتورث مانشون في تشارلستون بعد ظهر يوم الجمعة، بالرغم من أنهما لن تذهبا إلى حفل العشاء الذي يقيمه طوم ولويزا، أو إلى دار العبادة التي اقتصر المدعوون فيها على أفراد العائلة والأصدقاء المقربين. فلقد كانت دار العبادة صغيرة جداً بحيث لا تتسع لكل الضيوف الذين تمت دعوتهم إلى حفل العشاء. إلا أن ألكسا وسافاناه كانتا

تحتاجان إلى الكثير من الوقت للاسترخاء والاستعداد لليوم التالي. وكانتا قد حجزتا موعداً في المنتجع الصحي في الفندق تلك الليلة.

اتصلت سافاناه بدايزي ما إن وصلت، فأوصلها والدها لرؤيتهما لفترة وجيزة. كانت متحمسة كثيراً لكونها وصيفة الشرف، وقالت إنها سترتدي فستاناً جميلاً جداً. رأت فستان سافاناه في الخزانة وأحبته، وخرجتا بعد ذلك لتناول البوظة ثم أعادها والدها إلى المنزل، لأنه كان يتوجب عليها الذهاب إلى حفل العشاء هذه الليلة، وسوف يجنّ جنون أمها إذا تأخرت. لذا، كانت الزيارة قصيرة، وإنما ممتعة. رمت دايزي نفسها بين ذراعي سافاناه، وتعانقت الفتاتان وقبلتا بعضهما وضحكتا. تأثرت ألكسا لدى رؤيتها ذلك. دايزي إنسانة رائعة دخلت حياة سافاناه، وهي الأخت الصغرى التي لطالما أرادتها. إلا أن ألكسا لم تتوقع قطّ أن تكون علاقتهما وطيدة هكذا. وكانت سافاناه قد وعدت دايزي بأن تمضي برفقتها عطلة نهاية أسبوع في برنستون وبزيارة إلى نيويورك، وأقسم طوم على تحقيق ذلك.

تلك الليلة، تناول تورنر العشاء معهما بعدما انتهتا من المنتجع الصحي. ثم خرج هو وسافاناه للقيام بنزهة، وعرض مرافقتهما إلى حفل الاستقبال في اليوم التالي، الأمر الذي بدا رائعاً بالنسبة إلى سافاناه وأمها كذلك.

كان حفل الاستقبال في تمام السادسة، واصطحبهما تورنر في تمام الخامسة والنصف في سيارة مرسيدس قديمة استعارها من والده، وصفر إعجاباً حين رآهما. بدت ألكسا مثل أميرة في فستان الشيفون الخوخي، وبشعرها المربوط في جديلة فرنسية أنيقة. وبدت سافاناه مذهلة في الفستان الأزرق الذي كان مماثلاً للون عينيها، مع فتحة كافية وإنما غير كبيرة عند الصدر. لم يكن فستان أمها مبتذلاً، وإنما أكثر جرأة. قال تورنر إنهما تبدوان فاتنتين وهو فخور بمرافقتهما. كان يرتدي بذلة توكسيدو صيفية، ذات سترة بيضاء وسروال أسود تقليدي مع شريط من "الساتان"، كانت

قديمة الطراز وإنما جميلة. ووضع عقدة من "السّاتان" الأسود الحقيقي حول عنقه.

"أنت شاب وسيم جداً". مدحته ألكسا، وهي سعيدة من أجل سافاناه. كانا يبدوان رائعين معاً؛ إذ كانا شابين وبريئين ومتفائلين، مثلما يفترض أن يكون الناس المغرمون.

كان الزفاف في دار العبادة التي ذهبت إليها ألكسا مع سافاناه وصادفتا لويزا ودايزي. إلا أن ألكسا وسافاناه توجهتا مباشرة إلى حفل الاستقبال مع تورنر في سيارته، لأنهما غير مدعوتين إلى دار العبادة. حرصت لويزا على ذلك. توقعت ألكسا أن يكون كرسيها في مرأب قاعة الحفلات، أو في المطبخ، وظنت أن سافاناه لن تلقى نصيباً أفضل، لكنهما لم تكونا تباليان فعلاً. لقد جاءتا من أجل ترايفيس وسكارلت، ولتمضية وقت ممتع. لا تبالي ألكسا وسافاناه بمكان جلوسهما. وسافاناه سعيدة طالما أن تورنر هناك معها.

حين وصلوا إلى صف التهاني في قاعة الاستقبال، بدت سكارلت مثل ملكة من القرون الوسطى، ووقفت بفخر قرب ترايفيس. كان فستانها رائعاً، وبدت أجمل من أي وقت مضى، وبدا ترايفيس الرجل الأكثر سعادة وفخراً في العالم، فيما وقف هنري قربه بصفته الإشبين، ووقفت قربهم دزينة من الشباب والشابات. كانت أخت سكارلت الكبرى إشبينتها، ودايزي وصيفة الشرف التي ارتدت فستاناً منتفخاً من الأورغنزا البيضاء، وحملت سلة من بتلات الورود. كانت هناك صفوف من الأزهار في كل مكان، بما في ذلك أزهار الأوركيدة والغاردينيا وزنبق الوادي، والتي تم استيرادها من كل أنحاء العالم. إنه زفاف مذهل.

"واو!". همست ألكسا لابنتها فيما انحنت صوبها. "هذا زفاف حقيقي". أهل سافاناه في غاية الأهمية، وكانت لويزا فخورة جداً بالنسب كما لو أنها حققت لنفسها فوزاً. ومثلما قالت لهما دايزي، كانت لويزا ترتدي فستاناً من "الساتان" الأحمر، وتضع تاجاً ماسيًّا مستعاراً، وتتزين بقلادة من الياقوت.

بـــدا طوم محرجاً قليلاً حين رآها، لكنه لم يقل شيئاً. إذ إنّ لويزا تفعل ما تريده. رأى أنها بالغت قليلاً في خياراتها، لكن بدا أن أحداً لم يلاحظ ذلك.

رأى طوم سافاناه وألكسا، فترك صف الاستقبال لدقيقة لتقبيلهما معاً.

"تـــبدين مذهلـــة". قال لألكسا بحنان. "أحببت الفستان. خصصي لي رقصة". أوشكت على القول *مثلما تريد*، مثلما كانت ستفعل سابقاً، لكنها لم تقـــل ذلك. لطف منه أن يلقي التحية عليهما، وجاء هنري بعد قليل وسحق أخته في عناق قوي.

"أوه، يـــا إلهـــي، ســـوف ألـــتهمك، تبدين رائعة جداً". وملأ عنقها بالقـــبلات، فضحكت، ثم ابتسم لأمها أيضاً. "أنت أيضاً تبدين جميلة ألكسا. رائعة فعلاً فعلاً. الفستان جذاب".

"أتمنى ألا يكون ثوبي مبالغاً فيه". قالت وهي تبدو عصبية.

"أنـــت نجمـــة إعلامية من نيويورك. استحقيهم". قال هنري ذلك وهو يبدو مذهلاً في بذلة *التوكسيدو*. كانت بذلته عصرية أكثر مما يرتديه معظم الـــرجال هناك، وقد اشتراها من لوس أنجلوس. كان العريس يرتدي ربطة عنق بيضاء.

مـــثلما كـــان متوقعاً، كانت لويزا مشغولة جداً فلم تنتبه إلى وصول ألكـــسا وســـافاناه. فعدد الحشود في قاعة الاستقبال هائل فعلاً. يعرف أهل ســـافاناه الكثير من الأشخاص. وفيما مرّ الناس أمامهم، تولى هنري مهمة التعريف عن ألكسا بأنها أمه الثانية، مما أثر فيها كثيراً. بالكاد تذكر الناس القصة حين قال ذلك، إذ نسوا أن والده كان متزوجاً من قبل. ورأوا أنه من الجميل أنها لا تزال قريبة من الولدين.

تحـــدثت ألكسا إلى هنري لبعض الوقت، فيما جاءت سافاناه وذهبت، ثـــم ظهر طوم مجدداً وذكّرها بالرقصة. وبعد ذلك، اختفت العائلة لالتقاط الصور مع العروس والعريس، وتجولت ألكسا بمفردها حاملة كأس الشرب في يدها. رأت بعض الوجوه المألوفة قليلاً بين الحشود، ولكن لم يكن هناك أحد تعرفه جيداً، وشعرت بالارتياح.

ظهـــر هنري مجدداً بعد نصف ساعة، ورافقها إلى العشاء. حصلت على بطاقة عند الباب، عليها رقم مقعدها وطاولتها.

قـــال هنري فيما نظر إليها: "أوه، أنت في سيبيريا حسبما هو متوقع. لا بـــد مـــن أن أمي هي من ساعدتهم على تحديد مكانك". كانا يضحكان، لأنها توقعت ذلك هي أيضاً.

"فليباركها الله". أضافت ألكسا وضحكا بقوة أكبر.

"بالـــضبط. إنهـــا تتجاهلني الليلة لأنني رفضت إحضار امرأة معي. أســـتطيع القـــول لها إنني أحضرتك". كانت ألكسا سعيدة بالتواجد معه. إنه رفـــيق رائع، وانتبه إليها كثيراً حين رافقها إلى مقعدها، ثم تركها للذهاب إلـــى مقعده في الجهة الأخرى من القاعة. لم تكن سافاناه تجلس إلى طاولة ألكـــسا أيـــضاً. وقبل أن يتركها، حذّرها من وجود العديد من الشخصيات المهمـــة، ومن بينهم الرئيس ربما، وملكة إنكلترا. لقد كان مرحاً هكذا في طفولته، ولطالما أحبته، بالرغم من أنها أحبت ترايفيس أيضاً. كان ترايفيس ولداً أكثر هدوءاً. ولكن، لطالما كان هنري مرحاً وفاضحاً.

بـــدا الـــناس الجالـــسون إلى طاولة ألكسا رائعين تماماً. كانوا أربعة أزواج أكبر سناً منها، فهم في مثل سنّ أمها تقريباً، وتم تحديد مقعدها قرب رجل دين كاثوليكي. وحين تحدثا تبيّن لها أنّه ممتع جدًا وودود. لكن، على عكـــس ما تمنت لها أمها، لم يكن يبدو أنها ستلتقي الأمير الساحر الليلة. لم تتوقع ذلك على كلّ حال، ولم تكن تبالي.

جـــاء هنـــري لـــزيارتها مرات عدة خلال السهرة، ولمحت سافاناه وتورنـــر بـــين الحـــين والآخر. وحين بدأت الموسيقى بعد العشاء، رافقها هنري إلى حلبة الرقص. كان حفل الزفاف مقاماً في خيمة كبيرة جداً.

"هل تعتقدين أنهم اشتروها من المعرض الريفي؟". سألها هنري حين بدأا الرقص، فضحكت بصوت عالٍ. بدت الخيمة المصنوعة من "الساتان" الأبيض، وكأنها ممتدة مسافة عشرة آلاف ميل. كانا قد رقصا رقصتين مع بعـــضهما حـــين لمحهما طوم وجاء إليهما. تحولت الموسيقى إلى *الفوكس*

تروت وراقصها طوم برشاقة على الحلبة. كان إحساس ألكسا غريباً حين رقصت معه، لكنها قررت التحلي بروح رياضية وتجاهل الأمر. كانا يدوران في الرقصة حين ارتطما بقوة برجل يعبر حلبة الرقص، للذهاب إلى المشرب ربما. تجاهله طوم في البداية ثم أدرك أنه يعرفه. أبقى يد ألكسا في يده، وإنما أبعدها عنه أقداماً قليلة ليتمكن من إلقاء التحية على الرجل، وكي لا يخسرها في الوقت نفسه. بدا مألوفاً قليلاً بالنسبة إلى ألكسا، لكنها لا تعرف أبداً من يكون. كان في الخمسين من عمره تقريباً، طويل القامة ومميّزاً بشعره الأشيب قليلاً. ابتسم حين رأى طوم، ثم ابتسم ابتسامة عريضة حين رأى ألكسا.

قال مبتسماً: "ماذا تفعلين هنا؟". وافترضت أنه أخطأ وظنّها شخصاً آخر. وتمنت ألا تكون لويزا.

"عفواً؟".

"كنت أشاهدك على الأخبار طوال الشهر الماضي. لقد ربحت قضية مهمة جداً، حضرة المحامية. مبروك!". شعرت بالذهول لأنه تعرّف إليها هنا، وشعرت بالإحراج والسرور من إطرائه لها على نجاحها في القضية. فللحظات، خشيت أن تكون ابتسامة السرور موجهة إلى صدرها وليس إلى دماغها. هذا أفضل.

حينها تولى طوم مهمة تعريفهما إلى بعضهما. وجاء دورها الآن لتتفاجأ. "السيناتور إدوارد بالدوين". قال طوم بطريقة رسمية، وأدركت ألكسا سبب مظهره المألوف. يملك لكنة تشارلستون نفسها مثل كل الباقين هنا، وهو سيناتور من كارولينا الجنوبية. فهو من بين كبار الشخصيات التي وعد بها هنري.

ابتسمت له ألكسا قائلة: "إنه شرف لي أن ألقاك حضرة السيناتور". تصافحا، وأومأ برأسه، وتوجه إلى المشرب، ثم تابعت الرقص مع طوم، وهما يعلّقان على مدى جمال الزفاف. عرفا أنه كلّف أهل سكارلت مليون دولار على الأرجح. لكن، يبدو أنهم يستطيعون تحمل

هذه الكلفة بوضوح. أحبت ألكسا سكارلت لأنها غير متعجرفة، أعجبتها رغبتها في أن تكون ممرضة، وفي إنجاب الأطفال خلال سنوات قليلة. ما من شيء متبجح أو متعجرف في عروس ترايفيس. وافقت ألكسا على ذلك، وكذلك طوم. تحمست لويزا للزفاف وللكلفة الباهظة. وقد جرى حفل العشاء السابق للزفاف على ما يرام. لقد فعلت لويزا كل ما يمكن كي لا يتفوق عليها أهل العروس، لكن هذا ما حصل على كلّ حال.

رقص طوم مع ألكسا رقصة أخرى، رقصة فالز بطيئة على شرف الأجداد، مما ذكّرها بزفافهما في نيويورك، ثم اصطحبها إلى طاولتها. كان هناك الكثير من الضجة بحيث لا يمكن إجراء محادثة حقيقية، وشعرت بالامتنان لذلك. كشف عن نظرة حزينة في عينيه، وكان قد شرب كثيراً. شكرته على الرقصتين، وعادت للتحدث إلى رجل الدين.

بعد ساعتين، وفيما كانت تفكر في طريقة للانسحاب والعودة إلى الفندق بمفردها، ظهر السيناتور بالدوين من حيث لا تدري وجلس على المقعد الذي أخلاه رجل الدين.

"هل يجلس أحد هنا؟". سألها وهو يبدو قلقاً.

"يجلس هنا رجل الدين فقط". قالت ألكسا ذلك بعفوية، وضحك هو بصوت عالٍ.

"سحرتني قضيتك". عاد مجدداً إلى الموضوع. "كيف نجحت في إبقاء المسألة خارج أيدي مكتب التحقيقات الفدرالي بالرغم من تورط العديد من الولايات؟".

ابتسمت له: "رفضت الاستسلام، ودعمني النائب العام كثيراً. حددنا أول أربع قضايا، ولذلك بدا أنّه أمر غير عادلٍ أن نخسر القضية لصالح مكتب التحقيقات الفدرالي بعدما أنجزنا كل العمل. لذا، راقبونا جيّداً، لكنهم سمحوا لنا بالاحتفاظ بالقضية حتّى النهاية".

"هذا نصر كبير لك". قال وهو يبدو متأثراً مجدداً.

"ليس تماماً. كانت القضية محكمة تماماً، مع تطابقات الدي أن أيه مع كل ضحية. هل أنت محامٍ حضرة السيناتور؟".

"كنت كذلك. أتعاطى السياسة منذ خمسة وعشرين عاماً". تعرف ذلك عنه أيضاً. "في البداية، عملت محامياً لمدة سنتين تقريباً. ولكنني لم أملك القدرة على الاستمرار، أو الشجاعة. أحب السياسة أكثر من القانون".

قالت بإعجاب: "ما تفعله أكثر صعوبة". لم تكن متأثرة بمنصبه، لكنها رأت أنه ذكي. وظن الأمر نفسه بالنسبة إليها.

سألها باهتمام: "ما الذي أحضرك إلى تشارلستون؟". وترددت قليلاً قبل أن تجيب:

"كنت متزوجة من والد العريس، منذ زمن بعيد". ابتسم حين سمع ذلك وأومأ برأسه.

"رائع أنكما بقيتما قريبين من بعضكما. تطلقنا أنا وزوجتي السابقة قبل عشرين عاماً. ونحن نمضي كل عطلات الأعياد مع بعضنا. أنا مفتون بزوجها، فهو رجل رائع. إنه زوج مثالي لها أفضل مما كنت أنا. تزوجت مجلس الشيوخ طوال عشرين عاماً. أما هي فتزوجت منه وأنجبت ثلاثة أولاد إضافيين. نحن أنجبنا اثنين. ويجعل ذلك عطلات الأعياد تبدو رائعة حين نمضيها مع بعضنا". لم تخبر السيناتور أن علاقتها بطوم ولويزا ليست هكذا على الإطلاق، وأن لويزا ليست أفضل صديقة لها. كانت ليزا ستصاب بنوبة قلبية لو ظهرت ألكسا في الميلاد. اكتفت ألكسا بالضحك وأومأت برأسها، لأن هذا أكثر بساطة. حينها، طلب الرقص معها ليكون مهذباً.

سألته إذا كان من تشارلستون، فقال إنه من بوفور، وهي مكان مجاور وجميل. إنه مواطن من كارولينا الجنوبية، ومرتبط بلا شك بدزينة من الجنرالات، وربما كانت والدته رئيسة اتحاد البنات في الكونفدرالية، مثل والدة طوم.

رقصا معاً لبضع دقائق. كان راقصاً جيّداً يسهل اللحاق بخطواته، وبدا طويلاً على نحو مفاجئ حين أصبحت بين ذراعيه. ثم أذهلها تماماً

باعتراف، وقال إنه لا يستمتع بتمضية الوقت في الجنوب. قال إنه يمضي معظم وقته في واشنطن العاصمة، ويفضل ذلك. "لا أتحمل كثيراً كل الشائعات المحلية، وكل السيدات العجائز اللواتي يلوحن بعلم الكونفدرالية، وتصرف الجميع بلباقة كاذبة مع الآخرين بحيث يبتسمون لهم ويطعنونهم في الظهر. الأمور معقدة قليلاً بالنسبة إليّ هنا. أما واشنطن فأكثر بساطة". عرفت ألكسا أن الأمور ليست بسيطة دوماً هناك أيضاً. لكنه عبّر بالضبط عما تشعر به وتفكر فيه بشأن الجنوب ولم تجرؤ على قوله، وخصوصاً هنا، أو له.

اعترفت له بدورها: "عليّ الاعتراف بأن أفكاراً مماثلة تراودني". وفيما قالت ذلك، رقصت لويزا أمامهما بفستانها الأحمر الساطع وتاجها الماسي. وحين رأت الشخص الذي ترقص ألكسا معه، بدت وكأنها ستصاب بنوبة غضب، لكنها لم تستطع فعل أي شيء حيال ذلك فيما أخذها شريكها في الرقص بعيداً على الحلبة. "أحببت المكان حين عشت هنا، لكن كل شيء انفجر في وجهي بعد ذلك. عدت إلى نيويورك، وأنا أشعر بمرارة كبيرة حيال الجنوب. عدت إلى تشارلستون للمرة الأولى قبل أشهر قليلة منذ عشرة أعوام".

"لطف منك أن تعودي. فنحن لا نعامل دوماً أهل الشمال بصورة جيدة". لا شك في ذلك، لكنها لم تقل هذا. وكانت مذهولة لأنه قال ذلك، ولأنه كان صريحاً جداً.

"هل كانت زوجتك من الجنوب؟". سألت ألكسا بتهذيب، فضحك.

"طبعاً لا. إنها من لوس أنجلوس وتكره الجنوب كثيراً. كان هذا أحد الأسباب التي دفعتها إلى تركي. حين بدأت العمل في السياسة، عرفت أنني سأمضي الوقت هنا، ولذلك تركتني. تعيش الآن هي وزوجها في نيويورك. إنها كاتبة وهو منتج". بدا أنهما شخصان مثيران، وكذلك هو. لم تتعرف إلى الأمير الوسيم تلك الليلة لكي تقع في غرامه، مثلما أملت والدتها. إلا أنها التقت بدلاً من ذلك سيناتوراً يسهل التحدث إليه. مازح ألكسا حينها.

"إذا أخبرتِ أياً كان بما قلته لك للتو عن الجنوب، فسوف أخسر منصبي وألومك". وضعت إصبعاً على شفتيها، وضحكا معاً وهو يرافقها مجدداً إلى طاولتها.

جاء هنري وبقي برفقتها لبعض الوقت، ثم عثرت أخيراً على سافاناه وأخبرتها أنها ستغادر. كانت موسيقى الروك قد بدأت تعزف للتو، وعرفت أنها ستبقى برفقة تورنر لساعات. أما ألكسا فكانت مستعدة للعودة إلى الفندق. كان الجو ممتعاً، وإنما هذا يكفي. قطع العروسان قالب الحلوى أخيراً بعد دقائق قليلة، وغادرت. هنأت ترافيس وسكارلت مجدداً، وقبّلت هنري، ولمحت طوم وهي تغادر. كان بمفرده، وبدا غير سعيد وفي حالة يرثى لها. وكانت لويزا ترقص بجنون على وقع موسيقى الروك، فيما انخفض التاج عن رأسها ليصبح فوق أذن واحدة، وكان وجهها يبدو غريباً. ولم ترَ ألكسا طوم قربها طوال السهرة.

لم تودعه ألكسا حين غادرت، فهي لم تكن تريد التعاطي معه في حالته تلك، لأن هذا أكثر مما تستطيع تحمله. استقلت إحدى سيارات الأجرة المنتظرة خارج خيمة الزفاف وعادت إلى الفندق. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وكان هذا الوقت متأخراً جداً بالنسبة إليها. وفي الفندق، خلعت الفستان الخوخي اللون وارتدت ثوب نومها.

وقالت وهي تعلّقه: "وداعاً أيها الفستان الجميل. لن أراك أبداً مجدداً". عرفت أنها لن ترتدي فستاناً كهذا مجدداً في حياتها. وإذا فعلت ذلك فليس قبل وقت طويل جداً. فهي لا تذهب أبداً إلى مثل هذه الحفلات. كان زفافاً مذهلاً، واستمتعت بالحديث إلى هنري، والسيناتور، ورجل الدين، وحتى بالرقص؛ الأمر الذي لم تفعله منذ أعوام.

سمعت سافاناه تدخل الغرفة قرابة الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل، وابتسمت حين انزلقت في السرير قربها.

وعيناها مغمضتان: "هل استمتعت؟".

"أحببته. كان مذهلاً. شكراً على قدومك". قالت سافاناه ذلك وقبّلت كتف أمها. فابتسمت ألكسا وعادت إلى النوم.

الفصل العشرون

اعترفت ألكسا لجاك في الأسبوع التالي حين جاء إلى مكتبها لإعطائها بعض الملفات: "أشعر وكأنني سندريلا بعد الحفلة".

فسألها وهو يجلس: "بعد الزفاف في تشارلستون؟".

"لا، بعد قضية كانتن. لقد عدت إلى الحياة الحقيقية، وإلى قضايا البشر العادية. الأمر صعب قليلاً بعد كل تلك الحماسة التي شعرت بها آنذاك". ضحك.

"سنحاول العثور على قاتل خطير آخر في وقت قريب". إلا أنه شعر بالشيء نفسه. إنهم يعملون في الكثير من القضايا الروتينية، ولكنها ليست قضايا كبيرة. وفي معظم الأوقات، يكون العمل مضنياً.

كان قد غادر مكتبها للتو حين رنّ الهاتف، وأجابت بنفسها لأن سكرتيرتها خرجت لتناول الغداء. وكان الصوت عند الطرف الآخر عميقاً، ولم تتعرف إليه.

"حضرة المحامية؟".

"نعم، ألكسا هاملتون". قالت بطريقة رسمية.

"أنا السيناتور بالدوين". قال لها ذلك ثم ضحك.

"هل تتلاعب حضرة السيناتور؟ لم أعرفك". كان هذا شيئاً جريئاً لقوله له لأنها بالكاد تعرفه، لكنها عرفت أنه يملك حس الدعابة.

"طبعاً، ونعم. أنا في نيويورك ليومين، وتساءلت إذا كنت تودين تناول الغداء معي". كان صريحاً بقدر أي شمالي، ولم يراوغ مطلقاً.

فقالت وهي تبتسم: "سيكون ذلك ممتعاً".

"هل أنت مشغولة جداً هذه الأيام؟".

"لست مشغولة بما فيه الكفاية. أنا مدفونة بين الأوراق".

"كم هذا مخيب للأمل". اقترح عليها مكاناً وزماناً لتناول الغداء في اليوم التالي، وبدا مستعجلاً وأقفل الخط. كانت مذهولة من الاتصال، لكنه رجل طيب للتعرف إليه، وهو بلا شك رجل يحلو الحديث إليه. لا تعرف أبداً لماذا اتصل بها؛ فهو لم يغازلها خلال الحفلة. ولكنها استلطفته، إذ بدا شخصاً ذكياً ومرحاً.

كانت لديها محاكمة قصيرة في اليوم التالي، وما إن انتهت منها حتى استقلت سيارة أجرة إلى أعلى المدينة للوصول إلى المطعم الذي اقترحه. إنه مطعم إيطالي أنيق ومزدحم، يقدم طعاماً جيداً، وقد زارته قبلاً، ولكن منذ زمن طويل. كان ينتظرها أمام طاولة حين وصلت، وهو ينظر إلى بعض الأوراق، وحين شاهدها أعاد الأوراق إلى حقيبته. وكانت هناك سيارة وسائق في انتظاره.

تحدثا عن كل شيء، بدءاً من السياسة ووصولاً إلى القانون وإلى ولديه البالغين من العمر واحداً وعشرين عاماً وخمسة وعشرين عاماً. كانت ابنته البالغة من العمر واحداً وعشرين عاماً طالبة في جامعة لوس أنجلوس، فيما يعيش ابنه البالغ من العمر خمسة وعشرين عاماً في لندن، ويعمل في شركة شكسبير الملكية. تخرج مؤخراً من جامعة نيويورك، من كلية تيش للفنون. قال إن ابنته تريد أن تكون طبيبة، فيما كل أفراد العائلة الآخرين يهتمون بالأدب أو الفن، ومن بينهم طليقته التي قال إنها غريبة الأطوار نوعاً ما وإنما مرحة كثيراً. تحدث عنها وكأنها أخته. لم تصل ألكسا بعد إلى هذه المرحلة مع طوم، وربما لن تصل إليها أبداً. إلا أنهما وصلا في النهاية إلى مكان جيد على الأقل. جاء طوم لتوديعها هي وسافاناه في اليوم الذي تلا الزفاف. بدا مكتئباً وفي حالة يرثى لها فشعرت بالأسف عليه. ولكن ليس بقدر كافٍ لتشعر بالرغبة في العودة إليه.

قالت ألكسا إنها ستسافر هي وابنتها إلى أوروبا مباشرة بعد صدور الحكم في قضية كانتن في العاشر من شهر تموز/يوليو؛ أي بعد أسبوعين، وإنهما ستغيبان مدّة ثلاثة أسابيع.

قال إدوارد بالدوين بعفوية: "أنا مسافر أيضاً. أستخدم منزل زوجتي السابقة في جنوب فرنسا في راماتويل. إنه قرب سان تروبيز، ولكن المكان ليس مزدحماً كثيراً. سوف أذهب إلى أومبريا بعد ذلك. لقد استأجرت فيلا. أين ستكونين مع ابنتك؟". كان مهتماً بها وودوداً معها، لكنها لم تشعر أنه يلاحقها، وأحبت ذلك. قد يصبحان صديقين.

"سنذهب إلى باريس ولندن وفلورنسا، وربما إلى مكان ما في الجنوب، مثل كان أو الأنتيب. لم أذهب إلى هناك منذ زمن بعيد، لكن هذه الرحلة هي هدية التخرج لابنتي لا سيما وأننا عشنا ربيعاً صعباً نوعاً ما. فلقد توجب عليّ إرسالها بعيداً لمدة أربعة أشهر خلال المحاكمة وقبلها. إذ تلقت رسائل تهديد من المدعى عليه. يبدو أنه فعل ذلك لإثارة غضبي، حسبما علمت، وقد نجح فعلاً".

"كم هذا مريع".

"نعم. هذا مخيف جداً. هكذا انتهى بها الأمر إلى تشارلستون مع والدها. لم يكن لديّ مكان آخر لأرسلها إليه".

"هل بقيتما قريبين من بعضكما بعد الطلاق؟". افترض أن علاقتها بزوجها السابق مثل علاقته بزوجته السابقة. ضحكت ألكسا وهزت رأسها.

"لم نتحدث إلى بعضنا طوال عشر سنوات. وبالكاد رأى ابنته، حتى شهر شباط/فبراير. إلا أن الأشهر الأربعة الأخيرة غيّرت كل ذلك، ولذلك أظن أن هذا كان نعمة لنا جميعاً، باستثناء زوجته". قررت أن تكون صريحة معه. "ببساطة، تعرض للخيانة من قبل زوجته التي تخلت عنه وعن ولديها. ثم تزوج مني، وكان الجميع سعداء، إلى أن عادت زوجته الأولى بعد سبع سنوات، فتخلى عني، وعاد إليها.

وساعدته أمه. لست من الجنوب، لكن زوجته جنوبية. كل شيء بسيط. هكذا، عدت إلى نيويورك وأصبحت محامية وعشت سعيدة بعد ذلك. لديّ ابنة واحدة من ذلك الزواج، وأحب ابني زوجي السابق كثيراً ورأيتهما مجدداً للمرة الأولى منذ عشر سنوات، أحدهما كان العريس. ولدى زوجي السابق ابنة ظريفة جداً عمرها عشر سنوات كانت الوسيلة التي استخدمتها زوجته لاسترداده".

"دعيني أحزر". قال إدوارد بالدوين بنظرة استياء. لم تعجبه القصة، بالرغم من أنها أخبرتها بخفة وبلمسة مرح، لكنه استطاع رؤية الألم في عينيها. "وهما الآن يكرهان بعضهما، ويريد استردادك".

أومأت ألكسا برأسها. "شيء من هذا القبيل. لكنني لست مهتمة. لقد انتهى كل شيء بالنسبة إليّ".

"تبدو لي قصة جنوبية سيئة". علّق إدوارد بالدوين. كان طلاقه بسيطاً ونظيفاً. تركته زوجته، لكنه لم يلمها، وما زالا صديقين. لقد فعلت ذلك بطريقة لطيفة. "هل تكرهينه؟". بدا فضولياً حين سألها ذلك. فهو لا يلومها إذا كانت تكرهه. فعند سماعه القصة، لم يستلطفه هو أيضاً. فهو يكره الرجال أمثاله.

لم تتردد ألكسا هذه المرة في الإجابة: "لا، ليس الآن. لقد شفي شيء ما في داخلي حين عدت إلى هنا، ورأيته، وعرفت كم هو ضعيف ومريض فعلاً. لقد خانني، لكنه في النهاية خان نفسه، وهو الآن يخونها. لا أكرهه الآن، بل أشعر بالأسف عليه. لكنني غضبت لفترة طويلة؛ مدة عشر سنوات. هذه فترة طويلة ليشعر المرء خلالها بالحقد؛ إنه عبء ثقيل". اكتشفت هذا بالطريقة الصعبة، وأدركت ذلك عند استقرار الأمور أخيراً.

"ألم تتزوجي مجدّداً؟". ضحكت عندما سمعت سؤاله وهزّت رأسها.

"لا. كنت متألمة جداً، ومشغولة جداً في عملي وبرفقة ابنتي. أنا سعيدة هكذا. لا أحتاج إلى أكثر من ذلك".

"يحتاج الجميع إلى أكثر من ذلك. أنا أيضاً. لكنني لا أملك الوقت. أنا مشغول جداً في القيام برحلات سياسية إلى تايوان وفيتنام، وإبقاء المواطنين سعداء، وبممارسة اللعبة السياسية في واشنطن. هذا ممتع. لكنه لا يترك لي الوقت للقيام بأشياء أخرى". عرف كلاهما أن هذا غير صحيح أيضاً. هناك الكثير من السيناتورات المتزوجين. لا، بل في الواقع إن معظمهم متزوجون. لسبب ما، إنّه لا يريد الزواج مجدداً هو أيضاً. هذا مشترك بينهما. فهما الاثنان يخافان من شيء ما؛ من الألم أو الالتزام. ولا يملك عذر الزوجة السابقة المزعجة التي تخلت عنه، لأنه قال إنهما صديقان ويتفقان مع بعضهما. إنه بمفرده بملء إرادته. قال في أثناء الغداء إن عمره اثنان وخمسون عاماً. وهو مطلق منذ عشرين عاماً. فهو رجل يحب اللعب كثيراً أو أنه يخاف من الارتباط. وفي كلتا الحالتين، رأت ألكسا أنه صديق جيد.

في النهاية، دفع الفاتورة، وشكرته على الغداء، ثم أوقفت سيارة أجرة للعودة إلى العمل، وودعته أمام المطعم بعد أن أعطته بطاقتها. وتفاجأت حين اتصل بها على هاتفها الخلوي بعد الظهر.

"مرحبا ألكسا أنا إدوارد". يسهل التعرف إلى صوته العميق ولكنته الجنوبية.

"شكراً مجدداً على الغداء. كان ممتعاً".

"استمتعت به أنا أيضاً. خطرت لي فكرة. سوف أتناول العشاء مع زوجتي السابقة وزوجها مساء غد، وتساءلت إذا كنت تودين التعرف إليهما. إنها إنسانة رائعة".

فقالت ألكسا: "أود ذلك كثيراً". أعطته عنوانها، وقال لها إنه سيمر لاصطحابها عند الساعة الثامنة. كانت مذهولة حين أقفل الخط، ولم تعرف حتى ماذا تقول لسافاناه، ولذلك لم تقل أي شيء. في الليلة التالية، ارتدت ثيابها، واختارت بذلة سوداء ترتديها عادة إلى المحكمة.

"لماذا ترتدين ثيابك؟". سألتها سافاناه حين خرجت من غرفتها. وكانت ذاهبة إلى السينما مع أصدقائها.

"سوف أتناول العشاء مع سيناتور وزوجته السابقة". وبدا قول ذلك غريباً.

"ماذا؟ أي سيناتور؟". لا تعرف سافاناه أي سيناتور تعرفه أمها.

"السيناتور إدوارد بالدوين من كارولينا الجنوبية". تذكرت سافاناه أنها سمعت أنه كان في الزفاف، لكنها لم تلتقِ به. تحدثت عنه لويزا كثيراً.

"هل التقيته في الزفاف؟".

"عرّفني والدك إليه. إنه لطيف جداً. وهو مجرد صديق. تابع قضية كانتن على التلفاز".

"مثل كل الناس". نظرت إلى أمها عن كثب حينها. "هل هذا موعد غرامي؟". كانت مذهولة، إذ لم تتفوه أمها بكلمة عن الأمر.

"لا. إنه مجرد صديق". ولم يبدُ أي تعبير على وجهها.

"ولماذا ستتناولان العشاء مع زوجته السابقة؟". بدت سافاناه مشككة، وضحكت أمها.

"إنهما صديقان جيدان". عندئذ، رنّ البواب على الهاتف الداخلي، وقال لها إن هناك سيارة تنتظرها في الأسفل. عندها، قبّلت ألكسا سافاناه، وحملت حقيبتها، وخرجت مسرعة من الباب، فيما وقفت سافاناه وهي تحدّق إليها، ثم أسرعت إلى هاتفها الخلوي. اتصلت بجدتها في نيويورك على الفور، وأجابت موريال بعد أول رنّة.

"مرحبا حبيبتي". عرفت أنها سافاناه. "ما الأمر؟".

"إنذار أحمر. أظن أن أمي قد خرجت في موعد غرامي".

"كيف تعرفين؟ مع من؟". اهتمت موريال على الفور.

"لقد ارتدت ثيابها، وسوف تتناول العشاء مع سيناتور التقته في زفاف ترافيس، ومع زوجته السابقة".

"زوجته السابقة؟". بدا هذا غريباً بالنسبة إليها.

"إنهما صديقان". قالت سافاناه بنبرة تآمرية.

"أي سيناتور؟".

"بالدوين، من كارولينا الجنوبية".

"حسناً، قضي عليّ". قالت موريال ذلك، وانفجرتا في الضحك.

الفصل الحادي والعشرون

كانت السهرة مع إدوارد بالدوين وزوجته السابقة ممتعة، وغير متوقعة، ومجنونة تماماً. تملك هي وزوجها منزلاً كبيراً في فيفث أفنيو، ولديهما ثلاثة أولاد مراهقين ومشاكسين، وزوجها منتج أفلام ناجح. ما إن التقته ألكسا، حتى تعرفت إلى الاسم. وزوجته مؤلفة تحقق الكثير من المبيعات. قالت إنها بدأت الكتابة بعدما تركت إدوارد، لكن ألكسا عرفت أنها نجحت في مهنتها منذ ذلك الحين. التقت زوجها حين اشترى كتابها وأنتج الفيلم قبل ثمانية عشر عاماً. كانا جذابين ومضحكين ومجنونين. كانت سيبيل ترتدي فستاناً فضفاضاً اشترته من المغرب. فيما ارتدى زوجها الجينز وقميصاً أفريقياً. وكانا يملكان أربعة كلاب تتجول في كل مكان، وكلباً سبنيلياً صغيراً، وببغاء يقف على المصطبة قرب غرفة الجلوس. قرأت ألكسا العديد من كتبها. إنها ابنة منتج هوليوودي مشهور. وبدا جلياً أنها هي وزوجها السابق يستلطفان بعضهما كثيراً، وكان إدوارد يتصرف بعفوية مع زوجها، ويعامل أولادها وكأنه عمهم، وهذا بعيد كل البعد عن تصرف لويزا مع سافاناه.

كان هذا أشبه بفيلم سينمائي، لكنه ممتع جداً أيضاً. حضّرا الكركند المسلوق للعشاء فيما نبحت الكلاب، ورن الهاتف، وصدح جهاز "الستيريو"، وجاء أصدقاء الأولاد وخرجوا كما لو أن هناك حفلة تقام في مكان ما. حياتهم كلّهم أشبه بحفلة، وهم يمتّعون أنفسهم. كانت سيبيل أنيقة جداً وأكبر بعشر سنوات تقريباً من ألكسا، فهي في التاسعة والأربعين من عمرها أو في الخمسين تقريباً.

كانت تلك السهرة الأكثر مرحاً وتسلية التي تمضيها ألكسا في حياتها. إذ كانوا يملكون جميعاً حساً كبيراً بالدعابة، حتى الأولاد الذين كانوا ودودين. وكان الببغاء يتفوّه فقط بكلمات من أربعة أحرف.

"لم تكن حيوية هكذا عندما تزوجتها". شرح إدوارد فيما كان يصطحب ألكسا إلى منزلها. "لقد فجر فيها براين شيئاً ما، ونجح الأمر معهما. لكنها كانت مرحة كثيراً حينها. كانت لاعبة مذهلة، ويحالفها الحظ دوماً في ما يتعلق بالنقود. إنها امرأة رائعة فعلاً". ابتسم بحنان فيما قال ذلك.

"هل تشتاق إليها؟". سألت ألكسا بجرأة.

أجاب بصراحة: "أحياناً. لكنني كنت زوجاً كسولاً. في تلك الأيام، أردت السياسة أكثر من الزواج. ولقد استحقت أفضل من ذلك. ونالته مع براين".

"والآن؟ هل ما زلت تريد السياسة أكثر؟". استلطفته، فحياته مثيرة. إنه يمثّل مجموعة من التناقضات الغريبة، الجديد والقديم، الشمال والجنوب. قالت زوجته السابقة إنها تكره الجنوب. وتظن أنه منافق، وقديم الطراز، ومتزمّت. أحبته ألكسا أكثر من ذلك، لكنها فهمت رأيها، في بعض النواحي. تجسد لويزا أسوأ ما في الجنوب. لكن، هناك أشخاص آخرون يشكلون أمثلة ساطعة على كل شيء جيد فيه. وهناك الكثير من الأمور التي أحبتها ألكسا في تشارلستون.

قال إدوارد وهو يجيب عن سؤالها: "لا أعرف. لا تزال السياسة القوة المحركة في حياتي. لكنني لا أريد هذا فقط. في مرحلة ما، أردت ذلك. ولكن، الآن، لا أريد أن أنتهي وحيداً. لكنني لا أريد خوض كل ذلك الهراء مجدداً للزواج من الشخص الصحيح أو الشخص الخطأ. أريد أن أستيقظ وأنا متزوج من المرأة الصحيحة. غير أنني لا أريد بذل أي جهد للوصول إلى هناك، أو المجازفة بارتكاب خطأ. ويعني ذلك أنني سأنتهي وحيداً ربما". ضحك، وبدا أن المشروع لم يزعجه. "أظن أنني كسول".

"أو خائف". قالت بتحدي، وأومأ برأسه ببطء.

اعترف لها: "ربما. وأنت؟".

قالت بصراحة: "كنت مذعورة طوال الأعوام العشرة الماضية".

"والآن؟".

"ربما أصبحت أفضل". لم تكن واثقة.

"لديك سبب وجيه للخوف بعد كل ما فعله زوجك بك. كان ذلك مؤسفاً".

"نعم، صحيح. لم أرغب قطّ في المحاولة مجدداً مع شخص آخر. رأيت أن المخاطرة كبيرة. أظن أنني أشعر بارتياح أكبر الآن. لكنني بقيت مصدومة لوقت طويل".

"العلاقات معقدة جداً". قال بفظاظة، وضحكت.

"أليست هذه الحقيقة؟". ثم تحدثا عن أمور أخرى، إلى أن أوصلها. شكرته، وتصافحا، وانطلقت سيارته الليموزين فيما دخلت إلى مبناها. سوف يعود إلى واشنطن في الصباح.

ومثلما كان متوقعاً، رنّ هاتفه الخلوي فيما أخذته السيارة إلى الفندق. إنها سيبيل، زوجته السابقة.

"إنها مثالية لك. تزوجها على الفور". بدأت سيبيل الكلام، فزمجر بصوت عالٍ.

"عرفت أن هذا سيحصل إذا عرّفتها إليك. اهتمي بشؤونك. لقد تعرفت إليها للتو".

"جيد. امنح نفسك إذاً فترة أسبوعين، ثمّ تقدم للزواج منها. إنها مذهلة". أحبتها سيبيل، وكذلك براين.

"أنت مجنونة، لكنني أحبك". قال بسعادة. كان يحب الصداقة مع سيبيل، أكثر مما أحب زواجهما. فقد كان زواجهما التزاماً بالنسبة إليه أكثر مما أراد حينها. كل ما اهتم به في ذلك الحين كان حياته السياسية. عرفت سيبيل ذلك، ولذلك انسحبت بلباقة قبل أن يأتي براين.

قالــت ســيبيل بحنان: "أنا أحبك أيضاً. شكراً على إحضارها. لكنني أستلطفها فعلاً. إنها ذكية وصريحة ومرحة وجميلة. لن تلتقي امرأة أفضل منها". لقد التقاها هي، لكن هذا كان قبل زمن طويل.

"ســأبلغك كــيف تــسير الأمور". قال بصرامة، من دون أن ينوي إخبارها شيئاً.

"عمت مساء إيدي". قالت فيما وصل هو إلى الفندق.

"عمت مساء سيبيل. بلغي براين تحياتي، وشكراً على العشاء".

"أهــلاً بــك في أي وقت". ثم أغلقت الخط. إنها فعلاً مجنونة، لكنه يحبها.

اتصل إدوارد بألكسا مجدداً قبل أن تسافر إلى أوروبا، وحصل على جدولها هناك. لم يكن واثقاً، لكنه ظن أنهما قد يلتقيان في لندن أو باريس، وقال إنه سيتصل بها في تلك الحالة. إذ يجب عليه الذهاب إلى هونغ كونغ أولاً. بدا أنه يسافر باستمرار.

فــي الــيوم الــذي سبق سفرهما إلى أوروبا، حضرت ألكسا جلسة إصــدار الحكــم في قضية كانتن. لم يعد لوك كانتن يرتدي بذلة، بل كان يــرتدي ملابــس الــسجن، مــثلما فعل في أثناء الاستجواب. بدا منزعجاً وغاضباً، وكان مستاء من محاميته ولامها على الإدانة. أصبح الآن غاضباً من جودي أكثر من ألكسا. تحملت محامية الدفاع كل لومه. وتجاهل ألكسا تماماً؛ الأمر الذي أراحها.

كــان جاك هناك، ولكنّ سام لم يكن حاضراً لأنه مشغول في قضية أخرى.

فعل القاضي ما قاله، وأصدر بحقه أكبر عقوبة ممكنة لكل تهمة، ثم ذكــر العقــوبات كلها بالتسلسل، بحيث وصلت إلى مئة وأربعين عاماً في السجن؛ أي أنها عقوبات تتطلب منه أن يعيش طويلاً لتنفيذها. لن يرى أبداً ضوء النهار مجدداً. قال شيئاً فظاً لمحامية الدفاع العام فيما تم إخراجه من

قاعة المحكمة، ولم ينظر إلى ألكسا. لقد انتهت الحرب. لم يعد يهتم. سوف يتم نقله إلى سجن سنغ سنغ خلال الأيام القليلة المقبلة.

غــادرت ألكــسا قاعة المحكمة مع جاك. جاء بعض أقرباء الضحايا لسماع صدور الحكم، لكن معظمهم لم يأتوا، ولم يكن تشارلي وعائلته هنا. فلقد عادوا جميعاً إلى العمل، وكانوا راضين عن الإدانة. استطاعوا تخمين الباقــي وكــان سيتم إبلاغهم بقرار القاضي لاحقاً. لقد انتهى الأمر بالنسبة إليهم أيضاً. وللأسف، غابت الثماني عشرة ضحية إلى الأبد.

كانــت الــصحافة موجــودة هناك، ولكن ليس مثلما حصل في أثناء المحاكمــة. غــادرت ألكسا قاعة المحكمة حين انتهت الجلسة، وذهبت مع جــاك. كان لوك كانتن مجرد قضية أخرى؛ مجرماً خطيراً توجب عزله. ســتكون هناك قضايا أخرى، وإن كانت أقل أهمية من هذه القضية. كانت قضية لوك كانتن الذروة في مهنتها.

* * *

فــي الــيوم التالي، طارت ألكسا وسافاناه إلى لندن ونزلتا في فندق صــغير تذكره ألكسا منذ فترة شبابها. تناولتا الشاي في كلاريدج، وزارتا برج لندن، وتنزهتا في شارع نيو بوند، وحدّقتا إلى المجوهرات والملابس الأنــيقة. شــاهدتا تغيير الحراس في قصر باكنغهام، وزارتا الاصطبلات الملكــية. فعلــتا كــل الأمــور الممــتعة التي يفعلها السيّاح، وتسوقتا في نايتــسبريدج، وشارع كارنابي، وسوق البرغوث في كوفنت غاردن، حيث اشــترت ســافاناه قميصاً لدايزي. وذهبتا إلى مسرحيات عدة. أمضتا وقتاً رائعاً، وطارتا إلى باريس بعد خمسة أيام.

نــزلتا في فندق صغير على الضفة اليسرى، واستهلتا إقامتهما هناك بتــناول غــداء فــي مقهى في الهواء الطلق، وهما تخططان لجولتهما في المديــنة ومــا يجب فعله أولاً. أرادت ألكسا الذهاب إلى نوتردام، وأرادت ســافاناه القــيام بنزهة في المركب في الباتو موش في نهر السين، والتنزه علــى الأرصــفة. قررتا فعل الأمور الثلاثة معاً، فهما تملكان الوقت للقيام

بذلك بعد ظهر اليوم. في اليوم التالي، زارتا اللوفر وقصر توكيو، ثم عادتا إلــى الفــندق للاستراحة قليلاً قبل العشاء، وحين وصلتا اتصل السيناتور بالــدوين بألكسا هناك. وكان قد وصل إلى باريس للتو وسيبقى في المدينة لمدة يومين في طريقه إلى جنوب فرنسا.

"ما الذي تنويان فعله؟". سألها، فأخبرته عن الأمور التي فعلتاها وعن تلــك التي تنويان فعلها. تأثر بكل ما فعلتاه. "هل أستطيع دعوتكما معاً إلى العشاء الليلة، أم أنكما تخططان للقيام بأمور أخرى؟". سألته ألكسا إذا كان بوسعها التحقق من سافاناه، ثم تتصل به لاحقاً.

"ما رأيك؟". سألتها ألكسا وهي تنقل إليها دعوة بالدوين لهما.

"أظــن أن هذا رائع. لماذا لا تذهبين بمفردك؟". أصبح عمرها ثمانية عــشر عاماً، وتشعر أنها ناضجة وقادرة على التجول بمفردها في باريس خلال الليل.

"لا أريد أن أذهب بمفردي. أنا هنا معك. هل تريدين فعل ذلك أم أن الأمــر مــضجر جداً بالنسبة إليك؟". سافاناه هي الأهم بالنسبة إليها، وهذه رحلــتهما. أرادت ســافاناه لقاءه والتعرف إليه، وبدا الأمر ممتعاً بالنسبة إليها. إنه سيناتور في النهاية. كم سيكون سيئاً؟

اتصلت به ألكسا بعد خمس دقائق، وقالت إنهما قبلتا الدعوة بسرور. كــان يمكــث فــي فندق الريتز، واقترح عليهما الذهاب إلى هناك لتناول العــشاء، بحــيث يستطيعون تناول الطعام في الحديقة. كان الطقس جميلاً ودافــئاً. ودعاهمــا لتناول الطعام في تمام الساعة الثامنة والنصف. وفي الــوقت المحدد، التقته ألكسا وسافاناه في المطعم، وكانت كل منهما ترتدي تنورة وقميصاً أنيقاً، وتنتعل حذاءً عالي الكعب، فيما انسدل شعرهما الأشقر الجميل على ظهريهما. بدتا أشبه بأختين وليستا أماً وابنتها، وقال لهما إنهما تبدوان مثل التوأم.

كــان الفندق جميلاً جداً. فيه ردهة مزخرفة بالمرايا، وأوانٍ عملاقة مليــئة بالأزهار وموزّعة في كل مكان. والحديقة التي أخذهم النادل إليها

كانــت هادئة ومنعشة، وتتوسطها نافورة. وصدحت الموسيقى من المطعم الرئيــسي. إنها طريقة مثالية لتمضية أمسية دافئة في باريس، وبدا إدوارد سعيداً لرؤيته إياهما.

"كــيف كانت هونغ كونغ؟". سألته ألكسا بعدما عرّفته إلى سافاناه التي كانت هادئة على نحو غير اعتيادي. كانت تراقبه وتراقب نظراته إلى أمها. لا شك أبداً في أنها تعجبه، وليست مجرد صديقة. وافقت سافاناه أمها الرأي. فقد بدا لطيفاً، وودوداً، وغير متبجح، ويملك حس دعابة. إنها بداية جيدة.

"كانت رحلتي قصيرة. وهونغ كونغ حارة ومزدحمة. أتشوّق للذهاب إلــى جنوب فرنسا. لم أحصل على عطلة منذ أشهر، وأحتاج إلى واحدة". كــان يعيش حياة فيها الكثير من التوتر، وكذلك هي. خصوصاً بعد قضية كانتن وأربعة أشهر من التحضير المضني.

طلــبوا العشاء، وسأل سافاناه عن مشاريعها للجامعة. تأثر حين علم أنهــا قبلت في جامعة برنستون، وقال إن ابنته في سنتها الأخيرة في كلية لــوس أنجلــوس وتــريد الذهاب إلى كلية طب. وهي لا تريد العودة إلى الشرق، وإنما البقاء في كاليفورنيا، وتأمل في الذهاب إلى ستانفورد.

ابتــسمت له سافاناه. "لن تسمح لي أمي بالذهاب إلى هناك. الجامعة بعــيدة علــى كــلّ حال، ولم يتم قبولي في ستانفورد. كلية لوس أنجلوس رائعة. كان يجدر بي التقدم بطلب إلى هناك أيضاً، لكنني لم أفعل".

تدخلت ألكسا: "ستكون برنستون جيدة، شكراً لك. لا أريدك أن تكوني بعــيدة ثلاثــة آلاف ميل. أربعة أشهر في تشارلستون كانت سيئة بما فيه الكفايــة. اشتقت إليك كثيراً". وابتسم لها السيناتور وكذلك فعلت ابنتها. إنها صادقة في ذلك. "أنت ابنتي الوحيدة".

تحدثــوا عــن الفن والمسرح حينها، وما تريد سافاناه دراسته. كانت أشــبه بأمــسية ممتعة مع صديق قديم، وجيّد مع الأولاد. لقد لاحظت ذلك حــين تناولت العشاء في منزل زوجته السابقة مع أبنائها المراهقين الثلاثة، الذين دخلوا وخرجوا باستمرار، وبدوا مرتاحين مع إدوارد، وكذلك بدا هو

معهـم. أخبـر سـافاناه أنه يجدر بها الذهاب إلى واشنطن وزيارة مجلس الـشيوخ. بدت مهتمة، وقال لها إنها محط ترحيب في أي وقت. كان يملك طـريقة سهلة ومريحة في التعاطي مع الأشخاص، ويملك ذكاء حاداً. وفي نهايـة الأمـسية، شـعرت ألكسا وسافاناه بارتياح كبير معه. رافقهما إلى الخارج بعد العشاء، فوقفوا في ساحة الفاندوم لدقيقة، وتأملوا مدى جمالها. كانت كلها مضاءة ومذهلة مع النصب العمودي في الوسط. ثم صعدتا إلى سـيارة أجرة، وأعطتا السائق عنوان الفندق في الضفة اليسرى. فلوّح لهما إدوارد وعاد مسرعاً إلى الريتز.

"اسـتلطفته". قالـت سـافاناه ذلك فيما كانت السيارة تمرّ أمام جسر الإسكندر الثالث متوجهة إلى الضفة اليسرى.

اعترفت ألكسا: "وأنا أيضاً. إنه مجرد صديق".

تحـدتها سافاناه: "لماذا مجرد صديق؟ لمَ لا يكون أكثر من ذلك؟ لا يمكـنك البقاء بمفردك إلى الأبد. سوف أغادر في شهر أيلول/سبتمبر. ماذا سـتفعلين حيـنها؟". كانت سافاناه جادة، فهي قلقة عليها. وقد حان الوقت لـيكون هناك رجل في حياة أمها مجدداً. لقد مضى وقت طويل جداً على ذلـك، وهـي لا تـزال شابة. لم تبلغ بعد الأربعين، رغم أنها ستفعل ذلك قـريباً. أما إدوارد بالدوين فعمره اثنان وخمسون عاماً، ورأت سافاناه أنه في عمر مناسب لأمها.

تذمرت ألكسا: "توقفي عن محاولة التخلص مني. أنا جيدة هكذا".

"لا، لست كذلك. لن تنتهي عانساً عجوزاً". هددتها سافاناه وضحكت ألكسا.

اتصلت بإدوارد بالدوين في اليوم التالي وشكرته على العشاء. إذ كان سـيغادر في تلك الليلة إلى راماتويل، وقال إنه سيتصل بها حين يعود إلى نـيويورك مجدداً؛ الأمر الذي بدا جيداً بالنسبة إليها. لم تكن واثقة إذا كان سـيفعل ذلك أم لا. فهي ليست قلقة بشأن ذلك، لكنها استمتعت بالسهرتين معه، وبالغداء. وشعرت بالإطراء لأنه دعاها إلى الخروج معه.

أمضت ألكسا وسافاناه بقية الأسبوع في باريس، وهما تستمتعان بكل المناظـر، وقررتا عدم الذهاب إلى جنوب فرنسا، وذهبتا عوضاً عن ذلك إلـى فلورنسا مباشرة، حيث أمضتا ساعات في المتاحف والمعارض الفنية ودور العـبادة. وبعـد ذلك قررتا الذهاب إلى البندقية وفعل الشيء نفسه. أمـضتا خمسة أيام هناك في فندق قديم ومضحك يقع قرب القناة الكبرى. كـان سـاحراً. وعادتا إلى أميركا من ميلانو بعد أن أمضتا ثلاثة أسابيع تقريباً في أوروبا. وشعرت كلتاهما بالحماسة لأن الرحلة كانت مثالية.

وكانـت العـودة إلـى نيويورك وإلى الحياة الحقيقية صعبة. كرهت ألكـسا البدء بالعمل مجدداً. وبعد يومين من وصولهما، سافرت سافاناه إلى تشارلـستون لـرؤية تورنر. مكثت عند جوليان لبضعة أيام، ومن ثم عند والـدها. كانـت تـنوي الـبقاء هناك مدة أسبوعين. كانت لويزا مسافرة، ودايزي في مخيم صيفي لمدة شهر.

وفـي نيويورك، صدمت ألكسا من مدى شعورها بالوحدة في الشقة مـن دون سافاناه. إذ لم تكن لديها محاكمة لإبقائها مشغولة الآن، وكرهت العـودة إلـى الشقة الفارغة ليلاً. كانت أمها وستانلي مسافرين أيضاً، في رحلة إلى مونتانا ووايومينغ.

تناولت العشاء مع جاك وشكت له الأمر.

حذرها: "من الأفضل أن تتدبري شيئاً بسرعة. سوف تغادر ابنتك إلى الجامعة بعد أسبوعين، وينتهي الأمر إلى الأبد".

قالـت ألكـسا بحزن: "شكراً". كانا قد حصلا للتو على قضية سرقة لـيعملا علـيها معاً في ذلك اليوم، ولم تهمهما القضية كثيراً. كانت ألكسا تشعر بالملل في العمل والمنزل.

أصبحت الأمور أفضل وأكثر حيوية مجدداً عندما عادت سافاناه من تشارلـستون. وجاء أصدقاؤها إلى الشقة باستمرار لتوديعها. توجب على ألكـسا وسافاناه شراء بعض الأغراض التي تحتاج إليها سافاناه، وتوضيب كـل ملابـسها المفضلة مجدداً، واحتاجت إلى شراشف ومناشف للجامعة.

استأجرتا عربة مقفلة لوضع كل شيء فيها. ونجحتا في توضيب كل شيء بحلول الأول من أيلول/سبتمبر. وفي ليلتها الأخيرة في نيويورك، تناولتا العشاء مع جدتها وستانلي. وكانا قد عادا للتو من موز في وايومينغ. كان كل منهما ينتعل زوجاً من جزمات رعاة البقر، ويرتدي سروال جينز وقميص رعاة البقر، فضحكت سافاناه وقالت لهما إنهما يبدوان ظريفين.

تناولوا العشاء في بالثازار في الفيلاج، الذي أحبته سافاناه، ووعدتها جدتها بالذهاب لزيارتها في برنستون قريباً. فهي على مسافة ساعة ونصف الساعة فقط. وقال طوم وترايفيس إنهما سيذهبان لزيارتها أيضاً في تشرين الأول/أكتوبر.

تلك الليلة، فيما استلقت ألكسا في السرير، كانت تفكر في أنه يصعب التصديق بأن كل شيء قد انتهى. فبعد كل تلك السنوات من عيشهما معاً، واهتمامها بها، ها هي الآن ترحل. شعرت ألكسا بالإحباط، وعرفت أن الأمور لن تعود أبداً إلى حالها مجدداً. سوف تأتي سافاناه الآن إلى المنزل للزيارة، ولكن ليس للعيش معها مجدداً، إلا في الصيف. بدا هذا وقتاً طويلاً جداً بالنسبة إليها الآن. لقد انتهت المرحلة الفضلى في حياتيهما، أو هكذا يبدو.

في اليوم التالي، استأجرت ألكسا عربة مقفلة لنقل الأغراض إلى برنستون. أخذت سافاناه معها دراجة نارية، وجهاز الحاسوب الخاص بها، وجهاز "ستيريو" صغيراً، ووسادات، وشراشف، وصوراً فوتوغرافية موضوعة في أطر، وكل الأشياء التي تحتاج إليها في الجامعة. تحدثت سافاناه مطولاً إلى الصديقة التي ستعيش معها في الغرفة نفسها، وبدأتا تحضران الخطط. كانت سافاناه متحمسة، واتصلت بتورنر أربع مرات خلال الرحلة التي استمرت تسعين دقيقة. وكان تورنر قد وصل إلى ديوك في اليوم السابق، ويعيش مع ثلاثة رفاق له في جناح كبير. أما سافاناه فتملك رفيقة واحدة فقط في الغرفة في برنستون، الأمر الذي بدا حضارياً جداً بالنسبة إليه. اتفقا على أن يزورها في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة، وكانت سافاناه متحمسة.

امتلكت سافاناه خريطة للجامعة استخدمتها لإخبار أمها إلى أين يجب أن تذهب عند الوصول إلى برنستون. وتوجب عليهما ترك العربة المقفلة في مرأب السيارات. واستخدمت سافاناه مبنى ناسو؛ أقدم مبنى في الجامعة، وبرج كليفلاند وراءه، ليكونا المعلمين الرئيسين اللذين باستطاعتهما الاستعانة بهما. كانت غرفتها في مبنى باتلر، وعثرتا عليه بعد المشي لبضع دقائق، وسؤال الناس عن مكانه. كانت غرفتها في الطابق الثاني. واحتاجتا إلى ساعتين لتوضيب كل شيء في غرفتها. كان لا يزال يتوجب عليهما تركيب "الستيريو" وجهاز الحاسوب، لكن كل الأمور الأخرى وضعت في مكانها، وكان أهل رفيقتها يفعلون الشيء نفسه أيضاً. وساعد والد صديقة سافاناه ألكسا في تركيب جهاز الحاسوب. وسوف تتشارك الفتاتان جهاز "مايكروايف" وبراداً صغيراً استأجرتاهما، ووضعتاهما في الغرفة. تملك كل فتاة خطاً هاتفياً، وسريراً، ومكتباً، وكرسياً، ومجموعة من الأدراج. كانت مساحة الخزانة صغيرة جداً، وفيما كانت ألكسا تقحم كل شيء داخلها، خرجت الفتاتان إلى الردهة للقاء سائر الطلاب. بعد ساعة، انخرطت سافاناه في حياتها الجديدة، وقالت لأمها إنه بوسعها الذهاب.

"ألا تريدين أن أعلّق لك ملابسك؟". سألت ألكسا وهي تبدو خائبة الأمل. وكانت قد رتّبت السرير للتو. أحضرتا بعض الوجبات الخفيفة أيضاً، ورأت أنه يجب شراء المزيد من الأغراض. إلا أن سافاناه باتت متشوقة الآن للمضي قدماً والتعرف إلى سائر الطلاب في الجامعة. بدأت حياتها الجديدة للتو.

"لا أمي. سأكون بخير". وفعلت الفتاة الأخرى الشيء نفسه مع أهلها. "فعلاً، يمكنك الذهاب". كانت طريقة مهذبة للطلب إليها أن ترحل. عانقتها ألكسا لدقيقة، وكبحت دموعها.

"اهتمي بنفسك... اتصلي بي...".

"سأفعل. أعدك". قالت سافاناه ذلك، ثم قبّلتها. وابتسمت ألكسا بشجاعة وهي تغادر. لكن الدموع كانت تنهمر على وجنتيها حين وصلت إلى مرأب

السيارات، ولم تكن الأم الوحيدة التي تبكي. من المؤلم تركها هناك. فالأمر أشبه بإطلاق سراح عصفور ومنحه حريته بعد تربيته والاهتمام به طوال ثمانية عشر عاماً. هل الجناحان قويان كفاية؟ هل تذكر كيف تطير؟ هل ستطعم نفسها؟ سافاناه جاهزة لذلك، لكن ألكسا ليست جاهزة. دخلت إلى العربة المقفلة وأدارتها، وبكت طوال طريق عودتها إلى المنزل. إنه الفصل الأخير لحبل السرّة وشعرت أنه أسوأ يوم في حياتها.

الفصل الثاني والعشرون

في اليوم التالي، شعرت ألكسا حين كانت ترتدي ثيابها للذهاب إلى العمل وكأنّ شخصاً عزيزاً عليها قد مات. رنّ هاتفها الخلوي مباشرة قبل أن تغادر الشقة، وظنت أنها سافاناه. وكانت قد أجبرت نفسها على عدم الاتصال بها في الليلة الفائتة. لم يظهر رقم المتصل على هاتفها الخلوي، وحين أجابت كان سام لورانس، وليس سافاناه. لم تتحدث إليه منذ شهر تموز/يوليو وسرّت باتصاله.

قالت بسرور: "هذه مفاجأة. كيف حالك؟".

"جيد". بدا مشغولاً وبمعنويات جيدة. "هل بإمكانك أن تتناولي الغداء معي اليوم؟". ولكنها لم تكن في مزاج جيد.

"لكي أكون صريحة معك، أشعر باليأس. غادرت ابنتي إلى الجامعة البارحة. أشعر وكأن حياتي قد انتهت. أصبحت فجأة وحيدة. أكره ذلك. ما رأيك في أن نتناول الغداء معاً في الأسبوع المقبل؟ سأكون في مزاج أفضل". لم تكن تريد رؤية أحد الآن. إنها تندب طفولة سافاناه، وهذه خسارة كبيرة لها.

"فلنتناول الغداء اليوم على كل حال. أستطيع رفع معنوياتك". أملت ألا يكون ذلك موعداً غرامياً من نوع ما، لأنها ليست أبداً في مزاج لذلك، وهما زميلان في العمل، وهذا كل ما تريده منه. حاولت التهرب مجدداً من الغداء، لكنه لم يسمح لها.

"حسناً، سألاقيك في المطعم في الشارع المقابل. قد يقتلني الطعام ولا أضطر إلى الشعور بالاكتئاب الذي أشعر به بعد الآن".

"سوف تشعرين بالتحسن بعد أسبوعين. كنت بخير حين كانت في تشارلستون في أثناء المحاكمة".

"لا، لم أكن كذلك. اشتقت إليها بجنون. لكنني كنت مشغولة. والآن، لا أملك الكثير من القضايا". لم يعلّق، لكنهما اتفقا على اللقاء عند الساعة الثانية عشرة والنصف.

كان هناك حين وصلت، ولاحظ أنها تبدو تعيسة. كان شعرها مربوطاً إلى الخلف في جديلة غير مرتبة، ولم تكن تضع مستحضرات التجميل، وارتدت الجينز إلى العمل. بدت وكأنها تتعافى من مرض ما. إنها مشتاقة إلى ابنتها.

تحدث إليها سام قليلاً لبضع دقائق، وعلقا على مدى سوء الطعام، ثم ابتسم لها. "لديّ شيء ربما يفرحك". قال بتفاؤل، وأمل ألاّ يكون قد ارتكب خطأ بلقائها وهي في مثل هذه المعنويات. قال بغموض: "لديّ اقتراح لك". فنظرت إليه بفضول وشك.

"أي نوع من الاقتراحات؟".

أخذ نفساً وقال: "وظيفة".

قطبت في وجهه. "أي نوع من الوظائف؟ قضية؟". ثم ضحكت. "أنتم الرجال لديكم قضية وتحتاجون إلى مساعدتي فيها. هذا إطراء فعلاً". تأثرت كثيراً لأن مكتب التحقيقات الفدرالي يريد منها المساعدة، لكنهم تعاونوا جيداً في قضية كانتن.

ابتسم لها: "لم أقل قضية ألكسا، بل قلت وظيفة. نريد أن نعرض عليك وظيفة في مكتب المستشار العام لمكتب التحقيقات الفدرالي. إنها وظيفة مكتبية، وليست ميدانية، ولذلك لن تطلقي النار على الرجال السيئين. تعرفين ما الذي يقوم به هذا المكتب. لقد لاحقونا عن كثب في قضية كانتن. الآن، سوف تصبحين أنت من يزعج الجميع، ويراقب كل شيء، أو يأخذ القضايا ويرفض ما يريده. سوف يقدمون إليك عرضاً رسمياً، لكنني أردت التحدث إليك في البداية. أردت حصول ذلك منذ أن

عملنا معاً في قضية كانتن. أظن أنك نجحت في مكتب النائب العام. قد تكون هذه نقلة مهنية نوعية بالنسبة إليك. المنافع كبيرة، والوظيفة ممتازة. إنه مكتب التحقيقات الفدرالي". لم تفكر قطّ في ذلك من قبل؛ ولو مرة واحدة. افترضت أنها ستبقى في مكتب النائب العام إلى أن تتقاعد.

"هنا؟ في نيويورك؟". سألت وهي تبدو مذهولة. إنها بلا شك وظيفة مهمة، وإطراء كبير لها.

قال سام مستغرباً: "لا. في واشنطن العاصمة. لكن ابنتك ذهبت ألكسا. وحسبما أعلم، لا يوجد رجل في حياتك. فلمَ لا تذهبين إلى واشنطن العاصمة؟".

"أمي هنا". قالت وهي تبدو شاردة الذهن ومرتبكة. هذا كثير لاستيعابه كله دفعة واحدة. وظيفة جديدة، مدينة جديدة، حياة جديدة.

"نيويورك على مسافة ثلاث ساعات بالقطار. ليست مسألة مهمة. بالله عليك، ليست فنزويلا".

"لا. ماذا عن المال؟ هل هو أفضل مما أجنيه الآن؟".

ابتسم لها. "نعم. لا يمكنك الخسارة في هذا الجانب. وإذا لم يعجبك، يمكنك دوماً العودة إلى هنا. لكنك لن تفعلي ذلك. فلقد انتهى الأمر بالنسبة إليك هنا. استنفدت كل شيء، وأنت تعرفين ذلك". راودها هذا الإحساس قبل قضية كانتن، ثم عادت الحيوية إليها قليلاً لبعض الوقت. عليها الآن العودة إلى السرقات وقضايا المخدرات والجرائم الصغيرة. اشتاقت إلى العمل بشيء أكثر أهمية. "هلاّ فكرت في الأمر؟".

"نعم". أومأت برأسها وهي تبتسم وتشعر باكتئاب أقل مما كانت قبل ساعة. كانت خائفة وإنما متحمسة. "ظننت أنك ستطلب مني موعداً غرامياً". ضحكت حينها.

ابتسم لها ابتسامة عريضة. "أستطيع فعل ذلك أيضاً. ولكنني لا أظن أنك ستوافقين على الخروج معي إذا طلبت ذلك، وإلا لكنت فعلت".

"لن أخرج معك. لا أخرج مع رجال أعمل معهم. فعلت ذلك مرة. كان الأمر غباء وفوضى، ولذلك توقفت".

"تصورت ذلك". لقد عرف ذلك من التلميحات التي قالتها حين عملا معاً، وأدرك أنها مهتمة فقط ببقائهما صديقين. ولاحظ أنها تعامل جاك بهذه الطريقة أيضاً. "اقبلي فقط بالوظيفة. إنهم يريدونك، وسوف تحبين ذلك. أنت بحاجة إلى شيء جديد في حياتك، وإلى رجل أيضاً".

هزّت كتفها. "تبدو مثل أمي. وابنتي".

"ربما يجدر بك الإصغاء إليهما". ضحكت مجدداً، وأمضيا الفترة المتبقية وهما يتحدثان عن مكتب المستشار العام في مكتب التحقيقات الفدرالي.

قدموا لها عرضاً رسمياً بعد يومين. بدت الوظيفة ممتعة، والفوائد رائعة، والمال مذهلاً بحيث يصعب الرفض. شعرت بالذنب لترك مكتب النائب العام، فهي تعمل فيه منذ تخرجها من كلية الحقوق قبل سبع سنوات، وكان العمل جيداً بالنسبة إليها. وأحبت جو ماكارثي. تكره تركهم، لكنهم ليسوا فعلاً بحاجة إليها.

وكما هي الحال دوماً، حين تجد نفسها أمام قرار صعب، ذهبت إلى مكتب أمها في نهاية اليوم وبدت مضطربة.

سألتها أمها: "هل كل شيء بخير؟ هل سافاناه بخير؟".

أجابت ألكسا: "إنها سعيدة. سبب إضرابي هو مهنتي".

"هل طردوك؟". بدت أمها مصدومة. فلقد أنجزت عملاً رائعاً جداً في قضية كانتن. كيف يمكنهم طردها؟ لكن ألكسا هزّت رأسها.

"تلقيت عرضاً. من مكتب التحقيقات الفدرالي". اتسعت عينا أمها.

"هذا رائع. هل ستقبلين به؟".

"لا أعرف. المال جيد، وأحببت الوظيفة. سيكون مكتب التحقيقات الفدرالي ممتعاً أكثر من مكتب النائب العام في هذه المرحلة". ثم تنهدت. "لكنه في واشنطن. ما رأيك في ذلك؟". سألت أمها بصراحة، وفكرت موريال في الأمر.

"هذا سؤال مثير. شكراً لأنك سألتني". قدّرت العلاقة التي تربطها بابنتها واحترام ألكسا لها. "لا أريدك أن ترفضي وظيفة من أجلي". ابتسمت لها أمها. "لست عجوزاً جداً. فأنا ما زلت أعمل ومشغولة. إنه مثل ذهاب سافاناه إلى الجامعة. عليك المضي قدماً، وترك أولادك يمضون قدماً عندما يفترض بهم القيام بذلك. واجهت ذلك حين تزوجت من طوم وانتقلت إلى تشارلستون. وواشنطن ليست بعيدة جداً. سوف أشتاق إليك، لكنني أستطيع زيارتك وأنت أيضاً. ما رأيك في واشنطن؟ إنها أكثر أهمية. ليس لديك الكثير من الأمور هنا. لم تكن السنوات التي أمضيتها هنا سعيدة. وأظن أنك ستشعرين في النهاية بالضجر من الوظيفة التي لديك الآن".

اعترفت ألكسا: "بدأت أضجر. أصبحت الأمور سخيفة بعد قضية كانتن، وكانت هكذا قبلاً".

"ربما تحتاجين إلى تغيير. ومع رحيل سافاناه، يُعتبر هذا الوقت جيداً للقيام بذلك". ثم ابتسمت لها. "قد تلتقين رجلاً ما في واشنطن العاصمة".

"لست قلقة بشأن ذلك. أنا أفكر فيك وفي سافاناه".

"لقد ذهبَتْ سافاناه، وأنا بخير. وتستطيع سافاناه زيارتك في واشنطن. وإذا أرادت المجيء إلى نيويورك، يمكنها المكوث عندي. أظن أنه يجدر بك القبول". كانت غير أنانية وصادقة بالرغم من إدراكها أنها ستشتاق إليها.

"وأنا أيضاً. أظن أنه يجدر بي القبول. هل أنت واثقة بأنك ستكونين بخير؟".

"نعم". ثم تنهدت أمها أيضاً. "يتوسّل إليّ ستانلي لنعيش مع بعضنا. لا أريد أن نتزوج، لكنه يرى أنه مع تقدمنا في العمر، لا يجدر بأي منا أن يعيش بمفرده، ويريد أن نعيش معاً، في بيته أو بيتي". احتاج إلى سبعة عشر عاماً لطلب ذلك منها، وكانت موريال سعيدة بالأمور كما هي الآن.

"ماذا تريدين أنتِ أمي؟ لا تهتمي أبداً بما يريده هو".

"أظن أنني أحببت الفكرة. خشيت ألا توافقي". وابتسمت لابنتها، وهي تبدو محرجة قليلاً.

"أظن أنه محق. وأنا أوافق. أنا قلقة عليك أيضاً. هل اتفقنا؟". ابتسمت ألكسا ابتسامة عريضة لأمها.

"ربمـا، أريـد التفكيـر فـي الأمـر قلـيلاً. لا أريد استعجال أي شيء".

ضحكت ألكسا بصوت عال. "منذ متى تتواعدان؟".

"أظن أننا نتواعد منذ سبعة عشر عاماً. ويقول ستانلي إننا نتواعد منذ ثمانية عشر عاماً".

"في كلتا الحالتين، لا أظن أنك تستعجلين".

"سـوف أفعـل ذلك ربما. أفضل أن ينتقل هو للعيش معي. لا أريد التخلـي عن شقتي، ولا أحب ذلك. وهو يقول إنه لا يعارض الفكرة. ربما بعـد الكريـسماس. عليّ فعل الكثير من الأمور قبل ذلك. ماذا عنك؟ هل تظنين أنك ستقبلين؟". أومأت ألكسا برأسها.

"نعـم. أظن ذلك. شكراً أمي". انحنت وقبّلتها، وخرجتا معاً من قاعة المحكمة.

تلك الليلة، فكرت ألكسا في الأمر، واتصلت بسافاناه التي كانت تنجز فروضـها المنـزلية. وحين أخبرتها ألكسا عن العرض، تفاجأت وتأثرت. رأت أن الانـتقال إلى واشنطن سيكون ممتعاً وجيداً لأمها، ووافقت جدتها الـرأي، قائلـة إنها تستطيع المكوث عندها في نيويورك إذا أرادت رؤية أصدقائها هناك. إنها مرحلة انتقالية بالنسبة إليهم جميعاً.

"التغييـر شـيء جـيد، مامـا. بالمناسـبة، هل سمعت أخباراً من السيناتور؟". استلطفته سافاناه، وكذلك ألكسا.

"أظـن أنـه سيبقى في أوروبا حتى منتصف آب/أغسطس أو أواخر ذلك الشهر. إنه مشغول ربما". لكن، على كلّ حال، أعطت سافاناه موافقتها على العرض، وشكرت أمها على سؤالها أيضاً.

وفـي الـيوم التالي، أبلغت ألكسا جو ماكارثي. شعرت بالخجل من ذلـك، لكـنه قال إنه يتفهمها. قال إنه تصور حصول ذلك عاجلاً أم آجلاً،

وافتـرض دوماً أنها ستذهب للعمل في شركة قانونية كبيرة. ولم يفكر قطّ في شيء مثل مكتب التحقيقات الفدرالي.

عانقها وقال لها: "جيد لهم أن يوظفوك. متى ستتركيننا؟".

"هل يبدو لك إنذار الشهر مقبولاً؟".

"جدّاً. يمنحني ذلك وقتاً كافياً لأسلّم قضاياك إلى أشخاص آخرين".

فكـرت حيـنها فـي شيء أرادت أن تشكره عليه. "شكراً لك لأنك سـمحت لـي أن أسـتلم قـضية كانتن، ولم تسلّمها إلى مكتب التحقيقات الفدرالي".

مازحها: "ربما ما كان يجدر بي فعل ذلك. فعندها، ما كانوا ليعرضوا عليك الوظيفة". ثم عانقها مجدداً. "أنا سعيد من أجلك. أظن أنها نقلة مهنية نوعية لك. أكره كثيراً خسارتك، لكنني أوافق".

"شكراً لك".

انتـشر خبر رحيلها في المكتب بسرعة البرق. وعند الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر كان جاك يحدق إليها أمام مكتبها.

قال بانزعاج: "ما هذا؟".

قالت باعتذار: "أنا آسفة جاك. قدموا لي عرضاً لا أستطيع رفضه".

"سـيكون الجـو مقرفاً هنا من دونك". قال بتعاسة وخرج من مكتبها مجدداً، وهو يشعر بالاكتئاب ولا يستطيع التحدّث عن الأمر أكثر.

كانـت تفكر في كل ما يجدر بها فعله – العثور على شقة، فسخ عقد الإيجـار فـي هـذه الشقة، الانتقال، بدء مهنة جديدة، تسليم قضاياها إلى أشـخاص آخـرين هنا – حين اتصل بها إدوارد بالدوين مباشرة قبل أن تغادر المكتب.

"هـل أسـتطيع الـتحدث إليك ونحن نتناول طبق برغر في الدقيقة الأخيـرة؟ أنا في المدينة الليلة. آسف لأنني لم أتصل بك منذ عودتي. كنت أواجـه أربعمـئة صـداع، وتوجب عليّ تمضية أسبوع في تشارلستون. بالمناسبة، كيف حال سافاناه في برنستون؟".

"إنهـــا تحبها". ابتسمت ألكسا. بدا مليئاً بالحياة، ومشغولاً وكأنه يسير في مئتي اتجاه. والآن، جاء دورها. "ويبدو البرغر رائعاً. أين ألقاك؟".

"أنـــا على مسافة مبنيين من مكتبك. لماذا لا أصطحبك ونتفق عندها على مكان ما؟".

"يبدو هذا جيداً".

نـــزلت إلى الأسفل بعد خمس دقائق، وكان هو في سيارته. فتح لها الـــباب فـــصعدت إلى السيارة، وتوجها إلى فندقه لشرب شيء ما، وتناول البرغر لاحقاً.

سألها: "كيف كانت بقية رحلتك؟".

"رائعة. وأنت؟".

"مثالـــية". ابتسم فيما قال ذلك. "فكرت فيك كثيراً. أردت الاتصال بك لكننـــي لـــم أفعـــل. بالمناسبة، رأيت زوجك في تشارلستون في الأسبوع الماضي. عليّ الاعتراف بأنه بدا تعيساً. أعرف لماذا، كانت زوجته معه، وبدا وكأنها تهينه كل صباح ومساء. عليّ القول إن القدر بات عادلاً معه".

"ربما". قالت ذلك مبتسمة لأنها لم تعد تشعر أن الأمر يعنيها.

أخبـــرته فـــي أثناء تناول البرغر عن انتقالها الوشيك إلى واشنطن، وعن ذهابها للعمل مع مكتب التحقيقات الفدرالي، وبدا مذهولاً.

"حقاً؟ هذا تغيير كبير. كم أنت شجاعة".

"تـــصورت أن الوقت مناسب الآن للقيام بذلك بعد مغادرة سافاناه إلى الجامعة. ربما ما كنت لأوافق قبل ذلك". لكنها قامت بالعديد من الخطوات الجـــريئة أخيراً. فلقد تركت سافاناه تذهب إلى تشارلستون، وزارت المكان بنفسها، ودفنت كراهيتها لطوم، وهي الآن تغير الوظيفة والمدينة. لقد حان وقت نضوجها أيضاً. "عليّ الشروع في البحث عن شقة قريباً".

"ســـوف أساعدك". قال مع ابتسامة عريضة. "متى تبدأين العمل مع مكـــتب التحقيقات الفدرالي؟". أحب ذلك كثيراً. فهو يكون في واشنطن في معظـــم الأوقات. أراد رؤيتها، حتى لو كانت تعيش في نيويورك، لكن هذا

ســـيجعل الأمـــور أسهل عليه، وسيمنحهما المزيد من الوقت للتعرف إلى بعضهما.

"ســـأبدأ فـــي الأول من تشرين الثاني/نوفمبر. وعليّ فعل الكثير من الأمور قبل ذلك الحين".

"لمـــاذا لا تأتين في عطلة نهاية الأسبوع هذه لتبدإي البحث؟". فكرت فـــي ذلـــك. لـــيس لـــديها شـــيء آخر للقيام به. نظرت إليه عبر الطاولة وابتسمت.

"حسناً".

"يمكنـــنا البحث عن شقق طوال عطلة نهاية الأسبوع". بدا ذلك مثل خطة بالنسبة إليها.

الفصل الثالث والعشرون

تركت ألكسا مكتب النائب العام مثلما كان مقرراً في الأول من شهر تشرين الثاني/نوفمبر. كان يوماً مراً وحلواً بالنسبة إليها، وأقام لها جو ماكارثي حفل عشاء قبل أن تغادر. وقدموا لها لوحة تذكارية والكثير من الهدايا السخيفة والمضحكة.

سوف تغادر إلى واشنطن في اليوم التالي، عبر برنستون. أجّلت بدء العمل مع مكتب التحقيقات الفدرالي أسبوعاً لتمنح نفسها الوقت الكافي للانتقال إلى المنزل الجديد. يفترض أن يصل أثاثها إلى واشنطن بعد يومين. مكثت في شقة أمها خلال الأسبوع الماضي، وكان الأمر ممتعاً. واتصل بها إدوارد عدة مرات في اليوم لتقديم المشروعات والدعوات. دعاها لتناول العشاء معه في البيت الأبيض بعد أسبوعين.

أرادت زيارة سافاناه في برنستون في طريقها. حين وصلت ألكسا إلى هناك، بدت سافاناه مشغولة وسعيدة. كان لديها الكثير من الأصدقاء، وسوف يأتي تورنر من ديوك مجدداً في عطلة نهاية الأسبوع. أصبحت حياة سافاناه الجديدة مزدحمة. يتوجب الآن على ألكسا الانهماك في حياتها.

توجهت إلى واشنطن حاملة معها آخر أغراضها. وحين وصلت إلى هناك، التقاها إدوارد في المنزل الصغير جداً الذي استأجرته في جورج تاون بدلاً من الشقة. بدا مثل منزل الدمى. لقد ساعدها على العثور عليه، وعرفت أن سافاناه ستحبه. الطابق العلوي ممتاز لها. وفيه كل المساحة التي تحتاج إليها ألكسا. إنه قرب شقة إدوارد الواسعة والعصرية والملائمة له. ساعدها على إفراغ حمولة سيارتها، ودخلا معاً المنزل الفارغ. أحبته. إنه تغيير

جديد في الحياة؛ مدينة جديدة، منزل جديد، مهنة جديدة، وربما رجل جديد. ليست واثقة بعد. إلا أن التغييرات الأخرى أنستها الألم الذي شعرت به لدى مغادرة سافاناه إلى الجامعة. انتقلتا إلى حياة جديدة، وكانت ألكسا متحمسة جداً لحياتها الجديدة، مثلما كانت سافاناه متحمسة لحياتها في برنستون.

دعاها إدوارد إلى العشاء في سيترونيلا تلك الليلة، ورافقها بعد ذلك إلى فندقها. سوف تمكث هناك لليلة واحدة فقط، وقبّلها قبل أن يغادر. كانت المرة الأولى التي يقبّلها فيها وتفاجأ كلاهما. إلا أنها أحبت ذلك كثيراً، وكذلك هو.

جاء لرؤيتها في المنزل حين وصلت أغراضها في اليوم التالي. وبقي حتى منتصف الليل، وساعدها على إفراغ العلب. عثرت على البياضات وساعدها على ترتيب السرير. كان يخبرها قصصاً سخيفة ونكاتاً مضحكة. وكانا يضحكان حين استلقيا على السرير مرهقين، ونظرا إلى بعضهما، وهما لا يزالان يضحكان. كان رجلاً لطيفاً، وجيداً معها، ويجعلها سعيدة. وأذهلها ما قاله لها.

"أظن أنني أقع في غرامك ألكسا. هل أنت موافقة على ذلك؟". عرف كم تألمت بشدة قبلاً، ولم يكن يريد إزعاجها، أو فعل ما لا تريده، أو التحرك بسرعة كبيرة.

قالت بهدوء: "أظن ذلك. أظن أنني أقع في غرامك أنا أيضاً". أخافها قول ذلك، لكنها شعرت بالراحة، وكان هذا صحيحاً. إنها مجنونة به، بطريقة لم تعرفها منذ عشرين عاماً. بدا ملائماً جداً لها. وهي تثق به تماماً.

"سيكون هذا جيداً لنا نحن الاثنين". قال ذلك، ووضع ذراعيه حولها وشدّها ليقربها منه. بات كل شيء في مكانه الصحيح. حياتها الجديدة في واشنطن تعطيهما كل الوقت الذي يحتاجان إليه.

"هل تودّ البقاء هنا الليلة؟". سألته، وتفاجأ كلاهما مجدداً. تصبح حياتها أكثر جنوناً كل دقيقة. تبدو مخيفة وإنما رائعة في الوقت نفسه. هذا مثير جداً وكذلك هو.

"أود ذلك". ابتسم لها وأمسكها بين ذراعيه. وبعد قليل، استحمت واستلقت على السرير، فوق الشراشف النظيفة، فيما فعل هو الشيء نفسه، وجاء إلى السرير بعد دقائق قليلة. وبدأ عالم جديد تماماً بالنسبة إليهما في تلك الليلة. عالم لم يظن أي منهما أنه سيعثر عليه مجدداً، أو حتى يريده. بدا الأمر أعجوبة بالنسبة إليهما معاً.

أمضت ألكسا بقية الأسبوع وهي تنظم المنزل، وكان إدوارد يأتي لزيارتها كلما سمح له الوقت بذلك. كان يبقى عندها كل ليلة. لم يخبرا أحداً بما يجري. قررا إبقاء الأمر سراً بينهما إلى أن يتأكدا. فربما لن تدوم العلاقة، ولكنها رائعة في الوقت الحاضر. لا تحتاج ألكسا إلى أكثر من ذلك.

بدأت مهنتها الجديدة وأحبتها. كانت كل ما تمنته وأكثر. أحبت الحماسة والفخامة في العمل مع مكتب التحقيقات الفدرالي. وفي الأسبوع التالي، اصطحبها إدوارد إلى عشاء المنزل الأبيض الذي كان مدعواً إليه. تم تصويرهما بكاميرات الأخبار، وشكلا ثنائياً جميلاً. كان العشاء على شرف رئيس فرنسا. وفي اليوم التالي، عرضت وسائل الإعلام شريطاً يظهر أن السيناتور ذهب إلى عشاء البيت الأبيض برفقة امرأة جميلة جداً.

وصودف أن طوم ولويزا كانا يشاهدان الأخبار معاً حين ذكر الخبر. ولأنه سيناتور كارولينا الجنوبية، فقد عرضوا الشريط مرات عدة في تشارلستون. قفزت لويزا عن مقعدها مثل الصاروخ حين رأته، ووقفت في غرفة الجلوس وهي تبدو مستاءة.

"تلك السّاقطة! هل رأيت ذلك؟". حدقت بغضب إلى طوم.

لم يرَ طوم شيئاً. كان ينظر بعيداً وفوّت عرض الشريط. "عمّن تتحدثين؟ السيدة الأولى أو زوجة الرئيس الفرنسي؟".

"طبعاً لا! ألكسا! هل رأيت إدوارد بالدوين وهو يذهب إلى عشاء البيت الأبيض برفقتها؟ كانت ألكسا معه!".

"ألكسا؟ ألكسا خاصتنا؟". بدا طوم مذهولاً.

"ألكسا السابقة خاصتك، شكراً. كانت موعده الغرامي! لا بد من أنها اصطادته في الزفاف". شعرت لويزا بالإهانة.

"لم تصطده. أنا عرّفتهما إلى بعضهما". بدا منهاراً بقدر ما بدت لويزا محتدّة.

"ولماذا فعلت شيئاً كهذا؟". لامته لويزا.

"لأننا ارتطمنا به فيما كنا نرقص، ولذلك قمت بتعريفهما إلى بعضهما". وهو الآن نادم كثيراً على ذلك. لقد خسرها، لكنه لم يشأ تعريفها إلى الرجل التالي في حياتها. أحب معرفة أنها وحيدة.

"إنها ساقطة". قالت لويزا ذلك، وأطفأت جهاز التلفاز.

قال طوم بحزن: "لا، ليست كذلك. أنت كنتِ كذلك وأنا أيضاً. أمّا هي فليست ساقطة. ولن تفعل أبداً ما فعلناه نحن. لم تشأ أن تكون على علاقة بي الآن لأنني متزوج، أو حتى لو لم أكن متزوجاً. نحن الساقطان لويزا، وليس هي. لقد نمت مع زوج امرأة أخرى وأنا خنت زوجتي. ليس هذا جميلاً، صح؟".

"لا أعرف عما تتحدث". بدت مستاءة جداً.

"بلى، تعرفين وأنا أعرف. لذا، فإنها تستحق ربما السيناتور الجيد في النهاية". لم تتفوه لويزا بأي كلمة وغادرت الغرفة. شعرت بغضب أكبر لأن إدوارد بالدوين اصطحب ألكسا إلى البيت الأبيض. فهي لا تستحق أي شيء من هذا النوع.

وبعدما تركت لويزا الغرفة، جلس طوم وحيداً، وهو يحدق إلى شاشة التلفاز، مدركاً كم تستحق ألكسا السعادة. إنها تستحق كل شيء جيد يحصل في حياتها الآن، للتعويض عما فعله بها. وفيما فكر فيها وفي إدوارد بالدوين، انهمرت دمعتان على وجنتيه.

"ماذا ستفعلين في مناسبة الشكر؟". سأل إدوارد ألكسا في عطلة نهاية الأسبوع التي تلت عشاءهما في البيت الأبيض. كانت مناسبة الشكر بعد أسبوعين، وبدت متفاجئة.

"لم أفكر في الأمر. كنت مشغولة جداً في تنظيم أموري هنا. نقيم حفلة عادة في منزلي، فقط أنا وسافاناه، وأمي وصديقها ستانلي. لكنني لا أعرف إذا كانوا يريدون المجيء إلى هنا. من الأفضل أن أتصل بها وبسافاناه. لماذا؟ ماذا يخطر في بالك؟". انحنت وقبّلته. كانا في السرير، فيما كانت صحيفة يوم الأحد مبعثرة فوق السرير والأرض. وكان هناك فنجان قهوة على المنضدة الموجودة إلى جانب السرير. أحبت حياتهما معاً، وكذلك هو. إنها حياة مريحة وسهلة وحميمة وسعيدة. وهو شخص حنون وعطوف ولطيف مثلما أملت. ورأى هو أن ألكسا مثالية بقدر ما قالت زوجته السابقة.

"أذهب عادة إلى منزل سيبيل، ويأتي ولداي، ونمضي الوقت برفقة بعضنا. أود أن تشاركينا ذلك، وأريدك أن تتعرفي إلى ولديّ".

"سوف أتصل بسافاناه وأمي". فعلت ذلك في الصباح، لكنها ذهلت مما قالتاه. قالت سافاناه إنه إذا كانت أمها لا تمانع، فهي تودّ الذهاب إلى تشارلستون لتمضية العيد مع والدها وتورنر، وطبعاً دايزي، وهنري، وترايفيس وسكارلت... ولويزا. وتوسلت سافاناه إلى أمها أن تسمح لها بذلك، فوافقت ألكسا.

وحين اتصلت بأمها، قالت موريال إن ستانلي اشترى للتو بطاقتين للقيام برحلة بحرية إلى الباهاماس ولم تملك الشجاعة لإخبار ألكسا.

"لن أذهب إذا كنت ستبقين بمفردك". وكانت ألكسا قد أخبرتها للتو أن سافاناه ذاهبة إلى تشارلستون. بطريقة ما، نجح الوقت الذي أمضته سافاناه في تشارلستون في وقت سابق من هذا العام في تحضير ألكسا لكي تكون من دونها. وإلا لكان الأمر أصعب بكثير. لقد ساعدها نوعاً ما.

طمأنت أمها: "سأكون بخير. اذهبي في الرحلة البحرية. سوف تمضين وقتاً جيداً".

"ماذا ستفعلين؟". بدت موريال قلقة.

"دعاني إدوارد للتو لتمضية الوقت مع ولديه وزوجته السابقة".

سألتها أمها: "إدوارد؟ أي السيناتور إدوارد بالدوين؟".

"نعم". قالت ألكسا بهدوء وهي غير جاهزة لقول المزيد. لم تخبرها أيضاً عن عشاء البيت الأبيض، ويبدو أن أمها فوّتت الأخبار التي ذكرت ذلك. إلا أن سافاناه لم تفوّت الخبر، وكانت مسرورة، وأرسلت رسالة نصية إلى جدتها بشأن ذلك.

"هذا مثير". لاحظت أن ألكسا لا تريد التحدث عن الموضوع، وتساءلت إذا كانت معه. "إذاً سوف أخبر ستان أننا نستطيع الذهاب في الرحلة البحرية". قالت ذلك مبتسمة ابتسامة عريضة. إذ لاحظت أن شيئاً ما يجري.

قالت ألكسا لإدوارد بعد التحدث إلى أمها: "يبدو أنّ الأمور كلها قد سوّيت. لقد تخلصت مني كل عائلتي". كانت تبتسم له. "لذا، أنا كلي ملك لك في مناسبة الشكر".

قال: "هذا خبر رائع". ثم قبّلها. اتصل بسيبيل وأخبرها بذلك صباح يوم الاثنين، وكانت مسرورة هي أيضاً. كان الجميع سعداء. ولا سيما إدوارد وألكسا، والفريق الذي يراقبهما بسرية.

كانت تمضية مناسبة الشكر مع سيبيل مليئة بالفوضى والحنان، وممتعة مثل كل شيء آخر تفعله. وبدلاً من تحضير الحبش، حضرت سيبيل فخذ خروف لذيذاً، على الطريقة الفرنسية، مع الثوم واللوبياء. تناولوا الكافيار قبل العشاء، وكبد العجل المقلي كطبق أولي، وقدمت فطيرة اليقطين لأن الأولاد يحبونها، لكنها حضرت أيضاً حلوى ألاسكا المخبوزة. كانت وجبة استثنائية وإنما غريبة. والشراب الذي أحضره إدوارد كان مذهلاً.

كان أولاد سيبيل حاضرين، وولداها من إدوارد أيضاً. أحبت ألكسا ابنته، التي ذكّرتها بسافاناه وكانت أكبر منها بثلاث سنوات. أمّا ابنه جون فممتع وذكي ومضحك وغريب قليلاً مثل أمه. أراد أن يكون ممثلاً شكسبيرياً، ويتلقى دروساً رسمية في لندن. كان شعره طويلاً بقدر شعر ألكسا تقريباً، وبدا وكأن صديقته طولها عشر أقدام، وكانت ممثلة أيضاً.

مازحهم إدوارد قائلاً: "من الغريب كيف تم انتخابي عند النظر إليكم جميعاً أيها الأعزاء". بعد العشاء لعبوا معاً، ونبحت الكلاب باستمرار، وقال الببغاء كلمة *اللعنة* للجميع، وجاء عدد من الأصدقاء، أحدهم ممثل مشهور جداً.

كان التواجد في منزلهم أشبه بالتواجد في موقع تصوير فيلم سينمائي. وبعدما بدأت الأمور تهدأ قليلاً، استدارت سيبيل نحوهما وهي تشرب عصيراً حلواً.

"ما الذي يجري معكما؟". سألت بابتسامة محتالة. "أتحرق شوقاً لمعرفة ذلك. أظن أنك مغرم". قالت ذلك لإدوارد، ثم تابعت: "لا أعرف ألكسا جيداً لأسألها. لم تصبح بعد أختي الثانية. لكن، هل ستصبح كذلك؟".

قال لها إدوارد: "ليس هذا من شأنك. حين يكون لدينا شيء لنخبرك إياه فسوف نفعل. في غضون ذلك، ابحثي عن شيء آخر لتملإي وقتك، ولا تهتمي بحياتي".

"إدوارد، كم أنت فظ!". لكنها كانت تمازحه، وكان هو مسروراً جداً لأن ولديه ارتاحا لألكسا. هذا يهمه كثيراً، وهو أحب سافاناه أيضاً، وظن أن ولديه سيحبانها أيضاً.

"أتمنى أن تزورينا في الميلاد". قالت لها سيبيل ذلك فيما كانا يغادران.

شرحت ألكسا: "عليّ التواجد في منزل أمي. لكنكم تستطيعون ربما المجيء جميعاً لاحتساء الشراب معنا".

"نودّ ذلك". طمأنتها سيبيل، وأدركت ألكسا أنه عليها تحذير أمها بما هو متوقع. إذ إن وجود كاتبة مشهورة، ومنتج أفلام مشهور، وسيناتور، وخمسة أولاد إضافيين سيكون بمثابة صدمة لأمها في شقتها الصغيرة. إلا أن الحفل سيقتصر فقط على المشروبات. لا تستطيع أمها أبداً تحمل عشاء. فهي بالكاد تستطيع طهو الطعام لها ولستان. فهذا الأخير هو من يطهو. حين كانت بمفردها، كانت تأكل السلطات التي تشتريها في طريق عودتها من العمل إلى المنزل. لم تكن موريال يوماً طباخة جيدة.

أقام إدوارد وألكسا في فندق كارليل في عطلة الشكر، وكانا يخططان لرؤية ابنه وابنته مجدداً في اليوم التالي. وسوف تذهب سيبيل وزوجها وأولادها الثلاثة إلى منزلهم في كونيكتيكوت لتمضية عطلة نهاية الأسبوع. إنهم مجموعة منهمكة. لكن تبين أن عطلة نهاية الأسبوع كانت رائعة. ذهبا لتناول العشاء وحضور السينما مع ولديه، وتنزها في سنترال بارك، وذهبا إلى متحف الفن العصري. وحين انتهت عطلة نهاية الأسبوع، أصبحوا جميعاً أصدقاء، وأخبرت سافاناه عن ذلك. اشتاقت إليها، لكن سافاناه بدت سعيدة. ولم تفسد لويزا مناسبة الشكر عليها، وهذا شيء مهم. فلقد تحمست دايزي لوجودها معهم في المنزل. وأحضر هنري صديقه جيف، وأحبته سافاناه أيضاً.

كانت موريال مصدومة حين عادت من رحلتها البحرية وأخبرتها ألكسا من سيأتي لاحتساء الشراب عندها في الميلاد، وكم هو عدد الأشخاص.

"هل تمزحين؟ لا أستطيع استقبالهم في شقتي". بدت موريال مذعورة. لكنها أرادت لقاء إدوارد ورؤيته مع ألكسا. وشعرت بالفضول حيال زوجته السابقة والأولاد أيضاً. وكانت قد قرأت كل كتب سيبيل.

طمأنتها ألكسا: "بلى، أمي. إنهم أشخاص عفويون جداً. في الواقع، لكي أكون صريحة معك، إنهم مجانين حقيقيون، باستثناء الأولاد، لكنهم ممتعون كثيراً. أظن أنك ستحبينهم".

"تبدين سعيدة". قالت موريال بنبرة حنون.

قالت ألكسا بهدوء: "نعم. إنه رجل رائع".

"هل أسمع أجراس الزفاف؟". سألت أمها وهي تبدو متحمسة. أن تكون ابنتها زوجة السيناتور بدت فكرة جيدة بالنسبة إليها. فهو رجل جيد لابنتها. لقد حان الوقت.

قالت ألكسا: "لا، فقط أجراس السعادة. لا أحتاج إلى الزواج. فعلت ذلك مسبقاً". *وتألمت بشدة بحيث لن أفكر في ذلك مجدداً*. كان ذلك ما

فكرت فيه ألكسا، ولكنها لم تقله. وإدوارد ليس طوم. ما من شيء ضعيف أو غير صادق فيه. إنه رجل صريح ومحترم.

قالت موريال: "هذا هو شعوري حيال الزواج. لكنني أكبر منك بكثير، ولا أرى الجدوى منه. أمّا في عمرك، يفترض أن تكوني أكثر شجاعة".

"لماذا؟ أنا سعيدة هكذا".

"إذا كان رجلاً جيداً، يمكنك الزواج به أيضاً. لا تفوتي الفرصة. لا تعرفين أبداً كيف سيكون شعورك لاحقاً".

"ربما". قالت ألكسا وهي تبدو غير مقتنعة. الزواج يخيفها.

حين ارتاح السيناتور من العمل، حصلت ألكسا على أسبوع إجازة وطارا إلى نيويورك للاحتفال بالميلاد. كانت سافاناه تقيم مع جدتها وستان، ونزلت ألكسا مع إدوارد في فندق كارليل مجدداً، مثلما فعلا خلال مناسبة الشكر. وحجزت غرفة لسافاناه أيضاً، فقد كانت ستنزل في الفندق معهما. وسوف يأتي تورنر في اليوم التالي للميلاد. سوف يذهبان للتزلج في فيرمونت خلال رأس السنة مع أصدقائهما، وسوف يبقى إدوارد وألكسا في المدينة. أحبت ألكسا مهنتها أيضاً.

ليلة الميلاد، وصلت سيبيل مع جيشها الصغير إلى شقة موريال. لم تحضر معها الببغاء والكلاب. أحضرت الأولاد الخمسة وصديقة جون التي جاءت معه من لندن مجدداً. وأحضر براين ابنة أخيه على نحو غير متوقع، وولدين كبيرين من زواج أول لم تعرف ألكسا بشأنه، وازدحموا جميعاً في شقة موريال وستان واحتسوا الشراب. أخبرت موريال سيبيل كم تحب كتبها، وتحدث براين وستان عن الأفلام القديمة المفضلة لديهما وعن صيد الأسماك، فيما تحدث جون وصديقته إلى سافاناه، وكانت آشلي، ابنة إدوارد، تتشاجر مع صديقها في كاليفورنيا عبر الهاتف الخلوي وتبكي. إنها فوضى عارمة، ووقفت ألكسا في الخلف تراقب المشهد مع إدوارد وهي تضحك.

"لا شك في أن عائلتي كبرت. في الميلاد الماضي، كنت بمفردي مع سافاناه وأمي. وجاء ستانلي بعد العشاء، إذ توجب عليه زيارة صديق مريض".

سألها إدوارد بصراحة: "هل تحبين هذا؟ أم الماضي؟".

قالت من دون تردد: "هذا. إنه حيوي جداً ورائع جداً ويشعر بالسعادة". ثم أدركت أن أمها طلبت طعاماً صينياً جاهزاً، ووزعته في المطبخ وعلى أرض غرفة الجلوس. وضعت ديك حبش صغيراً في الفرن، ليتناولوه في اليوم التالي. أحبت سيبيل وجيشها الفكرة، ووافقوا على البقاء وتناول العشاء في المنزل الذي قالت عنه سيبيل إنه أصبح فوضوياً.

جلس الشباب على الأرض في غرفة جلوس موريال. أما الكبار فجلسوا في غرفة الطعام التي تتسع فقط لثمانية أشخاص. ونجح الأمر نوعاً ما. إنّه أفضل ميلاد عرفته ألكسا، أفضل حتى من الأيام السعيدة التي عاشتها في تشارلستون.

تركا سافاناه في منزل موريال لليلة واحدة إضافية، وذهب إدوارد وألكسا إلى فندق كارليل سيراً على الأقدام تحت الثلج المتساقط. وأنشدا أغنية *الميلاد الأبيض* معاً فيما توقف في الشارع وقبلها. إنه أسعد ميلاد في حياتها، وشعر هو بالأمر نفسه. أحب الزواج من سيبيل في البداية. لكن هذا أفضل، وأكثر نضوجاً. ففي بعض الأحيان، تتصرف سيبيل بغرابة كبيرة، حتى بالنسبة إليه، بالرغم من أنه يحبها كثيراً.

"سوف يستمر الثلج ربما بالتساقط بحيث نستطيع التراشق بالثلج غداً". قالت ألكسا بتفاؤل وهي تضع يدها في ذراعه.

"لا أظن ذلك". قال إدوارد وهو ينظر إليها بتعبير جدي.

"لا؟ لماذا؟ ألا تحب التراشق بالثلج؟". بدا ذلك غريباً. إنه يتحلى بروح رياضية في كل شيء.

"أحب التراشق بالثلج". قال لها فيما توقف عن المشي مجدداً ونظر إليها. "لا أعرف إذا كانت فكرة جيدة أن تقوم زوجة السيناتور برشق

كــرات الــثلج على الناس في الحديقة العامة. قد تصيبين شخصاً غريباً، وينتهي بك الأمر بأن تتصدر أخبارك وسائل الإعلام". اتسعت عيناها فيما قال ذلك. سألها بنعومة: "ما رأيك في ذلك؟".

قالت وهي منقطعة الأنفاس: "التراشق بالثلج؟".

"لا... الأمر الآخر... زوجة السيناتور. هل يبدو هذا جنونياً كثيراً؟". عرف كم هي خائفة من الزواج، لكنه واثق من نفسه الآن. لقد انتظر وقتاً طويلاً للعثور عليها. سيبيل محقة. ألكسا هي المناسبة له، فهي مثالية.

"أنا... نعم... لا...". تلعثمت في كلماتها، وقبلها مجدداً. "نعم، أقصد لا. لا، لا يــبدو جنونياً... ونعم، أريد ذلك". كانت تبكي وتضحك فيما قبّلها مجدّداً، ثم أقحمت يدها بشدة تحت ذراعه وتوجها إلى فندق كارليل. كانت ألكــسا تبتسم ابتسامة عريضة، وبدت فرحة جداً، بالرغم من الخوف الذي انتابها، وبدا السيناتور من كارولينا الجنوبية مسروراً جداً.